كيف نحيا بالصلاة

• الدكتور •
ياسر إبراهيم العكش

دار العلم للملايين

كيف نحيا بالصلاة
الدكتور ياسر إبراهيم العكش
دار العلم للملايين

كيف نحيا بالصلاة

الدكتور ياسر إبراهيم العُكش

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

شارع مار الياس ـ بناية متكو ـ الطابق الثاني
هاتف : 306666 1 (961) + ـ فاكس : 701657 1 (961) +
ص.ب. : 1085 ـ 11 بيروت 2045 8402 ـ لبنان
internet site: www.malayin.com
e-mail: info@malayin.com

الطبعة الأولى 2015

جَميعُ الحُقوقِ مَحفوظة: لا يَجوزُ نَسْخُ أَوْ استعمالُ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذا الكِتابِ بأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكالِ، أَوْ بأَيَّةِ وَسيلَةٍ مِنَ الوَسائلِ التَّصْويريَّةُ أَوِ الإلكْتْرونيَّةُ أَوِ الميكانيكيّة، بما في ذٰلكَ النَّسْخُ الفوتوغْرافيُّ، والتَّسْجيلُ عَلى أَشْرِطَةٍ، أَوْ سِواها، وحِفْظُ المَعْلوماتِ واسْتِرْجاعُها بِقَصْدِ التَّرَبُّحِ مِنْ دونِ إذْنٍ خَطِّيٍّ مِنَ النّاشِرِ أَوِ المُؤَلِف. وَيَحِقُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ طَبْعُهُ وَتَوْزيعُهُ ما لَمْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنَ الكِتابِ وَما لَمْ يَقْصِدَ بِذٰلِكَ التَّرَبُّح.

Copyright© 2015 by
Dar El Ilm Lilmalayin,
Mar Elias street, Mazraa
P.O.BOX:11–1085
Beirut 2045 8402 LEBANON

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾

الحمد لله الكبير العظيم الأعلى، الذي تولّانا برحمته، وأفاض علينا من فضله، وما وكَلَ أمرَنا لأحد سواه؛ فهو الإلَه الأعلى، والصلاة والسلام على نبيّه محمد ﷺ، رسوله إلينا وأسوتنا وقدوتنا، أمّا بعد:

فمنذ أن كنت في المرحلة الثانوية في أوائل التسعينات، وأنا أفكر في كيفيّة دخول الإيمان في القلوب ليُثمر أخلاقًا تغيّر من طبيعة البشر كما دخل الإيمان قلبَي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فلكوْن أخلاق المسلمين في سوء شديد، هناك خلل في أصول الإيمان في قلوبهم أو في رسوخه فيها، ومن ثَمَّ هناك خلل في الدعوة إلى الله. وفي إحدى المرّات أثناء صلاة الجمعة قال الخطيب على المنبر، وهو أحد المشايخ المتصدّرين للدعوة وقتها، والذي يَحْضُر بين يديه أُلوف المصلّين من كلّ المحافظات، إنه وصل إليه خطاب أُرسِل

إليه مفادُه أنّ هناك خللًا ما في الدعوة الإسلاميّة لوجود خلل شديد في خُلُق المسلمين، فردّ وهو غاضب من تلك الرسالة بأنّ الدعوة لا خلل فيها، وأنها مثمرة، وأنها ليست بحاجة إلى تعديل، ولا يؤثر فيها تشكيك المشكّكين. ردًّا على تلك الرسالة، ولكن في الجمعة التالية حدث صوت فرقعة إثر مرور تيّار هوائيّ شديد على ألواح ألومنيوم غير مثبتة بجانب المسجد، ففزع ألوف المصلّين لذلك الصوت أثناء خطبة الجمعة، وفرّوا من ساحة المسجد كفرارهم من أمام مدفع رشاش لا يرحم، ووطئ بعضهم بعضًا، وكاد بعضهم يقتل بعضًا وهم يفرّون، وفقد الكثير متعلّقاته... فصاح الشيخ نفسه وهو على المنبر نفسه أنّ هناك خللًا واضحًا في الإيمان ممّن نظنّهم نخبة الصحوة الإسلاميّة، ويبدو أنّ دعاة تصحيح مسار الدعوة على حق...

فظللت أبحث عن تربية المؤمنين الأوائل على الإيمان، كيف كانت؟ وكيف صاروا بهذا الرسوخ في الدين ونُبل الأخلاق؟ فما وجدتُ إلّا التربية بالصلاة والصدقة، وسماع الوحي المكّيّ من النبيّ ﷺ، ودعوة الأقربين لذلك، والصبر على ذلك؛ فبدأتُ أبحث عن معاني الصلاة وأسرارها، بحيث ظننت أنها من أعظم ما تربّى عليه المسلمون الأوائل. وبدأت فكرة ذلك الكتاب في السنوات الأولى للألفيّة الثالثة، ثمّ،

منذ ما يقــرب من عامين، قــرأت كتاب القــوّة الخفيّة للعقل الباطــن لـ«جيمس فان فليــت» فوجدت فيه (مــع ما فيه من انحراف عن الحق فــي بعض الأمور) فائدة مــن علم التنمية البشريّة فأضفتُها.

وما هذا البحــث إلّا محاولةٌ لفهم وجه من أســرار الصلاة والتعبُّد لله بأسمائه الحسنى، ليتربّى المسلمون بها كما تربّى مَن ســبَقَهم بالإيمان من الصحابة رضوان الله عليهــم؛ علّ الإيمان يدخل في قلوبنا نقيًّا قويًّا مثمرًا كما دخل في قلوب الصحابة من قبلنا. والمنهــج الــذي اتّبعتُه في الجــزء المتعلق بأســماء الله الحسنى، هو دراسة أصل الاسم في كتب اللغة، ثم معرفة تفسير الآيات المتعلقة بذلك الاســم، ثم دراســة الاســم فــي الكتب المعنيّة بأســماء الله الحســنى، ثم إيقاع ذلك على أذكار الصلاة وحركاتها وتحــرّكات الحياة. وأيّ آيــة، أو حديث أذكره، أجعل الجزء الذي أريد التركيز على التفكر فيه بخطٍّ عريضٍ، لِما له من صِلة بالموضوع. ومصادر هذا البحث هي كالآتي:

المصادر اللغويّة

- تاج العروس.
- المعجم الوسيط.

- معجم الفروق اللغويّة.
- مقاييس اللغة.
- لسان العرب.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم.

مصادر الأسماء الحسنى

- تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي.
- شرح أسماء الله الحسنى، للقحطاني.
- الموسوعة العَقَديّة ـ الدُّرَر السنيّة.
- مفهوم الأسماء والصفات.
- صفات الله وأثرها في إيمان العبد.
- المُرْتَبَع الأسنى في رياض الأسماء الحسنى.
- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للقُرطبي.
- النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدي.
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي.

- أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنّة، لمحمود عبد الرزاق الرضواني.

مصادر تفاسير القرآن

- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني.
- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقُرطبي.
- تفسير الجلالين.
- معالم التنزيل، للبغوي.
- موقع ملتقى أهل القرآن.

مصادر أخرى

- أسرار الصلاة والفرْق والموازنة بين ذوق الصلاة والسماع، لابن قيِّم الجوزيّة.
- معنى الربوبيّة وأدلّتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها، للدكتور محمد بن عبد الرحمٰن الجهني.
- التقوى في القرآن؛ دراسة في التفسير الموضوعي، لفضيلة الشيخ محمد الدبيسي.
- القوّة الخفيّة للعقل الباطن، لجيمس فان فليت.

- تخريج الأحاديث من موقع الدُّرر السنيّة، وملتقى أهل الحديث.
- بعض مواقع النِّت اللغويّة والمعنيّة بتفسير أسماء الله الحسنى.
- فقه الأدعية والأذكار، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنّة، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري.
- برنامج كيف تتلذّذ بالصلاة، لِمَشاري الخراز.

والآن كيف نحيا بالصلاة كما حَيِيَ بها أبو بكر وعمر والصحابة رضوان الله عليهم؟ تلك الكلمات قد تغيِّر حياتك كلّها، فاستمع إليها كأنك تحدِّث بها نفسَك، وكرِّرْ قراءتها حتى يستقرَّ معناها في قلبك.

❁❁❁

القوّة الخفيّة للعقل الباطن والبرمجة النفسجسديّة

كتاب القوّة الخفيّة للعقل الباطن لـ«جيمس فان فليت» الذي يتحدث فيه عن البرمجة العقليّة أو النفسجسديّة، يُعَدّ أصلًا في علم التنمية البشريّة، ويدور حول حقيقة أنّ: «**الإنسان عبارة عمّا يدور في نفسه.**»

فما تردِّده في نفسك (أو يردّده عليك غيرك) في أوقات صفاء ذهنك، هو ما يحدّد في ما بعد، تفاعلَك مع جميع ما يعرض لك من أحداث داخليّة (نفسيّة أو جسديّة) وخارجيّة (مع غيرك من البشر والدوابّ) وكونيّة (أحداث أرضيّة أو سماويّة).

ولِتبرمجَ نفسك على ما تردّده بينك وبينها، يجب أن تردّده بعبارات واضحة وبعبارات إيجابيّة، وتثبِّط أيّ عبارات سلبيّة قد تعرض لك. ويكون ترديد تلك العبارات في أوقات الصفاء الذهني كي لا ينازعَها أيُّ مشتِّت خارجيّ أو داخليّ، وأفضل تلك الأوقات هو الصباح الباكر قبل الانخراط في الحياة اليوميّة، وفي المساء بعد أن يكون العقل قد أُجهد طوال النهار، فيسهُل عليه تقبُّل ما يُملى عليه من دون مقاومة منه. ويساعد على ذلك أيضًا التفكير في أيّ شيء آخر سوى الحياة وما فيها من مشاغل

ومتاعب وأحداث بأن يفكّر في الجنة والنار وكمال الرب تعالى؛ فتلك الأمور تجعل نشاط العقل في وضع ألفا الذي تسهُل برمجته فيه.

لن يتغيّر تفاعل الإنسان مع الحوادث والمؤثّرات الخارجيّة، ولن يكون للإنسان هدف عالٍ يسعى إليه، ولن يستطيع التحكّم في أجهزة جسده (هناك مَن يصل إلى درجة تحكُّم في جسده تمكّنه من التحكّم في درجة شعوره بالألم، بل وفي التحكّم في نبضات قلبه وحركة أمعائه)، ولن يستطيع تملُّك ردود أفعاله، ولن يكون ذا شأن، ما لم يبرمج نفسه داخليًّا برمجة صحيحة واضحة إيجابيّة، ثُمّ يتفاعل من خلال تلك البرمجة، ويصبر على ما يواجه إيمانًا بها، فلا يستبدلها بأخرى سلبيّة.

أمّا مَن لا يبرمج نفسه داخليًّا، فهو يترك المجال للمؤثِّرات الخارجيّة وللآخَرين، ليقوموا ببرمجة نفسِه كما يشاؤون، فتكون نفسُه مضطربة، تابعة، كئيبة، لأنها لم تسلك المسلك الذي يزكّيها.

وأمّا مَن يبرمج نفسه بصورة خاطئة، فتجد نفسَه كذلك مضطربة مريضة منقبضة، كالمغرور، فهو لا يردّد في نفسه في أوقات صفائه الذهنيّ إلّا محاسن نفسه ومفاخرها، وأخطاء الآخرين ونواقصهم، فيبرمج عقله على إعلاء نفسه واحتقار الآخَر، وعدم الاكتراث به. والشهوانيّ لا يردّد في نفسه في أوقات صفائه

إلّا تلذُّذه بشـــهواته وبمفاتن الدنيا، فتتبرمج نفسُه على لغة الجسد واتّباع الشهوات والهوى. والفاشلُ لا يردّد إلّا عيوب نفسه ونقاط ضعفها، وإخفاقاته، فتتبرمج نفسُـــه على استســـاغة الفشل، وفتور العزم، وسهولة الاستســـلام. والناجح لا يردّد إلّا عبارات النجاح ومعانيه، فلا يعرف الفشلُ طريقًا إليه، وهكذا.

واعلم أنّ التلفاز من أخطر الأمور التي تبرمج نفسَـــك على أمور يُمليها عليـــك، دونما وعيٍ منك، بما يبـــثّ فيك من أمور تُطرَح عليك، خاصّـــة في وقت اســـترخائك، بحيث يعمل على تركيز انتباهك وفصلِك عمّا يدور حولـــك، بالألوان والحركات والأصوات التي يُصدرهـــا، ثُمّ يكرّر عليك أفـــكارًا معيّنةً بطُرُقٍ مختلفة، فتتبرمج نفسُـــك عليها بلا إرادةٍ منك، فانتبِهْ لهذا. وقد يعود ربُّ الأسرة إلى البيت فيرى ســـلوكيّاتٍ في أهله وولده لا يألفُهـــا، ومـــا أدَّبهم عليهـــا؛ بل ويكرههـــا، ويـــرى أنماطًا من التفاعلات والعصيان يمقتها، ويتســـاءل: هـــل أخطأت في تربية أهلي؟ وينســـى أنه تركهم للتلفاز يبرمجهم على خلاف ما يريد؛ فقد شـــاركه التلفاز (ممثل هابط ومخرجٌ فاجر ومغنٍّ فاسق) في تربية ولده وأهله؛ فانتقِ من التلفاز ما ينفع، وامنع نفسك وامنع أهلَك ما يضرّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أوّل خطوة لبرمجة نفسك هى إيجاد عبارات سليمة وإيجابيّة وواضحة، تبدأ بترديدها بصيغة الإثبات لا النفي (إلّا في أضيق الحدود) في أوقات صفائك الذهني، وتعمل بها في حياتك، وتصبر على المِران عليها حتى يصير الأمر تلقائيًّا.

فالأمر تمامًا كما يتدرب لاعب التنس كي يلعب التنس ليبرمج جسده على لعب التنس بتلقائيّة ومهارة من دون عناء، ففي أوّل الأمر يجمع المعلومات عن اللعبة، ثم يبدأ التمرين. وأوّلَ الأمر لن يلاحظ الكرة، ولن يستطيع ضبط حركاته من اتجاهات وقوّة وسرعة، ولكن مع التمرين والتكرار سيكون جهازه العصبي والعضلي مبرمجين بحيث تسهل على العين ملاحظة الكرة، ويقوم لا إراديًّا باللحاق بها بسرعة وقوّة وتوجيه مثالي، وإعادتها بالمضرب إلى خصمه باستمتاع وبلا عناء، فالأمر كذلك مع برمجة العقل (فالعقل جزء من الجسد؛ كما أنّ العضلات جزء من الجسد نفسه، وتسري عليها قوانين الجسد نفسها)، فداوِمْ على تدريبه جيّدًا لتصل إلى المستوى الذي تريد بـ:

- ترديد عبارات سليمة وواضحة وإيجابيّة في نفسك.
- في أوقات مفضّلة كالصباح الباكر والمساء (ونزيد على ذلك قيام الليل، فهو أكثر وقْعًا في النفس؛ حيث إنّ هدوء الليل وصفاء النفس، والقرب من الربّ سبحانه، هو شرف المؤمن حقًّا).

- مــع التفكّر في أيّ أمر خــلاف الدنيا، وصــولًا إلى مرحلة (ألفا) أو الصفاء الذهني.

بقي بعد تلك البرمجة أن تتفاعل مــع الأحداث؛ على أنك فعلًا ما ردَّدتَه في نفسك، وأن تتحلّى بالصبر على ذلك إيمانًا به، فلا يتسرب إلى نفســك خلافُ ذلك، واعلم أنك لتكون ناجحًا في ما تفعل، عليك أن تحســن تخيُّله في نفســك، وتعيشــه في داخلك قبل القيام به؛ كأن تتخيّل نفسك ناجحًا وقويًّا وغنيًّا...

إذا أخذنا ذلــك المبدأ المتأصــل في علم التنمية البشــريّة لنســتفيد منه؛ فاعلم أنّ أفضل المعاني التي تبرمج بها نفســك وأصحّها وأوضحها هو ما يدور حول أصــول الإيمان: أن لا إلَهَ إلّا الله وأن محمدًا رســول الله، وأفضل أمر تبرمج به نفسك وفق تلك المعاني: هو قواعد الإســلام التي بُنــي عليها، وخصوصًا الصلاة.

ثم تنظر إلى تلك الآية التي تتحدث عن الصلاة، وترى هل شــملت تلك المبادئ في برمجة النفس، من ذكر الله في حديث النفس، مع صفاء الذهن، فتخشــع النفس وتتضــرّع إلى الله في أفضل الأوقات المعينــة على ذلك، الغــدوّ والآصال: ﴿ **وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ** وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]؟ وتأمَّل أوقات الذكر؛ بل وتأمَّل ما أنت مأمور به من مداومة ذكر الله في نفسك ـ حتى

بعد قضاء الصلاة ـ لا ذكرِ ما دونه، سبحانه، من الدوران في فلك نفسِك أو شهوات الدنيا ومتاعها: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

وتأمّل تلك الآية التي تخبر عن فضل قيام الليل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وتأمّل ذلك الحديث كذلك، وانظر إلى أثر قيام الليل: روى عبد الله بن عمر أنه (كان الرجلُ في حياةِ رسولِ الله ﷺ، إذا رأى رؤيا، قصَّها على رسولِ اللهِ ﷺ، فتمنَّيْتُ أن أرى رؤيا أقُصُّها على النبيِّ ﷺ، قال: وكنتُ غلامًا شابًّا عزَبًا. وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ مَلَكيْنِ أخذاني فذهبا بي إلى النارِ، فإذا هي مطويَّةٌ كَطَيِّ البئر، وإذا لها قَرنانِ كقَرنَيِ البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفْتُهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ باللهِ من النار! أعوذُ باللهِ من النار! أعوذُ باللهِ من النار! قال: فَلَقِيَهما ملكٌ فقال لي: لم تُرَعْ. فقصَصْتُها على حفصة. فقصَّتْها على رسولِ اللهِ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «**نِعْمَ الرجلُ عبدُ اللهِ! لو كان يصلّي من الليلِ!**» قال سالم: فكان عبدُ اللهِ، بعد ذلك، لا ينامُ من الليلِ إلّا قليلًا. وفي

روايةٍ: عن ابنِ عمرَ، قال: كنتُ أبيتُ في المسجدِ، ولم يكن لي أهلٌ، فرأيتُ في المنامِ كأنما انطلقَ بي إلى بئرٍ...) رواه مسلم فى صحيحه (١٤٠).

وبعد الصلاة، على المرء أن يحيا بما برمج به عقلَه ونفسَه، فيستمرّ على ذكر الله في نفسه ليحيا بالإيمان في كلّ أمره: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وعلى المرء أن يستخدم منهج التكرار نفسه للعبارات الواضحة، السليمة، الإيجابيّة، في أوقات لا تتكدّس بالمشتّتات، ليغيِّر أهله، ويربّيَ ولده، ويصبر على ذلك حتى يجنيَ الثمرة، مستخدمًا طُرُق التربية السليمة لتربية مَن يعول على أيّ شيء يريد، وخصوصًا الصلاة. ومِن طُرُق التربية الحديثة: تكرار بيان الأمر أو الصفة المراد التربية عليها (تكرار ذكر وجه من وجوه الصلاة، وذِكر صورٍ لصلاة الذين أنعم الله عليهم ليزداد بها حبًّا)، ثم البحث عن أفعال قام بها الشخص، ولو كانت بسيطة، لها صلة بذلك الأمر أو تلك الصفة، وتكرار تنبيهه إلى ذلك وتذكيره به (مثلًا: تذكّرْ عندما صلَّيتَ كذا؛ حدث لك كذا وكذا، أو بصلاتك تنال كذا وكذا، كما نال ذلك فلان وفلان ممّن سبقوا بالإيمان، أو رأيتُك تصلّي صلاة جميلة يومَ كذا)، وهكذا، لبناء

قناعة نفسيّة بأنه يستطيع فعل الأمر بكفاءة وجودة عالية، ثمّ تكرار وصْفه بتلك الصفة (يا لكَ من مسلم قويٍّ مصلٍّ لله!) وصفًا صريحًا، مع إيجاد تحفيز نفسيّ، أو استثارة نفسيّة تنفتح لها في نفسه (كأن يقول ذلك أمام أحد يحبّه الشخص مع بيان مدى الإعجاب بتلك الصفة، أو ربطها بأمر محبَّب يناله إن أتمّها)، وتصبر على ذلك حتى تتبرمج نفسه على ما تودّ تربيته عليه فيأتي ذلك الأمر بعد ذلك إن شاء الله بسهولة وحبّ وإتقان: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

فاحذرْ حديث نفسك، وانتبِه له، فهو عظيم الأثر فيك، وأنت محاسَب عليه: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرة: ٢٨٤]، وأحسِن الظنّ بالله تعالى، فعلى قدر حسن ظنِّك بالله في نفسك، وأنت واقف بين يديه، تصلّي، على قدر حظ نفسِك من رسوخِ ما ظننتَ بربِّك فيها، فتزداد إيمانًا تتولّد منه الأخلاق الحسنة: (قال الله تعالى: **أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فله.**) أخرجه ابنُ حِبّان (٧١٦)، وإسناده صحيح.

واعلم أيضًا أنّ من الأمور المعلومة في علم التنمية البشريّة أنّ أيّ شيء تواظب عليه يوميًّا لمدة شهر، وتحبس نفسَك عليه،

وتجاهدُها عليه، يصير عادة تألفها النفس وتعتادها، ويسهل عليها بعد ذلك الشهر أن تقوم به؛ فانظر إلى شهر رمضان والمواظبة على القيام والتهجّد فيه، وأثر ذلك في برمجة النفس بالإيمان، فليس كلّ مَن أدرك رمضان بنائل بفضل الله دفعة إيمانيّة بعد انقضاء شهر رمضان.

الآن! هل أدركتَ أنّ الإيمان ليس بالتمني؟

فلن يدخل الإيمان قلبك بتمنّي ذلك والجلوس انتظارًا أن ينزل عليك من السماء نزولًا، بل عليك ببذل الجهد لتبرمج نفسك به سعيًا لتغيير رواسخ نفسك السلبيّة بأخرى إيمانيّة إيجابيّة مثمرة، وتدعو الله أن يمنّ عليك بدخول الإيمان ورسوخه في قلبك؛ فلن يغيّر الله أحدًا حتى يغيِّر ما بنفسه أوّلًا: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾ [الرعد: ١١]، فغيِّر رواسخ نفسك السلبيّة بأخرى إيمانيّة، وبرمِج نفسك عليها، علَّ الله أن يرسِّخ الإيمان في قلبك. واعلم أنك إن لم تتعهّد الإيمان فى نفسك دومًا؛ فتنظرَ ما يتسرَّب إلى نفسك من معانٍ سلبيّة مخالفة لأصول الإيمان فتستبدلها بأخرى إيمانيّة، فإنّ الإيمان يَخْلَقُ بداخلك كالثوب البالي، فداوِمْ على تعهُّد رواسخ نفسك، وداوِمْ على حُسْن برمجتها، وسلْ ربَّك أن يجدِّد الإيمان في نفسك دومًا فلا

يَبلى: (**إنَّ الإيمان لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى: أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ.**) رواه الطبراني في الكبير (٨٤) بإسناد صحيح.

إنّ أفضل شيء تبرمج به نفسك على أصول الإيمان، وتغيّرها، وتربّيها عليه، هو الصلاة وما فيها من كنوز المعاني، تتكرر ليلَ نهار في كلّ الأوقات. وهي عبادة لله في ذاتها، وهي عمود الإسلام، وشرف المؤمن ونوره وزاده، وهي تعظيم لله وتسبيح بحمده وتقديس له، ففي كلّ قيام بعد الوصول إلى درجة الصفاء الذهني أو درجة (ألفا) بالتفكّر في ربِّك سبحانه وتعالى، وأنك إليه راجع، وما أدّيتَ ما عليك من عبادة لله سبحانه مستعينًا على ذلك بأدعية الاستفتاح وأدعية الركوع والسجود؛ قم في القيام بالتفكّر في نفسك، والإقرار، وترديد وجه من وجوه الله أكبر، وفي كلّ ركوع تفكَّر في نفسِك، وأَقِرَّ وردّدْ وجهًا من وجوه سبحان ربي العظيم، وفي كلّ سجود تفكَّر في نفسك وأَقِرَّ وردِّدْ وجهًا من وجوه سبحان ربّي الأعلى: (كان الرسولُ ﷺ يسكُتُ بينَ التكبيرِ وبينَ القراءةِ إسكاتَةً ـ قال أحسبُهُ قال هُنَيَّةً ـ فقلتُ: بأبي وأمي يا رسولَ الله، إسكاتُكَ بينَ التكبيرِ والقراءةِ، ما تقولُ؟ قال: أقولُ: **اللّهُمَّ باعِدْ بيني وبينَ خطاياىَ، كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ، اللّهُمَّ نَقِّني من الخطايا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللّهُمَّ اغْسِلْ خطاياىَ بالماءِ**

والثلجِ والبَرَدِ.) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ. و(عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا قامَ منَ اللَّيلِ كبَّر، ثمَّ يقولُ: **سبحانَكَ اللّهُمَّ وبحمدِكَ، وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلَهَ غيرُكَ. ثمَّ يقولُ: لا إلَهَ إلّا اللهُ ثلاثًا، ثمَّ يقولُ: اللهُ أكبرُ كبيرًا ثلاثًا، أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، منْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ، ثمَّ يقرأُ.**) رواه أبو داود في سننه (٧٧٥)، وإسناده صحيح. و(عن رسولِ الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاةِ قال: «**وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركين. إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للهِ ربِّ العالمين، لا شريكَ له، وبذلك أُمِرْتُ وأنا من المسلمِين. اللّهُمَّ أنتَ المَلِكُ لا إلَهَ إلّا أنت. أنتَ ربّي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفِرْ لي ذُنوبي جميعًا، إنه لا يغفِرُ الذنوبَ إلّا أنت، واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ، لا يهدي لأحسنِها إلّا أنت، واصرِفْ عنّي سيِّئَها، لا يصرفُ عنّي سَيِّئَها إلّا أنت. لَبَّيكَ! وسَعْدَيْكَ! والخيرُ كلُّه في يدَيك، والشرُّ ليس إليك. أنا بكَ وإليك. تبارَكْتَ وتعالَيت. أستغفرُك وأتوبُ إليك.**» وإذا ركع قال: «**اللّهُمَّ! لكَ رَكَعْتُ، وبكَ آمنتُ، ولك أسلمتُ. خشعَ لكَ سمعي وبصَري، ومُخّي وعظْمي وعصَبي.**» وإذا رفع قال: «اللّهُمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ، وملءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما بينهما، ومِلْءَ ما شئتَ مِن شيءٍ بَعْدُ.» وإذا سجد قال: «**اللّهُمَّ! لكَ**

سجدتُ، وبكَ آمنتُ، ولك أسلمتُ. سجدَ وجهي للذي خلقَه وصوَّره، وشقَّ سمْعَه وبصرَه. تباركَ اللهُ أحسنُ الخالقِين.» ثم يكون من آخرِ ما يقولُ بين التشهُّدِ والتَّسليمِ: «اللّهُمَّ! اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرْتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنتَ أعلمُ به مِنِّي. أنت المُقدِّمُ وأنت المُؤخِّرُ، لا إلَهَ إلّا أنتَ.») رواه مسلم فى صحيحه من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٠١).

أمّا إن ردَّدْتَ في نفسك في أوقات صفائك وخلْوتك ملذّاتِ الدنيا وشهواتِها ومتاعَها؛ فإنّ حبَّ الدنيا يترسّخ في نفسك، ويتبرمج عقلك عليه، ناهيك أن تفكّر في ذلك أثناء صلاتِك وصيامك وعَمْرَتِكَ، فأيّ فساد هذا؟

اِعلم أنّ كلّ أمورنا في الحياة هو عبادة لله، فكلّ أمر من أكل وشُرب ونوم وتربية أولاد وشراء مستلزمات، ومودّة أقارب، ودراسةٍ، وما إلى ذلك، هو عبادة لله تعالى (أي تقوم به مع حبٍّ وتعظيم وتذلُّلٍ لله تعالى على النحو الذي شرعه ويحبّه الله، تبغي به رضوانَ الله وفضْلَه وثوابَه). ومفتاح قَبول كلّ تلك العبادات هو عبادة الصلاة: **(إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ من عمَلِهِ الصلاةُ، فإنْ صلُحَتْ فقدْ أفلَحَ وأنْجَحَ، وإنْ فسَدَتْ فقدْ خابَ وخَسِرَ، وإنِ انْتقَصَ من فريضةٍ قال الربُّ: انظُرُوا، هل لِعبدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فيُكْمِلُ بِها ما انْتقَصَ من الفريضةِ، ثمَّ يكونُ**

سائِرُ عمَلِهِ على ذلِكَ.) رواه التِّرمِذي في سُنَنِه (٤١٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وإسناده صحيح.

واعلم كذلك أنّ من عِظَمِ أثر الصلاة أنّ الأرض التي تصلّي عليها، وكلَّ ما شهد صلاتَك يفرح بها من عِظَمِ الأثر الذي جعله الله للصلاة وللمصلّي ولمن شَهِد صلاتَه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سَبأ: ١٠]، بل إن مات المؤمن المصلّي بكت عليه الأرض التي سجد وعبد الله عليها، وكذلك السماء مصعَدُ عمله إلى الله، **أمّا غير ذلك** فلا يبكي عليه: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ**﴾ [الدُّخان: ٢٩]. بل إنّ الأرض التي صلَّيتَ عليها صلاة خشعْتَ فيها لله تعالى، تشهَدُ لكَ يومَ القيامة بذلك: (قَرَأَ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: أتَدْرُونَ ما أخبارُها؟ قالُوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: **فإنَّ أخبارَها أنْ تَشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بِما عَمِلَ على ظَهرِها**، تَقولُ: عَمِلَ يومَ كذا، كَذا وكذا، فهٰذِهِ أخبارُها.) رواه التِّرمِذي في سُنَنِه (٣٣٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وإسناده حسن صحيح.

الصلاة قصدُ لقاءِ الله، والوقوفِ بين يديه لتجديد الالتزام بأمره إليك، أن تعبده في حياتك كأنك تراه، كما تعبده الملائكة بالمشاهدة وتستخلفه في أرضه، وقَوامُ ذلك أن تعلنَ ولاءك لله الكبير، وحمْدَك لله العظيم، وخضوعَك لله الأعلى،

والتزامَـك بمنهج الله لـك كما في فاتحة الكتـاب. والصلاة كذلك مناجاةٌ لله، وتسبيحٌ بحمده، وتقديس له، والتجاءٌ إليه، تسأله حاجتَك، وتشكو إليه أمرَك، وتطلبُ عَوْنَه. فهل تعلمُ أنّ الله تعالى يُقبِلُ عليك، وينصُبُ وجْهَـه الكريمَ لوجهك على الكيفيّة التي أراد، إذا وقفتَ بين يديه تصلّي: (**لا يزالُ اللهُ ﷻ مُقبلًا علـى العبدِ ما لم يلتفِـتْ**، فإذا صـرَفَ وجْهَه انصرفَ عنـهُ.) رواه أبو داود (٩٠٩)، وإسـناده صحيـح، (إنَّ اللهَ أمرَ يحيى بنَ زَكريَّا بخمسِ كلِماتٍ يعملُ بِهنَّ، ويأمرُ بني إسرائيلَ أن يعملوا بِهنَّ، فوعـظَ النّاسَ، ثمَّ قـال: وإنَّ اللهَ ﷻ أمَرَكم بالصَّلاةِ، **فإذا نَصَبْتُم وجُوهَكم فلا تلتفِتوا، فإنَّ اللهَ ﷻ ينصِبُ وجهَه لِوَجْهِ عبدِه إذا قامَ يصلّي، فـلا يصرِفُ وَجْهَهُ عنهُ حتَّى يَكونَ العبـدُ هوَ يصـرِفُ.**) رواه التِّرمِذي (٢٨٦٣) وإسـناده صحيح.

الآن، مع بعض معاني الصلاة التي تبرمج بها نفسـك على الإيمـان واليقين بالله، تدرك أنـك لن تنالَ اليقين، ولن يرسَـخ الإيمانُ فيـك، فتتفرّع أخلاقُه في داخلك، فتنتهي عن الفحشـاء والمنكـر، إلّا بالصـلاة: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولن تُقبَلَ أعمالُكَ إن فسـدَتْ صلاتُكَ (فهي أوّل ما تحاسَـب عليه)، ولن

تقيمَ الدينَ من دونها، فهي عماد الدين، فالصلاة حقًّا رمّانة ميزان حياتنا، إنْ صلحتْ صلحَ دينُكَ وصلحتْ حياتُكَ، ومعادُكَ، وإنْ فسدتْ فسدَ دينُك، وفسدتْ حياتُك، ومعادُك.

الآنَ، مع بعض معاني الصلاة التي بها تخشع في صلاتك، فتنال بإذن الله ثمرتَها.

❋❋❋

قبل أن تصلّي

قبل أن تدخل في الصــلاة تنبَّهْ إلى تلــك الأمور كي تدرك قيمة ما أنت مقبل عليه:

أولًا ـ عليــك أن تدرك أنّ الفروض الخمســة واجبة على المسلم والمســلمة، ويجب ألّا تؤخَّر عن أوقاتها، وأداؤها في جماعةٍ واجبٌ على الرجال، فمهما كان الشاغل عنها فلا خير من ورائه، ولا فوزَ ولا صلاح لك إن انشغلتَ به عن الصلاة، ولا ضرر منــه ولا أذًى ولا خســارة لــك إن انشــغلتَ عنه بالصلاة:

(**العَهدُ الذي بَينَنا وبَينَهُم الصلاةُ، فمَنْ تَرَكَها فَقَد كَفَرَ.**) رواه التِّرمِذي في سُــنَنه (٢٦٢١) من حديث بريدة، وإســناده حســن صحيح غريب.

(**خمسُ صلــواتٍ كتبهنّ اللهُ علَــى العبادِ،** مَــنْ أتَى بهنّ لم يضيِّعْ منهنَّ شــيًَا، جاءَ وله عندَ اللهِ عَهْدٌ أن يُدخلَهُ الجنّةَ، ومَن ضيَّعهنّ اســتخفافًا بحقِّهنّ، جاءَ ولا عهدَ له، إنْ شاءَ عذَّبهُ، وإنْ شــاءَ أدخلهُ الجنّةَ.) رواه أبو داود في سُــنَنِه (٤٢٥)، من حديث عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيح.

(كان رسولُ اللهِ ﷺ ـ يعني ـ ممّا يُكثر أن يقول لأصحابه: (هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا؟) قال: فيقصّ عليه مَن شاء اللهُ أن يقصّ. وإنه قال ذات غداةٍ: (إنه أتاني الليلةَ آتِيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلِق، وإني انطلقتُ معهما، وإنّا أتينا على رجلٍ مضطجعٍ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسِه فَيَثْلَغُ رأسَه، فيتدَهْدَهُ الحجرُ ها هنا، فيَتْبَعُ الحجرَ فيأخذُه، فلا يرجِعُ إليه حتى يصِحَّ رأسُه كما كان. ثمّ يعودُ عليه، فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ به المرّةَ الأولى، قال: قلتُ لهما: سبحانَ اللهِ! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلِقْ انطلِقْ. قال: فانطلقنا، **فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقِفاهُ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديدٍ، وإذا هو يأتي أحدَ شقَّيْ وجهِه فيُشَرْشِرُ شِدْقُه إلى قِفاهُ، ومِنْخَرُه إلى قِفاهُ، وعينُه إلى قِفاهُ ـ قال: وربّما قال أبو رجاء: فيشُقُّ ـ قال: ثمَّ يتحوّلُ إلى الجانبِ الآخَرِ فيفعل به مثلَ ما فعل بالجانب الأوّلِ، فما يفرَغُ من ذلك الجانبِ حتى يصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان. ثمَّ يعودُ عليه، فيفعلُ مثلَ ما فعلَ المرّةَ الأولى، قال: قلتُ: سبحان اللهِ! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلِقْ انطلِقْ.** فانطلقنا، فأتينا على مثلِ التنُّورِ ـ قال: وأحسَبُ أنه كان يقول ـ فإذا فيه لغْطٌ وأصواتٌ، قال: فاطَّلَعْنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوضَوا، قال: قلتُ لهما: ما هؤلاءِ؟ قال: قالا لي: انطلِقْ،

انطلِقْ. قـــال: فانطلقنا، فأتينا على نهرٍ ـ حســبت أنه كان يقول ـ أحمرَ مثلَ الدمِ، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبح، وإذا على شطِّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السابحُ يسبَح ما يســبحُ، ثمّ يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارةَ، فيفغَر له فاهُ فيُلْقِمُه حجرًا، فينطلق يســبَحُ، ثم يرجع إليه، كلّما رجع إليه فغَرَ له فاهُ فألقمَه حجرًا، قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلِقْ، انطلِقْ. قال: فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ كريهِ المَرآةِ، كأكْرَهِ ما أنت راءٍ رجلًا مَرآةً، فإذا عنده نارٌ يحشُّها ويسعى حولها، قال: قلتُ لهما: ما هذا؟ قال: قالا لــي: انطلِقْ، انطلِقْ. فانطلقنا، فأتينا على روضةٍ مُعْتِمةٍ، فيها مــن كلّ لونِ الربيــعِ، وإذا بين ظهْرَي الروضةِ رجلٌ طويلٌ، لا أكاد أرى رأسَــه طولًا في الســماء، وإذا حولَ الرجُلِ من أكثر وِلدانٍ رأيتُهم قطُّ، قال: قلتُ لهما: ما هذا؟ ما هؤلاءِ؟ قال: قــالا لي: انطلِق، انطلِقْ. قــال: فانطلَقْنا، فانتهينا إلى روضةٍ عظيمةٍ، لم أرَ روضةً قطُّ أعظمَ منها ولا أحسنَ، قال: قالا لي: اِرْقَ فيهــا، قال: فارتقَينا فيها، فانتهينــا إلى مدينةٍ مبنيّةٍ بلَبِنِ ذهبٍ ولَبِنِ فضّةٍ، فأتينا بابَ المدينةِ فاســتفتحْنا، ففُتح لنا، فدخلناها، فتلقّانا فيها رجالٌ شَــطرٌ مِن خَلْقِهم كأحســنِ ما أنتَ راءٍ، وشَــطرٌ كأقبحِ ما أنتَ راءٍ، قال: قالا لهــم: اذهبوا فَقَعوا في ذلك النهرِ. قال: وإذا نهرٌ معتــرضٌ يجري كأنّ ماءَه المحضُ في البياضِ، فذهبوا فوقعوا فيه، ثمّ رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ

عنهم، فصاروا في أحسنِ صورةٍ، قال: قالا لي: هذه جنّةُ عدنٍ، وهذاكَ منزلُك. قال: فَسَما بصري صَعَدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبابةِ البيضاءِ، قال: قالا لي: هذاكَ منزلُك، قال: قلتُ لهما: باركَ اللهُ فيكما! ذَراني فأدخله، قالا: أمّا الآن فلا، وأنتَ داخلُه، قال: قلتُ لهما: فإني قد رأيتُ منذ الليلةِ عجَبًا، فما هذا الذي رأيتُ؟ قال: قالا لي: أما إنّا سنخبرك، **أمّا الرجلُ الأوّلُ الذي أتيتَ عليه يُثْلَغُ رأسُه بالحجر، فإنه الرجلُ يأخذ القرآنَ فيرفضُه، وينامُ عن الصلاة المكتوبة**، وأمّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه، يُشَرْشَرُ شِدقُه إلى قِفاه، ومِنْخَرُه إلى قِفاه، وعينُه إلى قِفاه، فإنه الرجلُ يغدو من بيته، فيكذبُ الكِذْبَةَ تبلغُ الآفاقَ، وأمّا الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين في مثل بناء التنّورِ، فإنهم الزناةُ والزواني، وأمّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه يسبَحُ في النهرِ ويَلْقَم الحجارةَ، فإنه آكِلُ الربا، وأمّا الرجلُ الكريهُ المَرْآةِ، الذي عند النارِ يَحُشُّها ويسعى حولها، فإنه مالكٌ، خازنُ جهنّمَ، وأمّا الرجلُ الطويلُ الذي في الروضةِ فإنه إبراهيمُ عليه السلام، وأمّا الوِلدانُ الذين حوله فكلّ مولودٍ مات على الفطرةِ). قال: فقال بعض المسلمين: يا رسولَ اللهِ، وأولادُ المشركين؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (وأولادُ المشركين، وأمّا القومُ الذين كانوا شطر منهم حسَنٌ وشطر منهم قبيحٌ، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخَرَ سيئًا، تجاوزَ اللهُ عنهم.)) رواه البخاري فى صحيحه (٧٠٤٧).

هل رأيتَ عذابَ مَن ينـــام ويؤخّر الصلاة عن وقتها؟ (... أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **والذي نفسي بيَدِه، لقدْ هَمَمْتُ أن آمُرَ بحَطَبٍ فيُحْطَبَ، ثمّ آمُرَ بالصلاةِ فيؤذَّنَ لها، ثمّ آمُرَ رجلًا فيؤمَّ الناسَ، ثمَّ أخالفَ إلى رجالٍ فأُحَرِّقَ عليهم بُيوتَهم، والذي نفســي بيدِه، لو يَعلَمُ أحدُهم أنه يَجِدُ عَرَقًا سَــمينًا، أو مَرماتَينِ حسَــنَتَينِ لشَهِدَ العِشاءَ.**) رواه البخاري فى صحيحه (٦٤٤).

هلْ رأيتَ حكْمَ الرسول ﷺ على من لا يشهدُ صلاة الجماعة مع المسلمين؟

الأذان

ـ «**الله أكبر، الله أكبــر**»؛ الأذان نداء من ربِّــك الكبير لتُطيعَ أمْــرَه، فأمْــرُه حقٌّ وصِــدق وخير، فهــو الكبير ســبحانَه، وهو محاسِــبُكَ عليــه. واللهُ أكبرُ ممّن أمَــرَك، أو دعــاكَ (ولو كانتْ نفسُك)، أو خوَّفَكَ بمقدرتِه، أو رغَّبكَ فى نفسِه، فأجِبْ نداءَ الله إلى الصــلاة، فاللهُ أكبــرُ. واترُكْ كلَّ شــيء لم يأمرْ بــه اللهُ إلى ما أمرَكَ به، فلا كلامَ معَ كلامِه، فاللهُ أكبر.

ـ «**أشــهدُ أنْ لا إلَهَ إلّا الله**»؛ اعلمْ أنه لا إلَهَ إلّا هو، فهو الإلَهُ الأعلى؛ إنْ أراد بك خيرًا أو ضُرًّا فلا رادّ لأمره، ولا قدرة لأحد على شــيء إلّا أن يأمَر به الله، ولا مشــيئة لأحد في شيء إلّا أن يشــاء الله، ولا يكون شــيء إلّا من بعد إذنه، وإنْ أردتَ التقرُّب

إليه لتنال فضلَه، وتَعِزَّ وتــدركَ حاجتَك، فاتَّبِعْ أمْــرَه، وقمْ إلى ما ناداكَ إليه وأمَرَك به.

ـ «**أشــهدُ أنّ محمّدًا رســولُ الله**»؛ اِتَّبِعْ أمرَ ربَّــكَ على نهجِ رســوله ﷺ في ما أمرك به، فهو حقًّا رسولُ الله، ولا يقبلُ اللهُ أيَّ عمل تتقرّب به إليه إلّا أن يكون على نهج رسولِ ﷺ، فصَلِّ كما كان يصلّي ﷺ.

ـ «**حَيَّ علــى الصلاة**»؛ أَقْبِــلْ على الصلاة؛ فهــذا أمرُ ربِّكَ إليك، واعلــمْ أنّ فيها كلَّ الفلاح لك؛ «**حَــيَّ على الفلاح**»، ولا تتباطأ عنها.

فربُّكَ الكبير ذو الكبرياء لا يرضى إنْ دعاكَ ألّا تســتجيبَ، وتســرعَ إليه، فـ «اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبــرُ»، وتذكَّرْ أنــه لا إلَهَ إلّا اللهُ الأعلى، فلا منجًــى ولا ملجأ ولا مفرَّ منه إلّا إليــه، فأَقْبِلْ على ربِّكَ، واترُكْ ما أنتَ فيه؛ فقد حان وقت الصلاة. فحقًّا «لا إلَهَ إلّا الله». عن عبد الله بن زيد أنه قال: (لمّا أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالنَّاقوسِ يُعمَلُ ليُضرَبَ به للناسِ لجمعِ الصلاةِ؛ طافَ بي وأنا نائمٌ رجلٌ يَحمِلُ ناقوسًــا في يدِه، فقلتُ: يا عبدَ اللهِ! أتبيعُ النّاقوسَ؟ قال: وما تصنعُ به؟ فقلتُ: ندعو به إلى الصلاةِ. قال: أفلا أدُلُّكَ على ما هو خيرٌ من ذلك؟ فقلتُ له: بلى. قال: تقولُ: **اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، أشــهدُ أن لا إلَهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أنّ محمّدًا رسولُ اللهِ، أشهدُ أنّ محمّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ على**

الصلاةِ، حيَّ على الصلاةِ، حَيَّ على الفلاحِ، حَيَّ على الفلاحِ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلَهَ إلّا اللهُ. قال: ثُمَّ استأْخَرَ عني غيرَ بعيدٍ، ثمّ قال: وتقولُ إذا أقمتَ الصلاةَ: **اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أنّ محمّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ على الصلاةِ، حَيَّ على الفلاحِ، قد قامتْ الصلاةُ، قد قامتْ الصلاةُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلَهَ إلّا اللهُ.** فلمّا أصبحتُ أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتُه بما رأيتُ، فقال: إنها لَرؤيا حقٌّ إن شاء اللهُ، فقمْ مع بلالٍ فألقِ عليه ما رأيتَ فليؤذِّن به، فإنه أندى صوتًا منك. فقمتُ مع بلالٍ فجعلتُ أُلقيَه عليه ويؤذِّن به. قال: فسمِعَ ذلك عمرُ بنُ الخطّابِ وهو في بيتِه فخرج يَجُرُّ رداءَه ويقولُ: والذي بعثَكَ بالحقِّ يا رسولَ اللهِ لقد رأيتُ مثلَ ما رأى! فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: فلِلّهِ الحمدُ.) رواه أبو داود في السُّنَن (٤٩٨)، وإسناده صحيح.

الوُضوء

الوضوء شرطٌ للدخول في الصلاة، (**مِفتاحُ الصلاةِ الوُضوءُ**، وتحريمُها التكبيرُ، وتحليلُها التسليمُ.) رواه أحمد في مُسنده بإسناد صحيح (٢/٢٤٠).

بالوضوء ينظُفُ الجسد، وتزول عنكَ الخطايا، فتنقّي نفسَكَ، ويذهبُ عنك تلبيس إبليس، استعدادًا للقاء الله الملك، ووُقوفًا بين يديه. فالذنوبُ تُثقلُ عن عبادة الله، والوُضوءُ يغسِلُها عنك،

فتنشَطَ نفسُك في سعْيها إلى ربّها، (**مَن تَوضَّأ فمضمضَ واستنشقَ، خرجتْ خطاياهُ مِن فيهِ وأنفِهِ، فإذا غسلَ وجهَهُ خرجَتْ خطاياهُ من وجهِهِ حتَّى يخرُجَ من تحتِ أشفارِ عينيهِ، فإذا غسلَ يدَيهِ خرجَتْ خطاياهُ من يدَيهِ، فإذا مسحَ برأسِهِ خرجَتْ خطاياهُ مِن رأسِهِ حتَّى تخرُجَ من أذُنَيْهِ، فإذا غسلَ رِجْليهِ خرجَتْ خطاياهُ من رِجْلَيْهِ حتَّى تخرُجَ من تحتِ أظفارِ رِجْلَيْهِ،** وكانت صلاتُهُ ومَشْيُهُ إلى المسجدِ نافلةً.) رواه ابن ماجه (٢٨٢)، وإسناده صحيح. (... أنه رأى عثمانَ بنَ عفّانَ دعا بإناءٍ فأفرَغَ على كفَّيْهِ ثلاثَ مِرارٍ فغسَلَهما، ثم أدخلَ يمينَه في الإناءِ فمضمضَ واستنشقَ، ثم غسلَ وجهَه ثلاثًا، ويديْه إلى المِرفَقَيْن ثلاثَ مِرارٍ، ثم مسحَ برأسِه، ثم غسلَ رِجْليْه ثلاثَ مِرارٍ إلى الكعبينِ، ثم قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **مَنْ توضّأَ نحوَ وُضوئي هذا، ثم صلّى ركعتين لا يُحدِّثُ فيهما نفسَه، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه.**) صحيح البخاري (١٥٩).

(**إنّ الغضبَ منَ الشيطانِ، وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ من النارِ، وإنما تُطفأُ النارُ بالماءِ، فإذا غضِبَ أحدُكم فليتوضَّأْ.**) رواه السُّيوطي في الجامع الصغير (٢٠٨٠) وإسناده حسن، ﴿**وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ**﴾ [الشَّرح: ٢، ٣].

كما أنّ الوضوء يَحلي مواضعَه من جسدِك كحَلْيَةِ الخيل الغُرِّ المحجَّلين، وبه تدخل الجنّة، وتنالُ محبّة الله تعالى، (... أنَّ

رســولَ اللهِ ﷺ أتى المقبرةَ فقال: السلامُ عليكُمْ دارَ قومٍ مُؤمنينَ. وإنّا، إنْ شاءَ اللهُ، بكمْ لاحقونَ. وَدِدْتُ أنّا قدْ رأينا إخوانَنا! قالوا: أوَلَسْنا إخوانَكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: أنتمْ أصحابي. وإخوانُنا الذين لمْ يأتوا بعــدُ. فقالوا: كيفَ تعــرفُ مَنْ لم يأتِ بعــدُ مِن أمَّتِكَ يا رســولَ اللهِ؟ فقال: أرأيتَ لو أنَّ رجلًا لهُ خيلٌ غُرٌّ محجَّلةٌ، بين ظهرَي خيلٍ دهمٍ بهمْ، ألا يعرف خيلَهُ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ! **قال: فإنّهمْ يأتونَ غُــرًّا مُحجَّلينَ مِنَ الوضــوءِ.** وأنا فرَطُهمْ على الحوضِ. ألا لَيُذادَنَّ رجالٌ عنْ حوضِي كمــا يُذادُ البعيرُ الضالُّ. أُناديهم: ألا هَلُمّــوا! فيقال: إنّهمْ قد بدَّلوا بعدَكَ. فأقولُ: سُــحقًا سُــحقًا! وفي روايةٍ: وفيهِ: فلَيُذادَنَّ رجالٌ عن حوضِي.) صحيح مســلم من حديث أبي هريرة (٢٤٩). (... أنَّ النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عندَ صــلاةِ الفجرِ: يا **بــلالُ، حدِّثْنِــي بأَرْجَى عمــلٍ عَمِلْتَهُ في الإســلامِ، فإنِّي ســمعتُ دُفَّ نعليْكَ بينَ يديَّ فــي الجنةِ. قال: ما عملتُ عملًا أَرْجَى عندي: أنِّي لم أَتَطَهَّرْ طَهورًا، في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ، إلّا صلَّيتُ بذلكَ الطَّهورِ ما كُتِبَ لي أن أُصلِّي.**) صحيح البخاري من حديث أبي هريــرة (١١٤٩)، بحرص أبي هريرة على الوضوء بعد كلّ حَدَثٍ، وعلى إتْباع كلّ وُضوءٍ بصلاةٍ، سبق غيرَه دُخولًا إلى الجنــة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[البَقَـرة: ٢٢٢]، فهل أدركتَ شـيئًا من قدر الوضوء الـذي به يطهُرُ الجسدُ من الحوادث والأدران وبه تطهُرُ النفسُ من الذنوب؟

تَوْلِيَةُ وجهِكَ قِبَلَ الكعبة

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البَقرة: ١٤٤].

اِعلم أنكَ لو توجهـتَ إلى الكعبة وأطعتَ أمـر الله لَرزقكَ وكفلكَ ونجّاكَ من حيث لا تحتسـب، كمـا رزق هاجر وكفلها ونجّاهـا من الهلاك، هـي ووليدها، في وادٍ غيـر ذي زرع، ولا أنيس، ولا ماء عند محلّ الكعبة؛ إذ أطاعت أمر ربّها فأرسل إليها ماء زمزم آيةً إلى يومك هذا، وأرسل إليهما أشرفَ قبائل العرب لتُقيم معهما، بعد اسـتئذانها، فتؤنسَ وحشتهما، ثم رفع إبراهيم وإسـماعيل القواعد من البيت فصارت الكعبة قبلة ومقصدًا وآية للبشـر جميعًا؛ فأطِعْ أمـر الله، وأَقِم الصلاة، ولا تُلـقِ بالًا بما سـواها، ولا تخشَ شـيئًا، بل فقط، أطِعْ أمـر ربّك، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيـم: ٣٧]. فقد جـاء فـي صحيح البخـاري

أنـه (لمّا كان بين إبراهيمَ وبين أهلِهِ مـا كان، خرج بإســماعيلَ وأمِّ إسماعيلَ، ومعهم شَنَّةٌ فيها ماءٌ، فجعلتْ أمُّ إسماعيلَ تشربُ من الشَّنَّةِ، فيَدِرُّ لبنها على صبيِّها، حتى قَدِمَ مكةَ فوضعها تحتَ دَوْحَةٍ، ثم رجع إبراهيمُ إلى أهلِهِ، فاتَّبعتْهُ أمُّ إسماعيلَ، حتى لمّا بلغوا كَداء **نادتْهُ من ورائِــهِ: يا إبراهيمُ! إلى مَن تتركنا؟ قال: إلى اللهِ، قالت: رضيتُ باللهِ،** قال: فرجعتْ فجعلتْ تشــربُ من الشَّنَّةِ ويَدِرُّ لبنها على صبيِّهــا، حتى لمّا فنِيَ المــاءُ، قالت: لو ذهبتُ فنظرتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحدًا، قال: فذهبتْ فصعدتِ الصفا فنظرتْ، ونظرتْ هل تُحِسُّ أحــدًا، فلم تُحِسَّ أحدًا، فلمّــا بلغتِ الوادي سعتْ، أتتِ المروةَ، ففعلت ذلك أشــواطًا، ثم قالت: لو ذهبتُ فنظرتُ ما فعل، تعني الصبيَّ، فذهبتْ فنظرتْ فإذا هو على حالِهِ كأنَّهُ يَنْشَــغُ للموتِ، فلم تُقِرَّها نفسُها، فقالت: لو ذهبتُ فنظرتُ، لعلِّي أُحِسُّ أحدًا، فذهبــتْ فصعدتِ الصفا، فنظرتْ ونظرتْ فلم تُحِسَّ أحدًا، حتــى أَتَمَّتْ ســبعًا، ثُمّ قالت: لــو ذهبتُ فنظرتُ ما فعَلَ، **فإذا هي بصوتٍ، فقالــت: أَغِثْ إن كان عندكَ خيرٌ، فإذا جبريلُ، قال: فقال بعَقبِهِ هكذا، وغمــزَ عَقِبَهُ على الأرضِ، قال: فانبثَقَ الماءُ، فدهشــت أمُّ إســماعيلَ، فجعلت تحفِرُ، قال: فقال أبو القاسمِ ﷺ: (لو تَرَكَتْهُ كان الماءُ ظاهرًا.) قال: فجعلتْ تشربُ من الماءِ ويَدِرُّ لبنها على صبيِّها، قال: فمرَّ ناسٌ من جُرْهُمَ ببطنِ الوادي، فإذا هم بطيرٍ، كأنَّهم أنكروا ذاك، وقالوا: ما يكونُ الطيرُ إلّا على مــاءٍ، فبعثوا رســولهم فنظرَ فــإذا هم بالمــاءِ، فأتاهم**

فأخبرهم، فأَتَوْا إليها فقالوا: يا أمَّ إسماعيلَ، أتأذنينَ لنا أن نكونَ معكِ، أو نسكنَ معكِ؟ فبلغ ابنُها، فنكح فيهمُ امرأةً، قال: ثم إنَّهُ بدا لإبراهيمَ، فقال لأهلِهِ: إني مُطَّلِعٌ تركتي، قال: فجاء فسلَّمَ، فقال: أين إسماعيلُ؟ فقالت امرأتُهُ: ذهب يصيدُ، قال: قولي لهُ إذا جاء: غَيِّرْ عتبةَ بابكَ، فلمّا جاء أخبرتْهُ، قال: أنتِ ذاكَ، فاذهبي إلى أهلكِ، قال: ثُمَّ إنَّهُ بدا لإبراهيمَ، فقال لأهلِهِ: إني مُطَّلِعٌ تركتي. قال: فجاء فقال: أين إسماعيلُ؟ فقالت امرأتُهُ: ذهب يصيدُ، فقالت: ألا تنزلُ فتَطْعَمَ وتشربَ؟ فقال: وما طعامُكم وما شرابُكم؟ قالت: طعامُنا اللحمُ وشرابُنا الماءُ. قال: اللّهُمَّ بارِكْ لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسمِ ﷺ: (بَرَكةٌ بدعوةِ إبراهيمَ.) قال: ثُمّ إنَّهُ بدا لإبراهيمَ، فقال لأهلِهِ: إني مُطَّلِعٌ تركتي، فجاء فوافقَ إسماعيلَ من وراءِ زمزمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لهُ. فقال: يا إسماعيلُ، **إنَّ ربَّكَ أمرني أن أبنيَ لهُ بيتًا.** قال: أَطِعْ ربَّكَ، قال: إنه قد أمرني أن تُعينَني عليهِ، قال: إذنْ أفعلُ، أو كما قال، قال: فقاما فجعل إبراهيمُ يبني، وإسماعيلُ يُناوِلُهُ الحجارةَ ويقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقرة: ١٢٧]. قال: حتى ارتفعَ البناءُ، وضعف الشيخُ عن نقلِ الحجارةِ، فقام على حَجَرِ المقام، فجعل يُناوِلُهُ الحجارةَ ويقولانِ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقرة: ١٢٧] صحيح البخاري (٣٣٦٥).

إذا وقفتَ وتهيّأْتَ للصلاة

اعلم أنك وأنت واقف بين يدي ربِّك في الصلاة، فقد أقبل الله تعالى عليك، ونصَبَ وجهه تلقاءَ وجهك، وما يحجُبكَ عن رؤيته تعالى بُعدُ زمان ولا مكان، ولا جبال ولا بنيان ولا زحام، فليست رؤية الله مرهونةً بوجود درجةٍ من الضوء المنعكس الذي يسقط على الأشياء ثُمّ ينعكس عنها فيجعلها ظاهرة لمن ينظر إليها، وليست رؤية الله مرهونةً بوجود درجةٍ من الوضوح بلا حواجز مادّيّة أو درجة من القرب، كما هو في رؤية الأشياء من حولنا، فحاشى الله، فالله هو نور السمٰوات والأرض، له حُجُبٌ من نور، لو رُفِعَتْ في الحياة الدنيا لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِه، ولَدُكَّ كلُّ جمادٍ، ولَصَعِقَ كلُّ حيٍّ في هذه الدنيا، (حجابُه النورُ، أو النارُ، لو كشفَه لأحرقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِه ما أدركَه بصرُه مِن خَلْقِهِ.) أخرجه مسلم (١٧٩).

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ** فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فما تحمَّلَ موسى عليه السلام وما تحمَّلَ الجبلُ تَجلِّيَ الله تعالى.

تذكَّــر أن الله تعالــى يُقبل عليــك، وينصِبُ وجهَــه الكريمَ لوجهِكَ على الكيفيّة التــى أراد، إذا وقفتَ بين يديه تصلّي، (**لا يزالُ اللهُ ﷻ مُقبلًا علــى العبدِ ما لم يلتفِتْ، فــإذا صرَفَ وَجْهَهُ انصرفَ عنهُ.**) رواه العراقي في المستخرَج على المستدرَك (٨٥)، وإسناده حسن. (إنَّ اللهَ أمرَ يحيى بنَ زَكريّا بخمسٍ كَلِماتٍ يَعْمَلُ بِهنَّ ويأمرُ بني إسرائيلَ أن يعملوا بِهنَّ، فوعــظَ النّاسَ ثُمَّ قال: **وإنَّ اللهَ ﷻ أمرَكــم بالصَّلاةِ، فإذا نَصَبْتُــم وُجوهَكم فلا تلتفِتوا، فإنَّ اللهَ ﷻ ينصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْــهِ عبدِهِ إذا قامَ يصلِّي، فلا يصرفُ وجهَهُ عنهُ حتَّى يَكونَ العبدُ هوَ يصرِفُ.**) رواه التِّرمِذي في سُنَنه (٢٨٦٣)، وإسناده صحيح.

فقِفْ أمــام ربِّك كأنكَ تراه، فــإن لم تكن تــراه فإنه يراك، وأحسِنْ وُقوفَكَ بين يَدَيْ ربِّك في الصلاة. (كان النبيُّ ﷺ بارزًا يومًا للنــاسِ، فأتاه جبريلُ فقال: ما الإيمان؟ قــال: أن تَؤْمِنَ باللهِ وملائكتِه وبلقائِه ورُسُلِه، وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ. قال: ما الإسلامُ؟ قال: الإسلامُ أن تَعْبُدَ اللهَ ولا تُشْــرِكَ به، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤدِّيَ الزكاةَ المفروضةَ، وتصومَ رمضانَ. قال: **ما الإحســانُ؟ قال: أن تَعْبُدَ اللهَ كأنكَ تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنه يَراكَ.** قال: متى الســاعةُ؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ مِن السائلِ، وسأُخْبِرُك عن أشراطِها: إذا وَلَدَتْ الأَمَــةُ ربَّها، وإذا تَطاولَ رعاةُ الإبــلِ البُهْمُ في البُنيانِ في خمسٍ لا يَعْلَمُهنَّ إلّا الله. ثُمّ تــلا النبيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ

ٱلسَّاعَةِ ...﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. ثم أَدْبَرَ، فقال: رُدُّوه. فلم يَرَوْا شيئًا، فقال: هذا جبريلُ، جاء يُعَلِّمُ الناسَ دينَهم.) رواه البخاري فى صحيحه (٥٠). (أخذ رسولُ اللهِ ﷺ ببعضِ جسدي فقال: **اعْبُدِ اللهَ كأنَّكَ تراه**، وكنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ.) رواه أحمد في المسند (٦١٥٦)، وإسناده صحيح.

تذكّرْ أنّ الصلاة مناجاة، فناجِ فيها ربَّكَ كأنكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وكذلك فليكن جميعُ أمرِكَ بعدَ الصلاة؛ تعبُدُ الله به كأنكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ولا تكن صلاتُك ترانيمَ تدندنُ بها كمن يغنّي، فهو لايناجي ولا يحدّث أحدًا، بل يتْبَعُ هواه، والآن فلتدخُلْ في الصلاة.

الله أكبر

اعلمْ أنّ قولكَ (الله أكبر)، بــه تدخل في الصلاة، فتنتقلُ من حالِكَ إلى حالٍ آخر؛ مِن مخالطــة الخَلْقِ والمخلوقات، ومتابعةِ شؤون مَعاشِــك إلى الوقوف بين يدَيْ الخالق، فتتركُ كلَّ شيء إلى الخَلْوة بالله وُقوفًا بين يديه، كما ستقفُ بين يديه يومَ القيامة ليس بينك وبينه حجاب ولا تُرْجُمان، و(اللهُ أكبرُ) كذلكَ شِــعارُ كلِّ عبادة وغايتُها، و(الله أكبر) تذكيرٌ لك، والتجاءٌ منكَ إلى ربِّكَ وإقرار منكَ، أنَّ الله هو الكبير ذو الكبرياء، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ **وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ** وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البَقَـرة: ١٨٥]، (كنتُ عندَ رســولِ اللهِ ﷺ، فجاءَهُ رجلانِ، أحدُهما يشكو العَيْلَةَ، والآخرُ يشكو قَطْعَ السبيلِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أَمّا قَطْعُ السبيلِ، فإنَّهُ لا يأتي عليكَ إلّا قليلٌ، حتى تخرُجَ العيرُ إلى مكّةَ بغيرِ خَفيرٍ، وأمّا العَيْلَةُ، فإنَّ الساعةَ لا تقومُ، حتى يَطوفَ أَحدُكُم بصَدَقَتِهِ، لا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُها منهُ، **ثم لَيَقِفَنَّ أحَدُكُم بينَ يَدَيْ اللهِ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ حجابٌ،**

ولا تُرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ لهُ، ثم لَيَقولَنَّ لـهُ: ألم أُوتِكَ مالًا؟ فلَيقُولَنَّ: بلى. ثُمْ لَيَقولَنَّ: ألم أُرْسِلْ إليكَ رسـولًا؟ فليقولَنَّ: بلى. فينظُرُ عن يمينِهِ فلا يَرَى إلّا النارَ، ثُمّ ينظُرُ عن شِمالِهِ فلا يَرَى إلّا النارَ، فلْيَتَّقِيَنَّ أحدُكمُ النارَ ولو بِشِـقِّ تمرةٍ، فإنْ لم يَجِدْ فبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.) صحيح البخاري (١٤١٣).

المعنى اللغوي

الكبير: ضدّ الصغير، وأَصْلُ الكِبْرِ والكِبْرِيـاءِ الامْتِناعُ وقلَّةُ الانْقِيادِ.

الكبير: المصرِّفُ مَنْ دونَهُ على ما يريدُه (لِسَعَةِ علْمِه ودرايَتِهِ وخبْرَتِه) دون ما يريدونه.

الكبير: هو أعلم القوم، وله الرياسـة فيهم، ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ **قَالَ كَبِيرُهُمْ** أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [يوسـف: ٨٠]، لمّا اشتدّ عليهم الأمر كان الكلام والرأي لكبيرهم، فأطاعوه لعِلْمِه وعقلِه وترأُّسِه عليهم، فكبيرُهم أَعْلَمُهم، وهو رئيسهم.

وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنه وهدْمِه الكعبـة: «فلمّا أَبرَزَ عن رَبَضِه دعا بكُبْرِه فنظروا إليه.» أَي بمشايخه وكُبَرائه.

هو كُبْرُ قومه، أَي هو أَقْعَدُهم في النسب، وهو أَن ينتسب إلى جدِّه الأَكبر بآباء أَقلّ عددًا.

الأَكْبَر: الأَسَنُّ، فمَن سبق صاحبَه في الوجود فهو أكبرُ منه.

الأكبر: الأفضل، ففي الدفن: (ويُجعل الأَكْبَرُ ممّا يلي القبلة) أَي الأَفضل.

وكَبُرَ الأَمْرُ: عَظُمَ، وكِبْرُ الأمر: معظمُه وأكثرُه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، قال ثعلب: يعني معظم الإفك؛ كِبْرُ الشيء: مُعْظَمُه؛ تولّى عُظْمَ الأَمر، يريدون أَكثره.

والكِبْرُ: الرفعة في الشرف.

كذلك، فالكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله، بل تسري إلى غيره، فلا يجالسه أحد إلّا ويُفيض عليه شيئًا من كماله. وكمال العبد في عقله وورعه وعلْمه، فهو مرشدٌ للخَلْق وقدوةٌ لهم، وله الرفعة والشرف والسيادة. وكذلك الكبير المتقدّم في السنّ هو الأقرب إلى الجدّ، فله من طول الخبرة والفهم وسعة المدارك ما ليس لغيره من حديثي السنّ البعيدين عن ذوي الخبرة من الكبراء، وكذلك كبير القوم الذي يصدُرون عن أمره، ولا يخالفونه في الرأي، ويرجعون إليه وقتَ

الشدّة والفرح، فالله أكبَرُ له المثل الأعلى في السمٰوات والأرض، هو وحده له كمال الأسماء والصفات والأفعال، وله الكبرياء والسيادة والعَظَمة، فهو السيّد سبحانه؛ له القِدَم بلا ابتداء، وله الأزل بلا انتهاء، فهو الأوّل والآخر؛ وله العلم والحكمة، فهو العليم الحكيم الخبير، وهو الوليّ الحميد، وإليه المَرجِع، فمَن تقرّب إليه أفاض عليه من فضله فصار سَمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، فالله أكبر، فهل أنتَ عبدٌ لله الكبير؟ قريبٌ منه ومن أوليائه؟

(يقولُ اللهُ تعالى: مَن عادَى لي وليًّا فقد بارزَني بالمحاربةِ، وما تقرَّبَ إليّ عبدي بمِثْلِ أداءِ ما افترضْتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرّبُ إليّ بالنوافلِ حتى أحبَّه، **فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يَبطِشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، فبي يسمعُ، وبي يُبصرُ، وبي يَبطِشُ، وبي يمشي؛ ولئِن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه**، وما تردَّدْتُ في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قبضِ نفسِ عبدي المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأكرهُ مَساءتَه، ولا بُدَّ له منه.) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

الكِبْر، بالكسر: الكبرياء، والكبرياء: العَظَمة والتجبُّر.

الكِبْرِياء: المُلْك، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونُس: ٧٨].

المُتَكَبِّرُ: متكبِّرٌ على عُتاةِ خَلْقِه، إذا نازَعُوهُ العَظَمَةَ قَصَمَهُم.

المُتَكَبِّر: الذي تَكَبَّر عن ظلم عباده، لِما له من جميع صفات الكمال والجلال، أمّا العبد، فلا يسَعُه إلّا الخشوع والتذلُّل والافتقار للربّ الكبير المتكبّر.

والمتَكَبِّرُ أَيْضًا: هُوَ الَّذي تَكَبَّرَ عَنْ كُلِّ سوءٍ، المُتَعَظِّمُ عَمّا لا يَليقُ بِهِ مِنْ صِفاتِ الحَدَثِ وَالذَّمِّ، وَتَكَبَّرَ عَنْ ظُلْمِ عِبادِهِ لكمالِ صفاتِه ورِفعةِ منزلته وشرف قدرِه؛ (فالظلم منع الحقوق وانتهاكها، ووضع الأمور في غير موضعها، وما ذلك إلّا لنقصٍ أو لفساد في النفوس، أو لِكِلَيْهما معًا)، وَتَكَبَّرَ عَنْ قَبولِ الشِّرْكِ فِي العِبادَةِ، فليس لأحدٍ أيُّ شيء من صفات الله الكبير المتكبّر يكون له بها منزلة كمَنزلَتِه ـ سبحانه ـ ولا قدْرٌ كقدْره ـ سبحانه ـ، فليس لأحد شيءٌ يُرغب، أو يُطلب، أو يُرهب، من دون الله، فلا يرضى الله ـ سبحانه ـ أن يسوَّى بينه وبين مَن هم دونه مِن خَلْقه، فيُشْرَكَ معه أحدٌ في القربى، فَلا يَقْبَلُ مِنْ العبادةِ إلّا ما كانَ خالِصًا لِوَجْهِهِ، قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى: (**أَنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.**) صحيح مسلم (٤٦).

وَقالَ القُرْطُبِيُّ: «الْمتَكَبِّرُ: الذي تَكَبَّرَ بِرُبوبِيَّتِهِ، فَلا شَيْءَ مِثْلُهُ.» فالكبير كبير بربوبيّته، فالربّ هو الكبير.

الله أكبر، الكبير: كلامه كلُّه حقّ

كلام الكبيـــر كلُّه حقّ وصدق، وهو لا يُخلـــف وَعْدَه، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سَـبأ: ٢٣]، فَقالُوا: الْحَقَّ، وَعَلِموا أَنَّ اللهَ لا يَقُول إِلّا حَقًّا، وَأَنَّهُ مُنْجِزٌ ما وَعَدَ.

الكلام للكبير: يقدَّم الكبير في الكلام

(عن محيصة بن مســعود وعبد الله بن ســهل أنهما انطلقا إلى خيبر فتفرّقا في النخل، فقُتل عبد الله بن سهل، فاتهموا اليهود، فجاء أخوه عبد الرحمٰن، وابنا عمّه حويصة ومحيصة إلى رســول الله ﷺ، فتكلّم عبد الرحمٰن في أمر أخيه، وهو أصغرُهم، فقال رسول الله ﷺ: **كبِّر كبِّر، ليبدأ الأكبر**، فتكلَّما في أمر صاحِبهما.) متَّفَق عليه.

الكبير كلامه لا يقدَّم عليه شيء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحُجُرات: ١].

الكبير لا يَجهل شيئًا من أمر سؤدَده، فعنده علم كلّ شيء

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ

شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧]، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشُّعَراء: ٤٩]، فالكبير مَن له علمٌ ودراية وخبرة، فلا يَخفى عليه شيء ممّا يؤولُ أمرُه إليه.

الكبير له الحكم

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القَصَص: ٨٨].

الطاعة للكبير

الكبير له الطاعة والسيادة، ولا يُعمَل أيّ شيء إلّا بمشورته، لِما له من سابق وجود ومعرفة وخبرة، ولكونه مُعينًا لِمن أطاعه،

فيكون معه ناصرًا له، مُظْهِرًا لأمرِهِ، هاديًا له، معينًا له؛ ولكونه لا يترك مَن أطاعه ومَن عَصاه من دون حساب، ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فما أذن فيه الكبير وأمر به ودعا إليه، فهو معينٌ عليه، ناصرٌ له، مُجازٍ عليه؛ لأنّ الكبير يحبُّ مَن يسمع كلامه ويطيع أمره، ولا يرضى أن يتكبّر أحد على كلامه فيستهزئ به، ويصدّ عنه، ويأتي ما يخالفه، ويدعو إلى ما يخالفه، بل ويعتدي على مَن يأخذ بـه، فالله أكبر، ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشُّعَراء: ١٤، ١٥]، ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٧٣]، ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور: ٣٨]، ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

الإمارة والرئاسة والقيادة للكبير

الكبيرُ كبيرُ علمٍ وفضلٍ وعقلٍ ودين، فله الإمارة والرياسة والقيادة، وإن كان حديثَ السنّ، وبالقرآنِ يرفعُ الله مَن يشاء، فهو

كلامُ الله الكبيـــر، (بعـــث رســـولُ الله ﷺ **بَعْثًا، وهـــم ذَوو عدد، فاســـتقرأهم، فاســـتقرأ كلَّ واحد منهم، يعني ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم ســـنًّا، فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وســـورة البقرة،** فقال: أمَعَكَ ســـورة البقرة؟ قال: نعم. قال: **اذهبْ فأنـــت أميرُهم.** فقال رجل من أشـــرافهم: والله ما منعني أن أتعلَّـــم البقرة إلّا أني خشـــيتُ ألّا أقـــومَ بها. فقال رسول الله ﷺ: تعلَّموا القرآن واقرأوه؛ فإنّ مَثَلَ القرآنِ لِمَن تعلَّمَه فقرأه وقام به، كَمَثَلِ جرابٍ محشـــوٍّ مســـكًا يفوح ريحُه في كلّ مكان، ومَثَلُ مَن تعلَّمه، فيرقُدُ وهو في جوْفِه، كَمَثَلِ جرابٍ أُوكِيَ على مِسك.) صحيح ابن حِبّان (٢٥٧٨).

الكبير له الولاء

ففي الحديث: (الوَلاءُ للكُبْر.) وهو أَن يموت الرجل ويترك ابنًا وابن ابن، فالولاء للابن من دون ابن الابن.

الوليّ

هو الناصر المتولّي لأمر العوالم القائم بها.

هو مَن له القدرة والتدبير والفعل.

هو الأحرى والأجدر بتولّي أمر مَن تولّاه.

المولى: هــو الحليف، وهو مَــن انضمّ إليك، فعــزَّ بعزِّك، وامتنع بِمَنْعَتِك.

والى: أحبّ.

والى: عزل.

وليٌّ: قريب.

تولّى الشيء: لزمه.

وَلِيَهم: أي تولّى ثوابهم ومجازاتهم.

تولّيت فلانًا: اتَّبَعْتُه ورضيتُ به.

كلّ مَن عبد شيئًا من دون الله فقد اتّخذه وليًّا مِن دون الله.

ولاية/أو موالاة الصغير للكبير: أن يلزَم أمره ونهْيَه، ويتبعَه، وينصرَ قولَه مع محبّة، فيطيع أمره ويأخذ به، ويبذل الجهد دفاعًا عنه ونشــرًا له، نُصرةً لأمــر الكبير. أمّا ولاية/أو مــوالاة الكبير للصغير فهــي أن يُدنيَ الصغيرَ منــه، ويتولّى أمــره، ويقوم به، وينصره، ويدافع عنــه، فيعزّه بعزتــه، ويمنعه بمَنْعَتِــه، ويتولّى مجازاته وحده، فلا يتعدّى عليه أحد؛ فكنْ من أولياء الله الكبير، وهو الغنيّ عنــك، حتى يتولّاكَ اللهُ الكبيــر، وأنت المحتاج إلى ولايته، فالله أكبر.

الكبير يحفظ مَن والاه فلا يُنال ممَّن والاه

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الكبير إليه الملاذ وَحْدَه إذا ألمّ بكَ أمر

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

المتكبّر من الخلق من امتلأت نفسه من الكبر والكبرياء

أي مَن تعزَّزَ وتعاظم في نفسه مع استعلاء واحتقار للغير وغَمْطِ الناس (غَمْطُ الشيء: أن تحقِره وتعيبه وتستصغره)، فهو يتكبّر، أَي أَنه يَرَى أنه أَفضل الخَلْق، وأَنّ له من الحق ما ليس لغيره، وهذه الصفة لا تكون إلّا لله خاصّة؛ لأَنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة، والفضل الذي ليس لأَحد مثله، واستكبار الخَلْق علامتُه امتناعُهم عن قَبول الحقّ، (لا يدخُلُ الجنَّةَ مَن كان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ. قال رجلٌ: إنَّ الرَّجلَ

يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسنةً. قال: إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ. **الكِبْرُ بَطْرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاسِ.**) صحيح مسلم (١٤٧).

ومن ثَمّ، فالله الكبير: لا كلام أصدق من كلامه، فكلامه حقّ وصدق، وخير وفلاح، وفيه صلاحُ كلِّ الخَلْق، ومن أخذ به علا أمــرُه، وذكا صيتُهُ، وحَسُــن خلقُه، وهــو وليّ مَن تــولّاه، وله الحكم، وله الطاعة، وله الكبرياء وحــدَه، وهو المتكبر عن كلّ نقص وســوء، وعلى كلّ مَن يَعصيه ويخالفه ويتعالى على أمره، والكبير لا يبدّل كلامه، وهــو منفِّذُ وعده، فالله أكبر، ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ذكركم أي رفعتكــم، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ **ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ** يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزُّمَــر: ٢٣]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ **مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ** وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩]، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ **لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ** وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الــروم: ٦]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن **قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ** ﴾ [سَبَأ: ٢٣].

فأطِع كلامَ الكبير، ولا كبير إلّا الله، فالله أكبر، فإن أطعتَ غيره ضلَلْت وخســرت وندمت. والكبير ســبحانه يحبّ ألّا يقدَّم شيءٌ

على كلامه، ويحبّ أن يُسمع كلامُه، وينفَّذ كما قال، ويغضب على من يستهزئ بكلامه ولا يهتمّ به؛ فعلى جميع الخَلق إطاعة كلامه بلا تردُّد أو تباطؤ أو استخفاف؛ فكلامه مُطاعٌ وسارٍ، ونافذٌ على جميع الخَلْق، فالكبير لن يتركَكَ ولن يترك أحدًا من دون حساب، فهو رادُّكَ إليه سريعًا للحساب في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة؛ فالله أكبر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجرات: ١]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٥، ١٦]، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥]، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٥٢].

الله الكبير، ذو الكبرياء، فليس لأحد أن يقدّم كلامًا على كلامه، وليس لأحد أن يعصي كلامه أو يكسره من دون حساب أو عقاب، وليس لأحد قسطٌ من صفات الله ترجّحُ كلامه على كلام

الله، فيكون كلامه ككلام الله في كونه حقًّا وصدقًــا ونافذًا وواقعًا وفيه الصلاح، فهو ـ ســبحانه ـ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فلا يشاركه ولا يماثله أحد في صفاته، وليس لأحد شراكة لله في مُلْك الله، فتكون له كلمة في ملْك الله خلافَ ما قال الله، وليس هناك مَن عزّ أن تمضي عليه كلمات الله فيكون الله في حاجة لوليّ يجبر تلك الذلّة، فالله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحُجُرات:١].

قضى الكبير أنه لن يُهلِك مَن آمن به بِسَنة عامّة من قحط أو غرق أو حــرق؛ فهل أنت مــن أولياء الكبيــر؟ (إنَّ اللهَ زوى لي الأرضَ، فرأيتُ مشــارقَها ومغاربَهــا. وإنَّ أُمتي ســيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لــي مِنها. وأعطيــتُ الكنزينِ الأحمــرَ والأبيضَ. **وإنِّي سألتُ ربِّي لأُمّتي أنْ لا يُهلكَها بسنةٍ عامّةٍ. وأنْ لا يُسلِّطَ عليهِمْ عدوًّا مِنْ سِــوَى أنفسِــهمْ. فيســتبيحَ بيضتَهُــمْ. وإنَّ ربِّي قال: يا محمدُ! إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنهُ لا يُرَدُّ. وإنِّي أعطيتُكَ لأُمّتِكَ أنْ لا أُهلكَهُمْ بســنةٍ عامّةٍ. وأنْ لا أُســلّطَ عليهِمْ عدوًّا مِنْ سِوَى أنفسِــهمْ يســتبيحُ بيضتَهُمْ. ولوْ اجتمعَ عليهِمْ مَنْ بأقطارِها** ـ أو قال مَنْ بينَ أقطارِها ـ حتى يكونَ بعضُهمْ يُهلكُ بعضًا، ويَســبي بعضُهمْ بعضًا.) صحيح مسلم (١٩).

فخذ بكلام الكبيـــر، وكن من أوليائه ولا تخف شـــيئًا، فالله أكبر.

الكبيـــر لا تُنال ولايته إلّا بطاعة كلامه علـــى تقوًى منه، وهو الكبير سبحانه، فلن يتركك إن أطعْتَه، بل يُعينك على كلامه ويُبينه لك، وهو الكبير ذو الكبرياء فلا يرضى أن يتعدى عليك أحد، أو أن يشتدّ عليك شـــيء وأنت على أمره، وما دمتَ على أمر الله فلا تخف شـــيئًا؛ فالكبير معك يسمع ويرى، فالله أكبر، ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥، ٤٦]، فـــإن أردت رضى الكبير عنك وإعانتَه لك في عملك، ونُصرتَه لك، فاتَّبعْ أمـــره في ما تعمل، فعلى قدْر أكبارك لله، على قدْر توجُّهِكَ إليه في أمركَ كلِّه؛ وعلى قدْر طاعتكَ لكلامه، وعلى قـــدْر ولايتِكَ له، على قدْر تولّيـــه لأمركَ، وإعانتِه ونصرتِه لكَ، ورضوانه عليك، ومعيّته لك، فالله أكبر.

الكبير تكبّر عن ظُلم عباده، فأطِعْ أمرَه، ولن تُظلَم شيئًا، ولا تلومنَّ إلّا نفسَـــك إن خالفتَ أمـــره، وكن من أوليائـــه، فهو لن يظلمَكَ حقَّـــكَ إن أطعت كلامه، فالله أكبر، فاســـتمِعْ، واســـمعْ كلامَه، وكن مـــن أوليائه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

فإن آمنتَ بـــالله الكبير، وعملتَ الصالحـــات التي أمركَ بها (فما أمَـــرَكَ إلّا بما فيه صلاحٌ وإصلاحٌ لـــك ولمن حولك؛ فهو

الكبير سبحانه)، نلتَ ما وعدكَ به، ولن يذهب عملُكَ هباءً، ولن تتحسَّر على ما أنفقتَ فيه، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البَقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

الكبير يدافع عن أوليائه، وينصرهم ويعادي من عاداهم، فهو لكونه الكبير ذا الكبرياء؛ لا يرضى، ولا يقبل، ولا يسمح لأحد أن يمضي كلامه على كلامه، ولا أن يتعدّى، أو يجهل أو يبغيَ أحد على مَن أطاع كلامَه وصار من أوليائه، ولا يرضى أن يترك أحدًا يستخفّ بكلامه ويستهزئ به من دون أن يعاملَه بكبريائه وتكبُّره، ويصبّ عليه من عقابه وعذابه وغضبه، فالله أكبر من كلّ أحد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ

كَفُورٍ ﴾ [الحَجّ: ٣٨]، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، (**إنَّ اللهَ قال: مَن عادَى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ**، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممّا افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصِرُ به، ويدَه الَّتي يبطِشُ بها، ورِجْلَه الَّتي يمشي بها؛ وإن سألني لَأُعطينَّه، ولئن استعاذني لَأُعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن نفسِ المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأنا أكرهُ مَساءتَه.) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

كن كبيرًا بإكبارك لربّك، وقد حمَّلك أمانتَه، فخُذْ بكلامه، ولا ترضَ أن يتعدّى أحد على كلامه، أو أن يستهزئ أحد به، أو أن يصدّ أحد عن كلامه ـ تعالى ـ، واحفظ أمانة الكبير بأن تقوم بها، وبأن تؤدّيها إلى خَلْقه، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، وانظر إلى تواضع النبيّ ﷺ في نفسه وإكباره لربّه الكبير، (**ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مُنْتَصِرًا من مَظْلَمَةٍ ظُلِمَها قَطُّ ما لَمْ يُنْتَهَكْ من**

مَحارِمِ اللهِ شيءٌ، فإذا انْتُهِكَ من مَحارِمِ اللهِ شيءٌ كان أَشَدَّهُمْ في ذلكَ غَضَبًا، وما خُيِّرَ بين أَمْرَيْنِ إلّا اخْتارَ أَيْسَرَهُما، ما لمْ يكنْ مَأْثَمًا.) مُسند الحميدي (٢٦١)، وإسناده صحيح.

فكن من أولياء الله بأن تؤمن به وتعمل بكلامه على علم به، وعلى تقوًى منه، لتعيش في كنف الله الكبير ورعايته وحفظه، فالله أكبر، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، (**إنَّ اللهَ تعالى يقول أنا عندَ ظنِّ عبدي بي**، إنْ ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فلَه.) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، فهل تُحسن الظنَّ بالله أنه هو الكبير سبحانه، وأن الله أكبر؟

الكبير يحبّ الرجّاع إليه، الراغبَ في عفوه، ومغفرته لمن أقرّ بذنبه إذا عصاه، فلا تكن آبقًا من الكبير، إذ لا وليّ لك من دونه يجيرك منه، ويدافع عنك وينصرك أمامه تعالى، ويشفع لك عنده، أو يكفيك أمرك من دونه، فالله أكبر، (**لَلّهُ أفْرَحُ بتوبةِ العبدِ** من رجلٍ نزَلَ مَنزِلًا وبهِ مَهلَكُهُ، ومعَهُ راحلَتُهُ، عليْها طعامُهُ وشرابُهُ، فوضَعَ رأسَهُ فنامَ نوْمةً، فاسْتيقظَ، وقدْ ذهبَتْ راحلتُهُ، فطلَبَها، حتى إذا اشْتَدَّ عليه الحرُّ والعَطَشُ، قال: أرجِعُ إلى

مَكانِي الَّذي كنتُ فيه، فأنــامُ حتى أموتَ، ثمَّ رفعَ رأسَــهُ، فإذا راحلتُهُ عِندَهُ، عليْها زادُهُ: طعامُهُ وشــرابُهُ! **فاللهُ أشدُّ فرَحًا بتوبةِ العبْدِ المؤمِنِ من هــذا بِراحلَتِه وزادِهِ.**) أخرجــه أحمد (٣٦٢٧)، وإســناده صحيح. (... أنّ رجــلًا جاء إلى رســول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أحدُنا يُذنب، قال: يُكتَبُ عليه، قال: ثُمّ يستغفر منه ويتوب، قــال: يغفرُ له ويتــاب عليه، قال: فيعــود فيذنب، قال: فيكتَب عليه، قال: ثمّ يســتغفر منه ويتوب، قال: يغفر له ويتاب عليه، **ولا يملّ اللهُ حتى تملّوا.**) أخرجه البخاري (٤٣)، ومســلم (٧٨٥)، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ [البقــرة: ١٠٧]، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ [هــود: ١١٣]، ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فالله أكبــر في الفرح فرحًــا بإحقاق الكبيــر لكلامه ولوعده وبصدقه إن كنت على أمره، والله أكبر فرحًا لســماع وعده، فهو موقِعُــه لا مَحالةَ ما دُمتَ علــى أمره، فهو الكبيــر، ولا يخلف الكبير وعده. والله أكبر في الشِّدّة استبشارًا بوعد الكبير، إن كنت على أمره فهو الكبير، والكبير لا يتــرك مَن كان على أمره، وهو موقِع كلامه ووعده ومنجزه ومحقّقه. إن كنتَ على أمره فلا شيء

أكبر منه، فليكن كلّ أمرك موافقًا لـكلام الله الكبير ولأمره، تفزْ بوعـده، (يقول الله ﷻ يـومَ القيامة: يـا آدم، يقـول: لبَّيْكَ ربَّنا وسَـعْدَيْك، فيُنادَى بصوت: إنّ الله يأمرك أن تخـرج من ذرّيّتِك بعثًا إلى النار، قال: يا ربّ وما بعْثُ النـار؟ قال: مِن كلّ ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذٍ تضع الحامل حمْلها، ويشـيب الوليد، وترى الناس سـكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشـقّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم. فقال النبيّ ﷺ: مِن يأجوج ومأجوج تسـعمائة وتسـعة وتسعون ومنكم واحد، ثُمّ أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشـعرة البيضاء فـي جنب الثور الأسـود، **وإني لأرجـو أن تكونوا رُبْعَ أهـل الجنّة، فكبَّرْنا. ثُـمّ قال: ثلث أهل الجنّة، فكبّرنا، ثمّ قال: شـطر أهـل الجنّة، فكبّرنـا.**) البخاري (٤٧٤١)، (لمّـا كـان حـين أمـرنـا رسـولُ اللهِ ﷺ بحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَـتْ لنا في بعضِ الخَنْـدَقِ صخرةٌ لا نأخذُ فيهـا المَعاوِلَ، فاشتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال: بسمِ اللهِ، **فضرب ضرْبةً فكسَرَ ثُلُثَها، وقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ،** واللهِ إنّي لَأُبْصِرُ قُصورَها الحُمْرَ السـاعةَ، **ثمّ ضربَ الثانيةَ فقطعَ الثُّلُثَ الآخَرَ فقال: اللهُ أكبـرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فـارسَ،** واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصرَ المدائـنِ أبيضَ، **ثمّ ضربَ الثالثةَ وقال: بسـمِ اللهِ، فقطعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ** فقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللهِ إني

لَأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ.) رواه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بإسناد حسن (٧/٤٥٨). فالتكبير فرحًا بوعد الله، (كُنَّا إذا **صَعِدْنا كَبَّرْنا**، وإذا نَزَلْنا سَبَّحنا.) البخاري (٢٩٩٣). (عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنّ النبيَّ ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغْزو بنا حتى يُصْبِحَ وينظرَ، فإن سَمِعَ أذانًا كَفَّ عنهم، وإن لم يسمعْ أذانًا أغارَ عليهِم، قال: فخرجْنا إلى خيبرَ فانتَهَيْنا إليهم ليلًا، فلمّا أصبحَ ولم يسمعْ أذانًا رَكِبَ ورَكِبتُ خلفَ أبي طلحةَ، وإنَّ قدَمي لتَمَسُّ قدَمَ النبيِّ ﷺ قال: فخرجوا إلينا بمكاتِلِهم ومساحيهم، فلمّا رأَوُا النبيَّ ﷺ قالوا: محمدٌ واللهِ، محمدٌ والخميسُ! قال: فلمّا رآهُم رسولُ اللهِ ﷺ **قال: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، خَرِبَتْ خيبرُ**، إنّا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرينَ.) البخاري (٦١٠)، فالتكبير في الشدّة عند لقاء العدوّ أو صعود المرتفعات، وهو كذلك يُذهب عجب النفس أن تتذكّر أنّ ما بها من نعمة فمِن الكبير الذي أنجز وعده، فالله أكبر، فكن على أمره دومًا تَفُزْ.

الله الكبير ذو الكبرياء

فالكبرياء: الامتناع عن تبعيّة الآخَر والانقيادِ له، وقَبولُ أيّ أمر فيه خفضٌ لِشأنِ ذي الكبرياء، لِما له من كمال الذات (الجامع لمحامد الصفات، المنزّه عن كلّ نقص، الذي ليس

كَمِثله شيء، وهو السميع البصير). وهو ـ سبحانه ـ كامل الوجود، وكمال وجوده يرجع إلى شيئين: أحدهما دوامه أزلًا وأبدًا (ومن ثَمّ فقد جمع كلّ العلوم والخبرات والحِكَم)، والثاني أنّ وجودَه هو الوجود الذي يَصدُر عنه وجودُ كلِّ موجود، فلا يرضى إلّا أن تكون له العزة والسلطان والملْك؛ إذًا، الكبرياء لا تكون إلّا لله (قال اللهُ ﷻ: **الكِبْرِياءُ رِدَائِي**، والعِزَّةُ إِزَارِي، فمَنْ نازَعَنِي واحِدًا مِنْهُما أُلْقِيهِ في النارِ.) رواه ابن ماجه (٤١٧٤)، وإسناده صحيح؛ فالتكبّر لا يليق إلّا به سبحانه وتعالى، فصفة السيّد التكبُّر والترفّع، وأمّا العبد فصفتُه التذلّل والخشوع والخضوع، فقفْ خاشعًا لله وأنتَ واقف بين يديه تصلّي، فالله أكبر.

الكبير ذو الكبرياء يمتنع عن اتّباع مَن دونه منزلةً ومكانةً وقدرًا، فلا يكون حكمه ولا أمره ولا نهيه فيه اتّباع أو تبعيّة أو محاباة لهوى مَن دونَه، بل هو حقّ وصدق وعدل؛ فلا كبير سواه، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

مَن كَبُرَ عليه أمرٌ لم يستطِعْهُ، فالله الكبير لا يكبُر عليه شيء، فالله أكبر، هو العليم الخبير الحكيم القدير الأعلى: (وما يعذَّبان في كبير) أي: أمر كان يكبُر عليهما ويشقّ فعْلُه لو أراداه.

الله أكبر فلا كبير معه يكون كلامه ككلامه تعالى، فلا ولد له، ولاشريك له في ملْكه، ولا وليّ له، ـ لنقصٍ أو ذلٍّ أو ضعف فيه ـ سبحانه ـ يحالفه أو يبتغي النصر من عنده، فهو تعالى الواحد الأحد الصمد العظيم الأعلى؛ فهو الكبير سبحانه، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

الكبير يُلجأ إليه، ويُرجَع إليه ويُطلب منه العون على كلّ أمر ليكفيكَه، فلا عون إلّا منه، فالله أكبر، ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

الكبير ذو الكبرياء ـ كما لا يرضى أن يتعدّى أحد عليك إذا أخذتَ بكلامه ـ لا يرضى أن تتعدّى أنتَ على مَن أطاع أمره، ولا يرضى كذلك أن تسمع كلام غيره وتترك كلامه، أو أن تُعرض عنه وترغب وتخاف وتواليَ غيره، فالله أكبر، (قال اللهُ تباركَ وتعالى: **أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ. مَن عمِل عملًا أَشْرَكَ فيه معِي غيرِي، تركتُه وشرْكَه.**) أخرجه مسلم (٢٨١٦).

فالله أكبر؛ فلا تساوي بين كلامه، أو بينه تعالى، وبين كلام أحد من خَلْقه.

إذا كنتَ على أمر الكبير، ففوِّضْ أمرَكَ إلى الكبير، فهو سميع بصير عليم (بحالك)، قدير(على كلّ شيء)، وليٌّ حميد (لا يترك مَن والاه)، فالله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا، ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩].

الرضى بحكم الكبير أن ترضى بحكمه تعالى في الأمور كلِّها، فترضى بما شرَعه وبما حرَّمه وبما قضاه لك، بأنه حق وصدق وخير لك، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

هذا الاسم يورث في نفس العبد الثقة بالله ﷻ، فحين يلوذ الإنسان بالكبير ﷻ يكون عنده هذا النوع من الثقة واليقين به ﷻ أنَّ أمره حق وعدل وخير، وهو مُعينه عليه، مدافعٌ عنه، ناصرُه إذا بُغِيَ عليه، وهو مجازيه عليه خير الجزاء، ولا يُضيعه عليه، تجدُه لا يخضع لأيّ أحد، ولا يصيبه الانهزام مهما واجه، فالله أكبر، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البَقرة: ٢٦١]، ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عِمران: ١٧١]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠].

عليك بمقابلة أيّ أمر ومواجهتــه ومجاهدته باتّباع كلام الله فيه إكبارًا وولاءً لله ربِّك، وإعظامًا لأمره ونهْيِه وفضله، وإعلاءِ الله فوق كلّ أمــر لتنالَ عوْنه علــى ذلك الأمر، وتنــال نُصْرَتَه لك، وتنالَ خير جزائــه (ولا جزاء إلّا منه، فلا يملك أحــدٌ مِن مُلْكِه شــيئًا، ولا حكْم لأحد مع حكمه) ولا تُوَلِّ الدُّبُرَ وأنت على أمر الكبير، يقينًا أنّ ربَّك الكبير أكبر مما تواجه، وقد رفع الله عنك، إذ اتبعتَ كلامه، الخطأ، إذا اجتهــدتَ طلبًا للصواب ولم تتعمّد الخطأ، ورفَع عنك النســيانَ ما لم تتناسَ، وتُسْــرع إذا تذكّرتَ، ورفَع عنكَ ما استُكرِهْتَ عليه لنقصٍ في مال، أو قوّة، أو حيلة، أو وقت، أو من نُظُمٍ، أو من عدوّ، فلا يكلّفك إلّا وُسْــعَك، بل ويعطيك وينصرك ويُعينك من حيث لا تحتســب، فالله أكبر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

أمّا مَن لا يتَّبع أمر الله الكبير فــي ما يفعل ويطلب ويتكلم، بل يأخذ بآراء غيره مِن خَلْقِه وأهوائه، ويُشرك كلامَهم مع كلامه ـ تعالى ـ ويقول: يكفي أني أبغي الحق، واللهُ ناصري، فأنا على الحــق والله ناصرُ الحق؛ نعــم، الله ناصر الحق لأنــه وعد بهذا، وليس بالضرورة أن ينصره بك، فهو لم يَعِدْ بالنصر لشــخصِك،

وأنتَ لست آخذًا بكلامه ولست على أمره: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، فأين هو من كلام الله الكبير وولايته ووعده؟؟ بل مع أيّ فتنة: ترى منه العجب باسم الدين ومحبّة الله، ويظنّ أنه محسن ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، فهو لا يبرمج نفسه على الإيمان بالله الكبيرالعظيم الأعلى، ولا ينقّيها ممّا يخالفه، بل يبرمج نفسه على خلاف ذلك من دون وعي منه، ولم يدخل الإيمان قلبه بعد، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١٤].

يا عبدَ الله الكبير! كن كبير قومك بدينِ الله، فبه يرفع الله أقوامًا ويضع آخرين، وتصاغرْ لكبرياء الله، واترك الإباء عن المسارعة في طاعته، واترك الاستكبار عند سماع كلامه، فالله أكبر.

كن كبيرًا؛ فهمُّك كبار الأمور، ولا يكن التفات منك إلى صغائرها، وما كبار الأمور إلّا ما أمرك به وحمَّلك إياه ربُّك الكبير، وما صغائرها إلّا كلّ دعوة خلاف ذلك، ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا

﴿ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الحُجُرات: ٧٢].

الله أكبر: ربِّ أعنّي على أمـرك يا كبير، فأنت الأكبر من كلّ أمر، يا ذا الكبرياء، لا تدع شـيئًا أو أمرًا يعـوق كلامك ويمنعه ويتحدّاه، وأعلِ أمرَك، فلا يكن شـيء إلّا من بعـد إذنك، وإن أردت شيئًا، كان بكن فيكون، فلا رادّ لأمرك، فأنت الإلَهَ الأعلى، فلا إلَهَ إلّا الله والله أكبر.

تذكّر أنّ الله هو السـيّد في أرضه وسمائه لا غيره، وإن توهّم متوهّم بغير ذلك، له الملـك والعظمة والكبريـاء والعلوّ فيهما وحده، وله الأمر وحده، فالله أكبر.

الله أكبر ممن أمَرَك أو دعاك أو خوَّفك (ولو كانت نفسُـك) لتتركَ كلامَ ربِّك الكبير، فأجبْ نداء الله إلى الصلاة، ولا تتمسَّكْ إلّا بكلامه، فقمْ إليه قانتًا، واسمع واستمِع واتلُ كلامه.

الله أكبر: فاعلم أنه مهما جال في بالـك، فالله خلاف ذلك، فله المثل الأعلى في السماوات والأرض، والله أكبر من أن يُعرف كنْه كبريائه وعظمته، وأكبر مـن أن نحيط به علمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طـه: ١١٠]، ولذلك نُهينا عن التفكّر في الله؛ لأننا لن ندرك ذلك بعقولنا الصغيرة القاصرة المحدودة، فقد قال ﷺ: (**تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكّروا في الله**

ﷺ.) رواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، وإسناده حسن؛ ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

اعلم أنّ المتكبّر سبحانه

تكبّر عن كلّ سوء وظلْم لِما له من الشرف والعلم والحكمة.

تكبّر عن صفات الخَلْق وعن مشابهة الحوادث.

تكبّر على مَن استكبر على طاعة أمره.

فهو الكبير لِمن والاه، المتكبِّر على مَن عصاه، فالله أكبر.

التكبّر هو التعاظم على كلّ شيء دونه، فكلّ شيء دونه حقير صغير، أمّا الله فهو الكبير المتكبّر سبحانه، وهو الذي له الكبرياء في السماوات والأرض، أي له السلطان والعظمة.

إنّ التكبّر لا يليق إلّا به ﷻ، أمّا العبد فصفته الأساسيّة التذلّل والخشوع والخضوع، فحظُّ المؤمن ألّا يتكبّر في الأرض، بل يكون ذليلًا لله ﷻ، ذليلًا على المؤمنين عزيزًا على الكافرين.

وقد توعّد الله ﷻ المتكبّرين بأشدّ العذاب يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، فاستكبارهم هذا

معناه رفضهم الانقياد لله الكبير المتعال، فإذا رفضتَ الانقياد للكبير، فقد تعرّض نفسك لعقوبة المتكبر فيعاملك بصفات الكبرياء، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]؛ أي يرفضون الإذعان لكلمة التوحيد، فأصابهم العذاب من الله حيث لا تنفع المعذرة أو الإعذار، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]، يبين أنهم رفضوا الحق الذي جاءت به الرسل، وردّوه، فكان ذلك سببًا لما هم فيه من العذاب، وقال سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشُّعَراء: ١١١]، فاحتقروا أتباع الرسل، فكان هذا سببًا لإعراضهم عن الحق الذي جاءوهم به، فأصابهم من الله ما أصابهم فى الدنيا والآخرة، فالله أكبر.

واعلم أنّ مَن تكبّر في الأرض فقد شابَه إبليس، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقرة: ٣٤]، فما من طاغية في الأرض ابتُلِي بهذا الأمر إلّا وأهلكه الله ﷻ بقضاءٍ يكون فيه عبرةً لكلّ معتبِر، والدواء أن يتذكّر العبد دومًا أنه لاحول ولا قوّة إلّا بالله، وأنّ الله هو الكبير المتكبّر المتعالي على الخَلْق أجمعين؛ فالله أكبر.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٣٤]، في هذا تهديد من الله الكبير لك بألا تبغي على أحد ممّن تظنّ أنه لا كبير له يرجِعُ إليه يشكوه ممّن بغى عليه، ولا وليّ له، ولا نصير له يتولّى أمره وينصره، ولو كانت زوجتك التي تحت إمرتك وكفالتك ورعايتك، فالله هو الكبير، وهو الوليّ، وهو النصير، فإن ظننتَ نفسَك كبيرًا على أحد، تجب لك عليه السمع والطاعة فاعلم أنّ الله أكبر، فيجب عليك السمع والطاعة له في ما ملّكك، ولا طاعة لأحد في معصيته، ولا يرضى أن تبغي على عباده، فالله أكبر.

الكبْر يمنع أيضًا الاستفادة من العلم النافع، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦]، فآية المتكبر الجدال من دون علم ولا برهان.

الله الكبير ذو الكبرياء وهو المتكبّر سبحانه

لا يرضى أن يُعصى، أو أن يرَدّ حكمُه، أو أن يُطلب شيءٌ مِن ملْكه من غيره، أو أن يُنال من أوليائه، أو أن يُقدَّم شيءٌ على كلامه.

لا يرضى أن يشاركه أحد في ملْكه.

لا يرضى أن يشـــاركه أحد في عزّته، وعظَمته، وعلوّه، وفي أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

فالله أكبر.

إنك تتوجّه إلى الله الكبير وحده.

إنك ترضى بالله الكبير وحده.

إنك تصدر عن الله الكبير وحده، فتعمـــل بأمره تبغي وجهه وحده.

إنك راجع إليه وحده.

كلّ ذلك مـــوالاة لله الكبير ليتولـــى أمرك، فهـــو الكبير ذو الكبرياء.

لا تنظر إلى صِغَر الذنب، ولكن انظـــر إلى كبرِ مَن عصيت وكبريائه، فالله أكبر.

فالله أكبر؛ أنا علـــى أمرك ربي؛ فأعنّي، وتـــولَّ أمري، فأنت الكبير ولا كبير سواك.

الله أكبر، فاستمِع، واسمع كلامَه، وكن من أوليائه، واعلم أنّ لك ربًّا كبيرًا ترجع إليه في كلّ أمرك، فلا تفعل شـــيئًا إلّا ما أذن

لك به ممّا شــرعه لك، ليعينَك عليه، وينصــرَك إن بُغِيَ عليك، وكن على يقين أنه خير لك، فالله أكبر.

الله أكبر، فلا تجعل في قلبك شيئًا أكبر فيه من الله، فيَحول بينك وبين الإقبال على ربّك، فتنشغل به عن ربّك وأنت واقف بين يديه سبحانه، فليس ما انشــغلتَ به بأكبر من ربّك، (تسمع أمره وتطيعه لكونه حقًّا وصدقًا وصلاحًا، وهو منفّذه ومحاسِــبُك عليه من دون الله)، ولا بأكبر على ربّك، (يكفيكَه ويعينك عليه ويمنّ به عليك).

اِســتمِع إلى كلام الله الكبير ذي الكبرياء إليك بخشوع، فإنه رادّك إليه ليحاســبك عليه، واجعل «الله أكبــر» زادًا لك في كلّ أمرك، وكلّ سكناتك، وكلّ حركاتك، كما هي في كلّ حركة من حركات صلاتك، وأطِعْ أمر الكبير، فهو خير وحق، وهو مُعينُك عليه، وليس لأحد أن يأمرَك بخلافه، واخشع وأنت تسمع كلامه؛ فأنت إليه راجع ليحاســبَك عليه، ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقــرة: ٤٥، ٤٦]، فمَن أيقن أنــه راجع إلى ربّه الكبير ليحاسبه خشع عند سماع كلامه.

اِعلم أن لك إلاهًا كبيــرًا تطيع أمره، ويكفيــك أمرَك، ولن يتركك وحدك تتخطّفك أمم الإنس والجن والدواب ممن حولك وتتكالب عليك، فأطِــعْ كلامَ الكبير فى كلّ شــأنك، ولا تلهث وراء اضطراب الآراء والأهواء والنزعات، فالله أكبر.

فهل أنت عبــدٌ للكبير فعلًا، موالٍ له، قريــب منه؟ إن كنت كذلك صرت كبيرًا بين خَلْقِهِ فقد زاد علمُك واتّسعت مداركُك، وعَمُق فهمُك لِأخْذِك بكلام الكبير، وما شغلتَ نفسَك إلّا بكِبار الأمور؛ (ما حمَّلك ربُّك الكبير من أمانة) وما فعلتَ إلّا الأفعال الكبيــرة (أداءً لأمانة الكبير) ولَأخذت قســطًا كبيــرًا من العلوم والحِكَم، فاللهُ ربُّكَ هو الكبير. فكن كبيرًا، ولا تنظر إلى سفاسف الأمور، فمعك أمر الكبيــر وأمانته، تقوم به وتؤدّيــه إلى خَلْقه، وكن حازمًا فلا تعص الكبير، وكن ذا رباطــة جأش، فإنّ الكبير لايتــركك، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

القوة

الآن، اِعلم أنّ القــوّة أن تحافظ على ثباتك الداخلي (ثوابت نفسك من معتقدك في نفسك، وفي خالقك، وفي مَن حولك من البشــر والمخلوقات، ومعتقدك في حياتــك، وفي عملك، وفي مماتك، فاجعل كلّ تلك المعتقدات نابعة من الإيمان بالله وحده، مما في كتابه وسنّة رسوله ﷺ) فلا تتســرّب إلى نفسك كلمات خلاف ما برمجْتَها عليه، فتملك نفسَك، وتملك قرارَك، وتملك شــعورَك (خاصّة عند الغضب)، ولا تدعْ أحدًا أو شيئًا يُلقي في

نفسك شيئًا أو كلمات خلاف ما تبرمجها عليه (مهما كان المؤثّر الخارجيّ فيك) فيتملَّكك ويستخفّك ويستفزّك، (**ليسَ الشَّديدُ ذا الصُّرَعةِ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضبِ.**) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١٤). وكذلك إن ظللتَ ثابتًا على ما برمجْتَ عليه نفسَك فلا يتسرّب إليك شيء خلافه، فزتَ وربحتَ وكسبتَ مهما أصابك، وإن ذهب مالُك، بل وحياتك. (بعث النبيُّ ﷺ أقوامًا مِن بَني سليمٍ إلى بَني عامرٍ في سبعينَ، فلمّا قَدِمُوا: قال لهم خالي: أتقدَّمُكم، فإن أَمَّنُوني حتى أُبَلِّغَهُمْ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وإلّا كنتمْ مِنّي قريبًا، فتقدَّمَ فأمَّنُوهُ، فبينما يُحدِّثهم عن النبيِّ ﷺ إذ أومأوا إلى رجلٍ منهم فطعنَهُ فأنفذَهُ، فقال: **اللهُ أكبرُ، فزتُ وربِّ الكعبةِ**، ثمّ مالوا على بقيّةِ أصحابِهِ فقتلوهم إلّا رجلًا أعرجَ صعِدَ الجبلَ ـ قال همّام: فَأُراهُ آخرَ معَهُ ـ فأخبرَ جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ: أنهم قد لقوا ربّهم، فرضِيَ عنهم وأرضاهم، فكُنَّا نقرأُ أن بَلِّغُوا قومَنا، أنْ لقينا ربَّنا، فرضيَ عنّا وأرضانا. ثُمّ نُسِخَ بعدُ، فدعا عليهم أربعينَ صباحًا، على رعلٍ، وذكوانَ، وبني لحيانَ، وبني عُصَيَّةَ، الذين عَصَوا اللهَ تعالى ورسولَهُ ﷺ.) صحيح البخاري (٢٨٠١). فعلى قدْر برمجتك لنفسك بأصول الإيمان، على قدْر ثبات تلك الأصول في نفسك وتفرّع الأخلاق منها، فعلى قدْر برمجتك لعقلك في صلاتك على أصول الإيمان، على قدْر قوّتك، أي ثباتك عليها،

وعلى قدْر فوزك وكسْبك وربحك من ورائها، مهما أصابك، فالله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا.

أمّا مَن أصابه الوهَن لتذبذُب الإيمان في نفسه، فلا صدَّق كلام ربّه، ولا أخذ به، ولا رضِيَ بحُكْمِه، فقد استزلّه الشيطان إليه، فصار من أوليائه، فأصابه الخوف والضَّنك والحزن والأسى والوهن، ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

فبرمِج نفسك على أنّ الله أكبر، عسى أن ترسخَ في نفسك فتستقرّ وتثمر.

وبالمقابل، فإنّ أولياء الله الذين آمنوا بالله الكبير واتّبعوا أمره، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونُس: ٦٢].

اعلمْ أنه ليس لإبليس وأعوانه سلطان يُجبرك على خلاف ما أمرَ الله، فالله أكبر، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]، فليس لهم إلّا عمل الجلَبَة للتخويف، وعمل المزامير للإمالة وإعطاء الوعود الكاذبة، فيستزلّون الناس عن الحق ويحتنكونهم، (كما تُسحب الأنعامُ من حنَكها فتسيرُ حيث تُساق

ولا تقاوم)، ويستفزّونهم ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤]، فسلطان الشيطان: الخوف لمن آمن به، وتزيين المفاسد لمن أراد الدنيا فوالى الشيطان لها، وليس هذا بسلطان على مَن آمن بالله، وكفر بالجِبتِ والطاغوت، وأراد الآخرة، وسعى لها بصالح العمل لله، ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

على قدْر برمجتك لنفسك بأنّ الله هو الكبير ذو الكبرياء، وبأنّ الله أكبر، على قدْر استقامة نفسِك على أمر الله وأخْذِكَ لكتابه وسَماعِك لكلامه، وإيمانك بميعاده؛ وعلى قدْر ثبات نفسك وقوّتها، وعلى قدْر رقيّ خلقك وكماله ودماثته، لا ترضى إلّا بكريم الأخلاق، وكمال الأقوال والأفعال، ولا ترضى بالدونيّة والدناءة والنقص في الأقوال والأفعال والأخلاق، ولا

تلتفت إلى سفاسف الأمور؛ فآمِن أنّ الله أكبر، علّك أن تكون مؤمنًا قويًّا، دمثًا، ذا شأن وذكر عند الله وبين خَلْقِه، فالله أكبر، (**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضَّعيفِ**، وفي كلٍّ خيرٌ. احرِص على ما ينفعُكَ، **واستَعِن باللهِ ولا تعجَزْ**، وإنْ أصابَكَ شيءٌ، فلا تقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكَذا، ولكِن قل: قدَّرَ الله، وما شاءَ فعلَ، فإنَّ لو تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ.) صحيح مسلم (٣٤). (**ما من شيءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أثْقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ**، وإنَّ صاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بهِ درَجةَ صاحِبِ الصَّومِ والصلاةِ.) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) وإسناده صحيح. (**ليسَ المؤمنُ بالطَّعّانِ ولا اللَّعّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ.**) أخرجه السّيوطي في الجامع الصغير (٧٥٨٤) بإسناد صحيح. ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عِمران: ١١٠]، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ذِكْرُكُم أي رفعة أمْرِكم، وما حمل مريم عليها السلام، حين تمثَّل لها جبريل عليه السلام، أن تقول: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] إلّا لِما رأتْ فيه من سَمْت العابد لله المطيع أمرَه، فارتسمتْ عليه سِمَةُ التقوى، والخشوع لله، وحُسْن الخلق، ما يجعله يُكبر استعاذتها بالله الكبير الرحمٰن فيعاملها بالرحمة ولا يؤذيها، ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ

﴿بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨]، وإنْ لم تتّقِ الله باستعاذتي بالله منك، فهو الرحمٰن بي، فيكفينيك بما شاء.

وكذلك لَهَدأَت نفسُك فلا تغضب، فلك ربٌّ كبير يدافع عنك ويردّ عنك، فَتُكْبِر توَلِّيَهُ لأمرك ورَدَّه عنك، فلا تهتمَّ إلّا بأمرِه، ولا تغضبَ إلّا لغضبه تعالى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحَجّ: ٣٨]؛ (... **أنّ رجلًا شتم أبا بكر** والنبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النبيُّ ﷺ يعجَبُ ويبتسم، فلمّا أكثَر، ردّ عليه بعضَ قوله، فغضب النبيّ ﷺ وقامَ، فلحِقَهُ أبو بكر فقال: يا رسولَ الله! كان يشتمني وأنت جالس، فلمّا ردَدْتُ عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ؟ قال: **إنه كان معكَ مَلَكٌ يَرُدّ عنكَ، فلمّا ردَدْتَ عليه بعضَ قوْلِهِ وقعَ الشيطان**، فلم أكن لأقعدَ مع الشيطان. ثُمَّ قال: يا أبا بكر، ثلاثٌ كلُّهنَّ حقّ: **ما مِن عبدٍ ظُلِمَ بمَظْلَمَةٍ فيُفضي عنها للهِ ﷻ إلّا أعزّ الله بها نصْرَه**، وما فتحَ رجلٌ بابَ عطيّةٍ يريد بها صِلةً إلّا زاده بها كَثْرَةً، وما فتحَ بابَ مسألةٍ يريد بها كثرةً إلّا زاده اللهُ بها قِلّة.) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٩٢) ورجاله رجال الصحيح. وقد كان ﷺ لا تُغضِبُه الدنيا، وما كان لها، فإذا تُعوطِيَ الحقّ لم يعرِفْه أحد، ولم يَقُمْ لغضبه شيء حتى ينتصرَ له، لا يغضبُ لنفسِه، ولا ينتصرُ لها، كما أخبر البَيْهقي في دلائل النبوّة (١/٢٨٦) من رواية هند بنت أبي هالة، وله شواهد تشهد له بالصحة.

القيام

قام: انتصب، وقف وثبت.

قام: اعتدل واستوى.

قام الماءُ: ثبَتَ، تجمّد.

قام الرجل على المرأة: تكفَّلَ بأمرها.

أقام الشيءَ: أدامه.

أقام الشيءَ: أزال عِوَجَه.

القِوام: العدل، ما يُعاش به من الحاجات الضروريّة.

قِوام الأمر: نظامُ الأمر، وعماده، ومَلاكُه الذي يقوم به.

القيّوم: القائم على كلّ شيء.

وكلّ من ثبتَ على شيء وتمسّك به فهو قائم عليه، كالمتمسّك بدينه، المواظب عليه.

القِيام: العزم.

القِيام: المحافظة والملازمة والإصلاح.

سبيل مقيم: بيّن واضح.

استقام فلان بفلان: مدَحَه وأثنى عليه.

القوم: القصد.

استقام لوجهه: إذا انقاد الشيء واستمرَّتْ طريقتُه.

استقيموا لقريشٍ ما استقاموا لكم: دوموا لهم في الطاعة واثبتوا عليها.

أمر قيّم ودين قيّم: مستقيم.

ما قام به: ما أطاقه.

القيّم: السيّد وسائس الأمر.

قام على الصلاة: همّ بها وتوجّه إليها بالعناية.

لم يقم له: لم يُطِعْه.

قام بين يدي الأمير بمقامة: أي بخطبة.

القِيام إكبارًا واِستعدادًا للتلقّي

فالله أكبر، لكَ الولاءُ والطاعةُ، فأنت الكبير ولا يكبُر عليك شيء.

فقم لله خاشعًا أنك إليه راجع، طائعًا لله، داعيًا إيّاه، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ **وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ** ﴾ [البَقَرة: ٢٣٨].

القنوت

القنوت: الطاعة والدعاء والقيام والخشوع.

القانت: القائم بالطاعة الدائم عليها.

قنت في صلاته: خشع فيها.

فقمْ إلى رَبّكَ، ناصبًا ظهرَكَ، معتدلًا، مستويًا، مستقيمًا لتقفَ بين يدي ربِّكَ الكبير، خاشعًا متهيّئًا لتأخذ ما أتاك بقوة، عازمًا على الثبات والتمسُّك بأمره، والمداومة عليه، ولزوم طاعته، إكبارًا وولاءً وتأدّبًا مع الله الكبير، واخشعْ، إنك إليه راجع.

قابِل كبرياءَ الكبير بإكباره في نفسِك، فتنكسر نفسُك وقوفًا بين يديه، فقمْ بين يدي ربِّك منكِّس الرأس، إكبارًا لربّك، خاشع البصر معلنًا الطاعة والولاء لله الكبير، ولا ترفع الرأس تكبّرًا ولا تحدّيًا، ولا تسترق البصر تسفّهًا، وارفع كلتا يديك استسلامًا لله، وتحيّةً وخضوعًا لربك الكبير، مكبّرًا إيّاه قائلًا «الله أكبر»، ثُمّ اضمُمْ يديكَ إذا دخلتَ في الصلاة تأدُّبًا، فقد أقبل الله عليك، ولا تنشرْهما توقّحًا وأنت بين يدي ربّك.

فأنت إذا رفعتَ يديك استسلامًا وتحيّة لله، وقلت: الله أكبر، إكبارًا وتولّيًا لله؛ دخلتَ في الصلاة، فنَصَبَ الله وجهَهُ تلقاءَ وجهِكَ على الكيفيّة التي أراد، فيحرُمُ عليك ما كان مباحًا لك من أكل وشرب والتفات وكلام وتحرّكات، وجُمِعَتْ ذنوبُكَ،

وحملَتْ على عاتقك لتُلْقى عنك، وتأهّلْتَ لمناجاة الله الملك الكبير، تعلن له الولاء والطاعة، وتحمده، وتُعظِم قدْرَه وفضله عليك، وتعلن خضوعَك وتضرُّعَك إليه، (**إنَّ العبدَ إذا قامَ يُصلِّي أُتِي بذُنوبِه كُلِّها فَوُضِعَتْ على رأسِه وعاتِقَيْهِ، فكُلَّما رَكعَ أو سَجدَ تَساقَطَتْ عَنْهُ.**) رواه الألباني في صحيح الجامع بإسناد صحيح (١٦٧١).

في القيام، كلّما رسخ في القلب إكبار الرب الكبير سبحانه، بما يودِعُه فيه ما يردِّدُه اللسان من تكبير الله تعالى وذكْر كلامه، ويكيّفه الجسد من خشوع وانكسار لله، ويتفكّر فيه العقل من معانٍ وأوجُه ودلائل كِبْرِ الله تعالى وكبريائه وتكبّره، قوِيَ، وخرج منه استكبارُ النفس، وإكبارُ الخَلْق، وأُشْرِبَ إكبارَ اللهِ، وتولّيه، والتوجّه إليه في كلّ أمر، فتبرمَجَ على ذلك وازداد ثباتًا وقوّة وشدّة ورقيًّا ومكانة.

إن أردت أن يكون لك حظٌّ من اسم الله الكبير فتكون من أوليائه وتنال عونه ونُصرته ومعيّته، فخذ كلامه بقوّة وكن من أوليائه.

الله أكبر؛ كلمة فيها الكثير من إكبار الله ولاءً وتَوَلّيًا له، وفيها الكثير من الاستعانة بالله على أمره، وعلى كلّ شدّة تواجِه إذا كنتَ على أمره، وفيها الكثير من الفرح بالله أن صدَق حديثَه ووعْدَه وقوْله.

الله أكبر؛ ربِّ تقبَّلْني في أوليائك، وأتعهّد بالأخذ بكلامك، فكنْ لي وليًّا وعونًا ونصيرًا.

هل أدركتَ جزءًا من معنى «الله أكبر» التي هي شعار كلّ عبادة لله، فهي تكون في الأذان، وفي صلاتك وبعد صلاتك، وبعد صيامك يومَ فِطْرِك، وفي حجِّك، ويوم نحرِك، وفي فرحك، وفي شدّتك؟ إن أدركتَ ذلك، فقم لله قانتًا خاشعًا راجعًا إليه، وخذ ما آتاك من الكتاب بقوّة، ولتستمِع الآن، ولتنصِتْ، ولْتَتْلُ كلامَ الله الكبير بتدبُّرٍ لمعناه، فهو حق وخير وصلاح لك، وفيه فلاحُك، وبه تنال ولاية الكبير، فيعينك عليه، ويبيّنه لك، وينصرك، ويدافع عنك، ويؤمّنك، ويجزيك الجزاء الأوفى، واخشع لله أنك إليه راجع في يومٍ عسير ليحاسبَك على ما كسبتْ يداك، فالله أكبر.

❋❋❋

قراءة القرآن

الاِستفتاح

بعـد أن كبَّرتَ ربَّـكَ الكبيـر، وأعلنتَ ولاءك له، اسـمَعْ واسـتمِع، واتْلُ كلامَه إليك، فالقرآن كلام الكبير سبحانه، فخُذْه بقوّة، وتدبَّرْهُ، واعمل به؛ فهو كلام الكبير الذي عرَّفَكَ به بنفسِه، وفيه أمْـرُه ونَهْيُـه وحُكْمُه، وفيه وعْـدُه ووعيدُه، وفيه بشـارتُه وإنذاراتُـه، وفيه خبر ما كان وبيان ما هو كائن ونبأ ما سـيكون، فهو خبر يقين، وحكم نافذ حكيم، وأمر كلُّه خير وصلاح وعدل، مُعانٌ عليه مَن أخذَ به، مُدانٌ به مَن تَركه، وهو نهيٌ عن كلّ فساد وفُحـش ومنكر، مَن أتـاه أو اقترفه فهو مُدانٌ مُهـان، وهو وعدٌ صادق نافذ.

ولكن قبل أن تَشـرَع في قراءة القـرآن ـ كلام ربّك الكبير ـ وتُلقيه، استغفر الله وتُبْ إليه، وسـبِّحْه لتهدأ، ولتصفُوَ، ولتطهِّرَ نفسَـك، فتتهيّأ لرحلة الصـلاة، فالذنوب تُثقلُ عـن عبادة الله، فاستغفر الله لتتهيّأ لأخذ كلام الله الكبير إليك بقوّة، ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشَّرْح: ١، ٢]. (كان الرسـولُ ﷺ يسكُتُ بينَ التكبيرِ وبينَ القراءةِ إسكاتَةً ـ قال: أحسبُهُ قال: هُنَيَّةً ـ فقلتُ: بأبي وأمي يا رسولَ الله، إسكاتُكَ بينَ التكبيرِ والقراءةِ،

ما تقولُ؟ قال: أقولُ: اللّهُمَّ بَاعِدْ بيني وبينَ خطاياىَ، كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ، اللّهُمَّ نَقِّنِي من الخطايا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللّهُمَّ اغْسِلْ خطاياىَ بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ.) متَّفَق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاةِ قال: «وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركين. إنَّ صلاتي ونسُكي ومحياىَ ومماتي للهِ ربِّ العالَمين، لا شريكَ له وبذلك أُمِرتُ وأنا من المسلمِين. اللّهُمَّ أنت الملكُ لا إلَهَ إلّا أنت. أنت ربّي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفرْ لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوبَ إلّا أنت، واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ، لا يهدي لأحسنِها إلّا أنت. واصرِفْ عني سيِّئَها، لا يصرفُ عنّي سيِّئَها إلّا أنت. لبَّيْكَ! وسَعْدَيْكَ! والخيرُ كلُّه في يدَيْك. والشرُّ ليس إليك. أنا بك وإليك. تباركْتَ وتعالَيْتَ. أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.» وإذا ركع قال: «اللّهُمَّ! لك ركعتُ. وبك آمنتُ. ولك أسلمتُ. خشع لك سمعي وبصَري. ومُخِّي وعظْمي وعصَبي.» وإذا رفع قال: «اللّهُمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ، وملْءَ الأرضِ، وملْءَ ما بينهما، ومِلْءَ ما شئتَ مِن شيءٍ بَعْدُ.» وإذا سجد قال: «اللّهُمَّ! لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ. سجد وجهي للذي خلقَه وصوَّره، وشقَّ سمْعَه وبصرَه. تبارك اللهُ أحسنُ الخالقِين.» ثُمّ يكون من آخِرِ ما يقولُ بين التشهُّدِ

والتَّسليمِ: «اللّهُمَّ! اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعلنْتُ، وما أسرفْتُ، وما أنت أعلمُ به مِنّي. أنت المُقدِّمُ وأنت المُؤخِّرُ. لا إلَهَ إلّا أنتَ.») صحيح مسلم (٧٧١)، (عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا قامَ منَ اللَّيلِ كبَّرَ، ثمَّ يقولُ: «**سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلَهَ غيرُكَ.**» **ثُمَّ يقولُ:** «**لا إلَهَ إلّا اللهُ.**» **ثلاثًا، ثمَّ يقولُ:** «**اللهُ أكبرُ كبيرًا.**» **ثلاثًا،** «**أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، من همْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ.**» ثمَّ يقرأُ.) حديث صحيح في صحيح أبي داود (٧٧٥).

وأوّل ما تبدأ به من القرآن الفاتحة؛ فهي أصل المناجاة بينك وبين ربَّكَ، وتُثَنّي معانيها في كلّ آية من آيات القرآن لتتّضِحَ وتُفصّل وتبين، وهي مجمل الصراط إلى رضوان ربّك الكبير العظيم الأعلى ﷻ.

وتذكَّر أنّ الصلاة مناجاة، فناجِ فيها ربَّكَ كأنكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ولا تكن صلاتُكَ ترانيمَ تدندن بها كمَن يغنّي، فهو لا يناجي ولا يحدّث أحدًا بل يتبع هواه، (إنّ المؤمنَ إذا كان **في الصلاةِ، فإنما يُناجي ربَّه،** فلا يَبزُقَنَّ بين يديه، ولا عن يمينِه، ولكن عن يسارِه، أو تحتَ قدمِه.) صحيح البخاري (٤١٣).

تعلّم أصول المناجاة من سورة الفاتحة بحيث تبدأ بالحمد والثناء لله تعالى، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

الحمد

الحمد: نقيض الذم.

الحمد لله: الثناء لله.

الحمد: هو وصف المحمود بكمال المحبّة والتعظيم.

الحمد: الرضا، أتيتُ موضِعَ كذا فأحمدْتُه، أي رضيتُ سُكْناه.

أحْمَدَ فلانًا: إذا رَضِيَ فعْلَه ومذهَبَه.

الحمد يكون عن يد وغير يد، أمّا الشكر فلا يكون إلّا عن يد.

الحمد يكون باللسان والجَنان، والشكر يكون باللسان والجَنان والأعمال.

فالحمد لله على نِعَمِه التي من أجلِّها نعمةُ الهداية والعبوديّة.

الحمد كلُّه لله؛ فالله وحده له كمال الصفات التي تُحْمَد، فله الحمد؛ وما بك أو بغيرك من نعمة فمن الله وحده، فله الحمد، وما من نعمة كنعمة الربوبيّة التي بها هداك للإسلام، فالحمد كلُّه لله ربِّ العالمين، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

الرب

الراء والبــاء يدلّان على إصلاح الشــيء والقيام عليه ولزوم ذلك.

والــربّ هــو المالــك، والربوبيّة: تَوَلّــي الخَلْــق بالتربية، فيخلقُهم، ويُصلح معاشَهم، ويقدِّر أقدارهم، ويقضي في مآلهم، ويدبّر شؤونهم؛ فالربوبيّة تشمل:

الخَلْق والإيجاد: فمَنْ يخلُق يعلَم ما خلَق، ويعلَم ما يُصْلِحُه وما يُفســده، ويملك الإحيــاء والإماتــة ﴿**أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ** وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤].

المُلْك: فمَنْ ملَكَ أمرًا فهو المتصرّف فيه، المدبِّر له، القائم عليه.

التدبير: أي تســيير نظام الكون، وتقدير الأقدار من قِســمة الأرزاق، والأعمار، والهيئات، ونحو ذلك، ثمّ البعث والنشــور والجزاء على ما يكون من الأحوال.

تلك الربوبيّة العامّة التي شملت كلّ الخَلْقَ قهرًا ورغمًا؛ مِنْ خَلْقٍ لهم، وتملُّكِ أمرِهم، وتدبير شــؤون معاشِهم ومَعادِهم؛ أمّا الربوبيّة الخاصّــة فهي تربية التوفيق للخيــر، وإصلاحُ القلوب، والعصمة من الشرّ والفســاد لمن خضع لأمر الربّ ونَهْيِه اختيارًا وانقيادًا، وخوفًا وطمعًا وإعظامًا لربوبيّة الرب تعالى وألوهيّته.

فالله هو ربّ العالَمين، وهو ربّ كلِّ شيء، فلا تَخَفْ من أيّ شـــيء اللهُ هو ربُّه، بل خَفْ ربَّهُ، فهو المالك له؛ ولا تطلبْ شيئًا من أحد، بل اطلبْه من ربِّه، فهو المتصرِّف في ما خلق، ولا تُطِعْ كلَّ مَن خالــف كلام الله تعالى، فهو لم يخلق شــيئًا، فلا عِلْمَ له بما خلق الله، ولا تصرُّف له في مُلْك الله، ولا تدبير له مع تدبير الله، فاحمَد الله ربَّ العالمين ألّا ربَّ سواه.

وحيــث الربّ هــو أســاس الوجود، فــالله الخالــق البارئ المصوّر، والربّ يتعهّد مربوبَه بالرزق والتربية والهداية، فالله هو الرزّاق، الهادي، الفتّاح، الوهّــاب، العليم؛ والربّ هو مَن يحفظ مربوبــه ويدافع عنه ويرعاه، فــالله هو الوليّ، الحميــد، الجبّار، القــويّ، المتين. وأفضــل نِعَــمِ الربوبيّة الهدايةُ إلى الإســلام، فالحمــد لله ربّ العالمين، والحمد لله كذلــك على كمال الذات الدالّ على كمال الربوبيّة، فالحمد لله ربِّ العالمين حبًّا وإعظامًا ورضًا به وإقرارًا بفضل ربوبيّة الله على العباد، فهو ربّ العالَمين حقًّا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

ثم بعــد الحمد يأتــي مــدحُ الله وتنزيهُه، مع التوسُّــل إليه بأســمائه الحســنى فهــو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحــة: ٣]، هو ربٌّ رحمٰنٌ، مع ربوبيّته لعباده في الدنيا، رحيــمٌ بمن أطاع أمره في الآخرة.

هو ربٌّ رحمٰنٌ بجميع عبادِه، يرزقُهم وييسِّر لهم سُبُل الهداية، ويُمهلهم ليُطيعوا أمرَه؛ وهو ربٌّ رحيمٌ بمن آمن به، ينصُرُه ويُعينُه، ويدافع عنه ويرفعُه، ويُحسن ثوابه.

ويُعينكَ على الخشوع لله وأنت واقفٌ بين يديه مقبلٌ عليه أن تعلم أنك إليه راجع للحساب والجزاء في يومٍ لا ملْك لأحد فيه على شيء، فالله هو ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، فمِن تمام الربوبيّة ألّا يترك الربّ مَن أطاعه، ومن عصاه، من دون حساب، وألّا يسوِّيَ بينهما. فتوسَّطَتْ رحمةُ الربّ الرحمٰن الرحيم بين شِدّتين: شِدّة القيام بأمر الربوبيّة مِنْ تربيةٍ وطاعةٍ للأمر والنَّهْي، وشدَّة الحسابِ عليها يومَ الدين، فكلُّ بلاء أُبتُليتَ به في الدنيا، وكلُّ أمر أو نَهْي ألزمك الله به هو رحمةٌ من ربّك الرحمٰن؛ كما أنّ رحمةَ الله الرحيم سبقتْ غضبَه يومَ الدين، يوم الحساب والجزاء، كما أنّ الإيمان بيوم الدين فرقانٌ بين الكفر والإيمان، فكلُّ مؤمنٍ بالله ربًّا يؤمن بيوم الدين، وكلُّ مَن استكبرَ عن الإيمان بالله يكفرُ بيوم الدين، ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢].

والنجاةُ والفوز يومَ الدين يكونان بعبادة الله كما أراد، ولا سبيل لك لذلك إلّا بعون الله تعالى، فعليك بالتضرّع لله، والولاء والاستسلام لله، والتعهُّد بطاعته وعبادته، والقيام بأمره، لتقوم بحقّ ربوبيّته لك، بأن تعبُدَه وَحْدَه، وتستعين به وَحْدَه، لتنال

رضوانَه يوم حسابِك، وتسلمَ من غضبه وعذابه في الدنيا والآخرة، فحقًّا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، اللّهُمَّ لا نعبد إلّا ايّاك، فنطيعُك في أمور حياتنا كلِّها، ولا نستعين إلّا بك على أمور حياتنا كلِّها التي هي عبادة لك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فنطيعك اللّهُمَّ في أمرنا كلّه، فنصلّي ونَنْسُكُ ونحيا ونموت على النحو الذي تحبّ، ونأكل ونشرب ونعمل وننام ونستيقظ على النحو الذي تحبّ، ونُصلح ونسعى ونقاتل ونصالح وننكح ونتكاثر على النحو الذي تحبّ؛ ولك نقوم بكلّ هذا عبادةً لكَ، ورغبةً في ثوابك، ورضوانك، وجنّتك؛ وشكرًا لعظيم ربوبيّتك إيمانًا منا أننا إليك راجعون، وبك نستعين على كلّ هذا مع افتقارنا وحاجتنا إليك، وتوكُّلنا عليك أنك أنت الإلَهُ وَحْدَك، فحقًّا لا نعبد؛ أي لا نطيع ولا نتوجّه ولا نبغي؛ إلّا إيّاك في كلّ أمورنا، محبّةً وطاعةً وتعظيمًا لك سبحانك؛ ولا نستعين إلّا بكَ على كلّ أمورنا، فحقًّا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالعبادة متعلّقة بالألوهيّة، والاستعانة متعلّقة بالربوبيّة. ثمّ إنّ أسلوب الحصر يذكّركَ أنّ الله لا يقبل الشِّرْكَ في العبادة، وأنّ الله هو مَن يعينُك عليها، فالله يقبل العملَ الصالح الذى أخلصْتَه لله وتواضعتَ به لعظَمَته، «فإيّاك نعبد» تدفعُ الشِّرْكَ في العبادة، «وإياك نستعين» تدفع

الكِبْرَ بها، فالعمل يُشترط أن يكون موافقًا لِما شرَعَ اللهُ في كتابِه وسنَّةِ رسوله ﷺ، وخاليًا من الرياء والكِبْر ليُرْجَى قَبولُه عند الله تعالى. كما أنّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فيها من التوجُّه إلى الله وَحْدَه، والتعلُّق بالله وَحْدَه، والتوكُّل والاعتماد على الله وَحْدَه، أنْ ليس لكَ إلَهٌ غيرُه، وليس لك وليٌّ غيرُه، وليس لك ربٌّ سواه تلجأ إليه وتتوكّل عليه؛ فحقًّا لا إلَهَ لكَ غيرُ الله، ولا حولَ ولا قوَّة لك إلّا بالله.

بعد الحمدِ والثناءِ على الله بأسمائه الحسنى، وتمجيدِه تعالى أنه هو مالكُ يوم الدين، وبيانِ الإخلاصِ والتواضُعِ له تعالى في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يأتي الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وهذا يتطلّبُ هدايةَ علمٍ وعمل، ومتابعةً وإخلاصًا وثباتًا، هدايةَ علمٍ بما أنزل تعالى في كتابه وسنّةِ رسوله ﷺ، وعِلْمٍ بِسُنَنِهِ، وعلمٍ بأمور الدنيا ما به تستخلفه وتعبُده فيها، وهدايةَ رغبةٍ وقدرةٍ على العمل بما علِمْتَ، وهدايةَ الإتيانِ بالعملِ على النحو الذي يحبّه الله ويرضاه بإتقانٍ، وحُسْنِ سَمتٍ، وزيادةِ إحسان، كما بيّن لنا ذلك عمليًّا بإرساله رسوله ﷺ قدوةً لنا في ذلك، وهدايةَ إخلاصِ ذلك العمل لله، وهدايةَ الثبات عليه، وإن فُتِنْتَ بفِتَنٍ كقِطَعِ الليل المظلم فلا ترتدّ عنه، ولا تفتر عنه، ولا تضِلّ عنه، فذلك الصراط هو طريق النجاة، والنجاح، والفلاح، والفوز، والعزّة، والكرامة، هو طريق الجنّة والنعيم، هو

طريق عبادتنا لله في الدنيا، ولا قدرةَ لنا عليه إلّا أن يُعينَنا اللهُ عليه، فنَسْلَمَ يومَ الدين أن تتغمَّدَنا رحمةُ الرحيم، ونحيا حياةً طيّبة في الدنيا أن تتغمَّدَنا رحمةُ الربِّ الرحمٰن.

فادْعُ الله أن يُعينَكَ، ويَمُنَّ عليكَ، ويَهديَكَ إلى ما خَلَقَكَ لأجْلِهِ، وتعهَّدَكَ بربوبيّته لأجْلِهِ، وهو محاسِبُك عليه، مما يحبّ ويرضى، مما فيه صلاحُ دينِكَ، ومعاشِكَ، ومَعادِكَ يومَ القيامة، مما شرع لكَ، وأنزلَ إليك مِن منهجٍ لتعبُدَه به ﷻ اقتفاءً لصراطه المستقيم، عَلَّكَ أن تكونَ من أوليائه، فتفوزَ بولاية الكبير لك، فيا ربّنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، على نهج مَنْ أنعمتَ عليهم قبْلَنا من النبيّينَ والصدّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ، وسَلْهُ سبحانَه أن يجنّبَك أن يصيبَكَ بغضَبِه، لِارتدادِكَ عن الحق بعد أنْ هداكَ إليه، وسَلْهُ سبحانه ألّا تضلّ الصراط الموصِلَ إلى رِضوانِه وجنّته؛ اتّباعًا لنهجِ مَن كان قبلَكَ من اليهود والنصارى، الذين عرفوا الحقّ وتركوه، أو مَن لم يهتدوا إلى الحق، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فلتكنْ مناجاتُك للهِ ودعاؤكَ إيّاه أن يَمُنَّ عليك بكلّ ما يُصلِحُ دينَك ومَعاشَك ومَعادَك، فيَمُنَّ عليك بأحسنِ الأخلاق، ويَمُنَّ عليك مِنَ النِّعَمِ ما به تعبدُهُ وتُصلِحُ في الأرض لعبادته، وأن يحفَظَك من كلّ ما قد يمنعك من عبادته، وأن يُرِيَكَ الحقَّ ويهدِيَكَ إليه ويعينَكَ عليه، هدايةً للصراط المستقيم، كما أنعم

بذلك على مَن كانوا قبلك، فعبدوا الله، فسادوا الدنيا، وفازوا في الآخرة؛ وسَــلْهُ أن يُجيرَكَ مــن غضبه، فلا تتــركِ الحق بعدَ أن يهدِيَكَ إليه، وسَــلْهُ أن يجنِّبَكَ الضلال عن الحق عَلّك أن تلحَقَ بالنبيِّينَ فتكونَ من الصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ، اللّهُمَّ آمين.

هل تعلم ماذا يكون من أمرك إذا أكبرتَ اللهَ فاســتقمتَ على أمــره وصراطه؟ تتنــزّلُ عليــك ملائكتُه فى حياتــك ومماتك، فتواليك في ما تقول وتفعل، وتبشِّركَ فلا تخافُ ولا تحزن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠، ٣١].

فأنت إذا وقفتَ بين يدي ربِّكَ علَّمَتْــكَ الفاتحةُ وذكَّرَتْكَ أنّ ربَّكَ اللهُ الذي أكبرتَهُ هــو الربّ الخالقُ المالــكُ المدبِّر المربّي خلقَه برحمةٍ عامّــةٍ وأخرى خاصّةٍ، وهو محاسِــبٌ الجميعَ على ما خلَقَهُم لأجْلِهِ ودبّرَ أمرهم لأجْلِهِ، وربّاهم، وأدّبهم عليه؛ وهو عبادتُه وَحْدَه والتــوكُّل عليه وَحْدَه تأليهًا له وَحْــدَه، فأدْعُ الله أن يَهْدِيَــك طريقَ عبادتِه والاســتعانةَ به، موحِّدًا لــه، كما هدى مَنْ قَبْلَكَ، وأن يجنِّبَكَ الضــلالَ ويجنِّبَكَ غضبَه، (**مَن صلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بــأمِّ القرآنِ فهيَ خَداجٌ** ـ ثلاثًا ـ، غيــرُ تمامٍ. فقيلَ لأبي

هريرةَ: إنَّا نكونُ وراءَ الإمامِ. فقال: اقرأ بها في نفسِك، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: قالَ اللهُ تعالى: **قسمتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قالَ العبدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قالَ اللهُ تعالى: حمدني عبدي، وإذا قالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قالَ اللهُ تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قالَ: مجَّدني عبدي (وقالَ مرَّةً: «فوَّضَ إليَّ عبدي»)، فإذا قالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، **قالَ: هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدي ما سألَ. فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، **قالَ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.**) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩٥).

والآن؛ استمِع، واتْلُ، وتدبَّرْ بعضَ آياتِ كتابِ الله، فهو كلامُ الله الكبيرِ إليكَ، المُبينُ والموضِحُ والمنيرُ للصراط المستقيم، المُبينُ لحالِ مَن اهتدى به، وسار عليه، ففاز، ونال الرضى، وحالِ مَنْ ضلَّ عنه وتنكَّبَهُ فضلّ واستحقّ غضبَ الله؛ وهو حبلُ الله إليكَ ليُنقِذَكَ من كلِّ شرٍّ وضُرٍّ ومكروه، ويرفعَكَ به، ويقرِّبكَ إليه به؛ كحبل النجاة الذي يتعلّق به الغريق لينقِذَه من الغرق فيرفعَه بعيدًا عن مَوْضِعِ هَلَكَتِهِ، ويقرِّبَه من مِوْضِعِ نجاتِه الذي يأمنُ فيه، ولله المثَلُ الأعلى، والله معينُكَ عليه إذا أخذتَ به، فخُذْهُ بقوّة، واعزِمْ على العمل به، واخشَ الله، فأنتَ إليه راجعٌ ليحاسِبَكَ عليه، واعزِمْ على اتِّباعِه لتستقيمَ على صراط الله تعالى.

سبحانَ ربِّيَ العظيم

الآن مع كلمات هي من أحبّ الكلام إلى الله تعالى ومن أثقله في ميزان العبد، (**كلِمتان خفيفتان على اللِّسانِ، ثَقيلتان في الميزانِ، حبيبتان إلى الرَّحمٰنِ: سبحان اللهِ العظيمِ**، سبحان اللهِ وبحمدِه.) صحيح البخاري (٦٤٠٦)، (كشف رسولُ **اللهِ** ﷺ الستارةَ، والناسُ صفوفٌ خلفَ أبي بكرٍ، فقال: أيّها الناسُ، إنه لم يبقَ من مبشِّراتِ النبوّةِ إلّا الرؤيا الصالحةُ يراها المسلمُ أو تُرى له، ألا وإني نُهيتُ أن أقرأَ القرآنَ راكعًا أو ساجدًا، **فأمّا الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ** ﷻ، وأمّا السجودُ فاجتهِدوا في الدعاءِ، فقَمِنٌ أن يُستجابَ لكم.) صحيح مسلم (٤٧٩).

المعنى اللغوي

عَظُمَ: كَبُر وفَخُم.

عَظُمَ: تضخّم وزاد زيادة مطلقة.

عَظِيمٌ: هَائِلٌ، فَخْمٌ.

العِظَم: الكِبَر والقوّة، وأصل الكلمة من القوّة.

معظم الأمر: جميعه وأكثره.

العظيم: الجليل عظيم النفع؛ فهو يُحمد.

أعظَمَه الأمر: أي عَظُم عليه فما يستطيعه؛ عذاب عظيم وأمر عظيم، أي لا يعظم معه شيء فيقدر عليه، ويُقدَّم عليه أو يخفّف منه.

من الناس من يُعظَّمُ لمالٍ (هائل زائد كثير) يكون له عظيم الأثر (من شراء ممتلكات وبناء قصور وقلاع ودور وتجهيزات حربيّة ومعاشيّة وتجاريّة)، أمّا مَن له مال كثير لا يُحدِث به أثرًا ولا نفعًا لأنه لا قيمة له مع علوّ الأسعار مِن حولِه فليس بمال عظيم؛ فلا أثرَ يُحدِث، ولا نفع منه، وليس صاحبه بعظيم، وكذلك مِن الناس مَن يُعظَّمُ لفضلٍ يكون له عظيم الأثر في من حوله، ومنهم من يُعَظَّم لعلم يكون له عظيم الأثر، ومنهم من يُعظَّم لسلطان يكون له عظيم الأثر، ومنهم من يُعظَّم لجاه يكون له عظيم الأثر.

وكذلك يُعرف العظيم في البلدة بعِظَم مُلْكِه الذي يشمل أكثر المملوك في البلدة، وبعظيم فعله الذي أحدث كبيرَ الأثر والتغير وكثيرَهما (ومنه عظيم فضله)، وبعظيم قوله الذي يترك أكبر الأثر، ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ **عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [الزُّخرُف: ٣١]، ومن ثَمَّ، فالعظيم له السؤدد والسلطان. وأصل الكلمة من القوّة، فعظيم القوم يسوسُهم ويصرّف أمورهم، وعليه يجتمعون لِما له من عظيم المُلْك والفضل والرأي (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، من مُحمدٍ بنِ عبدِ اللهِ ورسولِه **إلى هِرَقْلَ**

عَظيمِ الرُّومِ، سَــلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بَعدُ، فإنِّي أدعوكَ بِدعايةِ الإسلامِ، أسلِمْ تَسْلَمْ، يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، **فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عليكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ**، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمران: ٦٤] صحيح البخاري (٦).

كلّ واحد مــن الخَلق إنما يُعظَّم لمعنًــى دون معنى؛ أمّا الله ﷻ، فله المثل الأعلى ـ فيُعظَّم في الأحوال والأمور كلِّها، فله ـ تعالــى ـ الذات العظيمة التي لا تُــدرِكُ العقولُ مداها، وله عظيمُ الأســماء والصفات (مِن علم وقدرة وسمع وبصر ورحمة وعزّة...) التي لا تدرِك العقولُ عِظَم حجمها ومداها، بل وزيادتها على ما قد تتصوّره العقول، ولــه عظيم الأفعال (من مُلْكٍ وخَلْقٍ وأمر) التي لا تدرِك العقول مــدى عِظَم أثرها، وله عظيم المُلْك الذي لا تدرك العقــول عِظَم خزائنه، وله عظيــم الفضل والنِّعَمِ والآلاء التي لا تدرِك العقول عِظَمَها فتحصيها؛ ولو كانت جميع أشــجار الأرض أقلامًا وكان البحر مِــدادًا لها لِنَفِــدَ البحرُ قبل إحصائها؛ فالله ســبحانه هو العظيم من كلّ الوجــوه، ذو العظَمة المطلقة، وهو الذي يعظِّمه خلقُه ويهابونه ويتّقونه، فله ﷻ صفة العَظَمة في كلّ شيء، وكلُّ مَن هو دونه ﷻ صغير حقير ناقص، فسبحان ربِّي العظيم.

ليس لأحدٍ كمال العظَمة إلّا الله تعالى، فقد يؤتى أحدٌ مالًا عظيمًا قد يُحدِث به أثرًا عظيمًا لو استعمله، لكنه يَكْنِزُهُ فلا يُحْدِثُ به شيئًا، فيُذَمّ مع عظَمَتِه لنَقصانِ عِظَمِ أثرِه الذي منَعَه وحجَبَه وأبطله؛ وقد يُعطى أحد عظيمَ سلطانٍ، لكنه لا ينصُرُ مظلومًا ولا يبالي بمظلَمَة، ويحقر الخَلْق؛ وقد يُعطى أحد عظيمَ مُلْكٍ لكنه يظلم الناس ويمنعهم حقوقهم ويسلبهم إيّاها، لكن الله تعالى له كمال العظمة، فله خزائن السماوات والأرض، وهو مع عظَمة ذاته وأسمائه وصفاته ومُلْكه وسلطانه؛ عظيمُ الفضل والنِّعَمِ والمِنَن، عظيم النفع والخير، عظيم الخَلْق والأمر، لا يظلم مثقالَ ذرّة، ويجيب المضطرّ، وينصر رُسُلَه والذين آمنوا، وينصر مَن ظُلِم ودعاه، ويُكرم مَن اتّقاه، ولا يُضيع عملَ عاملٍ سبحانه ولو قلّ، فله الحمد على كمال عظَمته، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

سبحان ربّيَ العظيم الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض، فالعظيم معناه الذي جاوز قدرُه ﷻ حدودَ العقول فلا تدركه الأبصار، ولا تدركه العقول، حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطة بكُنْهِه وحقيقته، فالله عظيم من كلّ الوجوه إلى درجة لا يستوعبها عقلك القاصر الذي ليس بعظيم، لذا فهو لا يستوعب معرفة عظَمة الله ﷻ، فعقلك محدود مهما راح وغدا، فسبحان ربّي العظيم.

سبحان ربّي العظيم؛ فالله العظيم عظيم المُلْكِ، فكلّ شيء في مُلْكه، حتى أنت وأهلك وسيارتك وملابسك وطعامك وشرابك ومسكنك، وكلّ شيء هو في مُلْكِه تعالى، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ولا نظيرَ لله يملك شيئًا من مُلْكِ الله، ولا شريك لله في ما يملك الله، ولا ظهير لله في مُلْكِه، فهو كامل المُلْك، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سَبَأ: ٢٢]، فله الحمد على ذلك، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، فالأرض أرضه، والسماء سماؤه، يُمكِّن في مُلْكِه مَن يشاء من عباده، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فالكلُّ في مُلْكِه، وأيُّ شيء لك فهو في مُلْكِ الله، وأيُّ شيء تريد فهو في مُلْكِ الله، فاحْمُدْهُ على ما أعطاك من مُلْكِه، وسَلْهُ ما تريد من مُلْكِه، واصرِفْ ما أنعم به عليك من مُلْكِه في ما يحبّ ويرضى، ليزيدَك مِن فضله، فهو عظيم المُلْك، وكلّ نعمةٍ وخير هما ملْكٌ لله، وقد تفضّل بهما عليك، فما بكَ من نعمةٍ فمِنْهُ وَحْدَه، فله الحمد، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وسبحان ربّي العظيم.

اعلم أنّ العظيم عظيم الفضل والمنّة والنِّعَم، فقد أمدَّك بكلّ شيء تحتاجه، وبكلّ شيء يُعينك على أمره من دون ما قد يُفسد عليك أمرَك، فأرْضَ بنِعَمِه عليك، وبفضله إليك، ومِنَنِه عليك، ولا تتسخّط فتمدَّ عينيك إلى ما متّع به غيرَك، واُصرِف نِعَمَه إليك إلى ما أمرك به، فأنت مِلكٌ له، وفي مُلْكِه، وقد أنعم عليك بما هو مِلْكٌ له لتنتفع به وتنعم به وتطيعه به، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ **وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٣].

اعلم أنَّ مَنْ أوصلَ لك نِعَمَ الله قد أدّى أمانَة اللهِ إليه بإيصالِ نِعَمِه إليك، والله موصِلُها إليك، به أو بغيره، فاشكر الله على نِعَمِه، واُدْعُ الله لِمن أوصلها إليك أن يشكر لله صُنْعَه، فمَن لم يشكر الناس الذين أدَّوا ما عليهم من أمانة إيصال نِعَمِ الله، فما شكر اللهَ المنعِمَ. ولا تغفلْ عن المُنعِم بمن أرسله إليك بنِعَمِه، فسبحان الله العظيم وبحمده، (**إنَّ لله أقوامًا اختصَّهم بالنِّعمِ لمنافعِ العبادِ، يُقِرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلَها إلى غيرِهم.**) حديث حسن، أخرجه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦١٧)، وأخرجه البَيْهقي في شُعَب الإيمان (٤٥٠/٢)، (**مَنْ لم يَشْكُرِ الناسَ، لم يَشْكُرِ الله.**) صحيح التِّرْمِذي (٢٠٣٧).

فالله العظيم سبحانَه، له عظيمُ النِّعَمِ، فنِعَمُه عظيمة الأثر والنفع، وهي كثيرة عظيمة على عباده، لا تُحصى، ومنها أمْرُه ونَهْيُه وشَرْعُه، فهي عِظامٌ لِما لها من عظيم الأثر والنفع والقدْر، وفي ترْكها عذابٌ عظيم، فله العظَمة، وله الجلال لعظيم فعلِه وقولِه العظيمَيْ الأثر في الخَلق، الموجبِ للحمد، فما من أحد إلّا وعليه أثرُ فضلِه ونِعَمِهِ، فسبحان ربّي العظيم وبحمده، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

الله العظيم لا يَعْظُم عليه شيء، لكن يعظُم عنده أشياء، (إذا دعا أحَدُكم فلْيُعظِمِ الرَّغبةَ، فإنَّه لا يتعاظَمُ على اللهِ شيءٌ.) أخرجه ابن حِبّان في صحيحة (٨٩٦). (خرَج رسولُ اللهِ ﷺ يومًا فقال: إنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُه لا يتعاظَمُه ذنبٌ غفَره. إنَّ رجلًا كان في مَن كان قَبلَكم قتَل ثمانيًا وتسعين نفسًا، فأتى راهبًا فقال: إنِّي قتَلْتُ ثمانيًا وتسعين نفسًا فهل تجِدُ لي مِن تَوبةٍ؟ فقال له: قد أسرَفْتَ، فقامَ إليه فقتَله. ثمَّ أتى راهبًا آخَرَ فقال: إنِّي قتَلْتُ تسعًا وتسعين نفسًا فهل تجِدُ لي مِن تَوبةٍ؟ قال: لا، قد أسرَفْتَ، فقام إليه فقتَله. ثمَّ أتى راهبًا آخَرَ فقال: إنِّي قتَلْتُ مئةَ نفسٍ، هل تجِدُ لي مِن توبةٍ؟ فقال: قد أسرَفْتَ، وما أدري، ولكِنْ ها هنا قريتان، قريةٌ يُقالُ لها بَصْرةُ، والأخرى يُقالُ لها كَفْرةُ، فأمّا بَصْرةُ فيعمَلون

عملَ الجَنَّةِ لا يثبُتُ فيها غيرُهم، وأمّـا كَفْرةُ فيعمَلون عملَ أهلِ النّارِ لا يثبُتُ فيها غيرُهم؛ فانطلِقْ إلى أهلِ بَصرةَ، فإنْ ثبَتّ فيها وعمِلْتَ مِثلَ أهلِها فلا تشُكَّ في تَوبتِك. فانطلَق يُريدُها، حتَّى إذا كان بينَ القريتين أدرَكَه الموتُ، فسألَتِ الملائكةُ ربَّها عنه فقال: انظُروا أيَّ القريتين كان أقرَبَ، فاكتُبوه مِن أهلِها، فوجَدوه أقربَ إلى بَصرةَ بقِيدِ أُنمُلـةٍ، فكُتِبَ مِن أهلِها.) أخرجـه الهَيْثمي فى مجمع الزوائد (١٠/٢١٤) ورجاله رجال الصحيح. (إذا دعا أحدُكم فلا يقُل: اللّهمَّ اغفِرْ لي إن شئتَ. ولكن ليعزِمِ المسألةَ. وليُعظِّمِ الرَّغبةَ. **فإنَّ اللهَ لا يَتعاظمُه شـيءٌ أعطـاه.**) رواه البخاري (١١٨) ومسلم (٢٦٧٩). ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النـور: ١٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ **إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ليس لأحد العظَمة مـن دون الله، ولا مـع الله، فليس لأحد مُلْك شـيءٍ، ولا فضلَ لأحد على أحد، ولا لأحدٍ عظيمٍ قولٌ أو

فعلٌ يُحدِث في مُلْك اللهِ عظيمَ الأثر من غير أن يشاء الله ويأذن، فلا يتعاظمَ أحد بشيء هو لله وحدَه، ولا يُعَظّم أحد أحدًا لشيء هو لله وَحْدَه، فسبحان ربّي العظيم، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٤٣]، ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التغابن: ١]، فالمُلْك لله وحده، وكلُّ شيء هو مُلْكٌ له، يصرفه كما يشاء، وله الحمد وَحْدَه على ما قضى في مُلْكِه، فلا يتعاظمْ أحد بما وهبه الله من مُلْكِه لِيَبْتَلِيَه به وليحاسِبَه عليه، (عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قالَ: بينَما نحنُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ في سفَرٍ إذ جاءَ رجلٌ علَى ناقةٍ لَه، فجعلَ يصرِّفُها يَمينًا وشِمالًا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَن كانَ عندَهُ فضلُ ظَهْرٍ فليعُدْ بهِ علَى مَن لا ظَهْرَ لَه، ومن كانَ عندَهُ فَضلُ زادٍ فليَعُدْ بهِ علَى مَن لا زادَ لَه، **حتَّى ظننَّا أنَّهُ لا حقَّ لأحدٍ منَّا في الفَضلِ.**) أخرجه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٦٦) وإسناده صحيح، فلا فضل لأحد على أحد يتعاظم به عليه. ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ **أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ** ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾

[الأنفال: ٣٦]، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، فليس لأحد من عمل يُحدث عظيمَ أثرٍ في مُلْك اللهِ من غيرِ أن يشاء الله ويرضى.

(يقولُ اللهُ تعالى: **العظَمةُ إزاري** والكبرياءُ ردائي، فمَن نازَعَني واحدًا منهما عذّبْتُه.) رواه ابن تَيْمية في مجموع الفتاوى (٦/١٩٣) بإسناد صحيح، فلا يتعظّم أحد بما ليس له.

من تعظيم الله تعظيم شعائره، وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، فتعظيم الله من تقوى القلوب، فلا تنظر إلى صِغَر المعصية، بل انظر إلى عظَمة مَن عَصَيْت، ولا تنظر إلى صِغَر الأمر، ولكن انظر إلى عِظَم الآمِر، ولا تنظر إلى صِغَر النعمة، بل انظر إلى عظَمة المنعم، فهي عظيمةُ الأثر، وإن لم تُعلم، فسبحان ربّي العظيم، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢].

التقوى

التقوى من الوقاية، والوقاية هي حفظ الشيء مما يُؤذيه، أو صَوْن الشيء وسَتْره من الأذى، فالتقوى جعْل النفس في وقاية مما يُخاف، وتأتي في القرآن بمعنى الإيمان، والتوبة، والطاعة، وترْك المَعْصية، والإخلاص. أمّا الإيمان ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ** وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ **ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ** ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحُجُرات: ٣]، وأمّا التوبة ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ **ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ** لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وأمّا الطاعة ففي قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ **أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ** ﴾ [النحل: ٢]، وأمّا ترْك المعصية ففي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ **وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ** لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأمّا الإخلاص ففي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ **فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ [الحَجّ: ٣٢].

التقيّ مَن وَقّى نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح.

التقيّ مَن صان أمانته التي حمّله الله، وهي عبادة الله بالغيب، واستخلافُه في أرضه، فأدّى العبادات وترَك المحرَّمات.

التقيّ مَن صان نفسه من غضب الله العظيم، بأن ترك ما حرّم، وأتى ما أمر به.

فمَن عظَّمَ الله تعالى اتّقى غضبَه وعذابه بكلّ نفَسٍ يتنفّسه، وبكلّ همسة يهمسها، بل حركة يفعلها، فنجا؛ ومن عظَّم الله تعالى ووقى ما حَمله من أمانة، فقام بأدائها على أحسن حال فقد أفلح؛ ومَن لم يعظّم الله تعالى فما وقى نفسَه، وما وقى أمانته، فقد استحقّ عذابه، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقّة: ٢٥ ـ ٣٣].

الغِنى

اعلمْ أنّ الغِنى أن تستغنيَ عن غيرك وعمّا في يد غيرك رِضًى بالله ربًّا، تسأله وَحْدَه من فضله، ورضًى بما أعطاك الله فى يديك (فلا تكن في حاجة إلّا إلى ربّك)، والغِنى أن تنفق ممّا أنعم الله به عليك على خَلْقِه (فالغنيّ يُنفق والفقير يطلب)، والغِنى أن تستغنيَ عمّا لاينفعك ولا يفيدك في هدفِك وطريقِك ونهجِك (عبادة الله وطلب رضوانه وجنّته) مما لا يزيدك قربًا إليه، فالغِنى في الرضى، والصدقة، وترْك ما لا ينفع. واعلمْ أنّ ربَّك العظيم أمدَّك مِن نِعَمِه ما به تنعم وتقوم بعبادته (وهذا هو المطلوب منك، أن تعبدَ الله تعالى، وبذلك تنال خير الدنيا والآخرة) من

دون ما قد يفسِـد عليكَ أمرَك، فلا تمدَّ عينيْك إلى شـيء قضى ربُّك به لغيـرِك فتنةً له، وازديـادًا لِما حمل من أمانـة، وازديادًا لحسـابه، ومن ثَمّ جعله عرضة لعذابـه أكثر إن لم يقـمْ بحقّه، وارْضَ بما قسمه لك لتسـتعين به على عبادته، وأدِّ أمانةَ ما أنعم به عليك إلـى خَلْقـه، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

واعلمْ أنّ ما أعدّه الله العظيم لك من رزق هو آتيكَ بلا زيادة أو نقصان، وقد أخبركَ أن تمشِـيَ في أرضـه لتأخذَه بلا تكالُب عليه، ولا مسارعة، ولا مسابقةٍ لغيرك، لأنه لك أنت، وهو آتيك، ولن يشـارككَ فيه أحد، فاطلبْ رزقَك بلطف وتُؤَدَة وعزّة (فهو ليس بِيَد غيرك من الخَلْق يسـتزلُّك به، بل بيَدِ الله العليّ العظيم وَحْدَه لتعبدَه بـه فيُعزَّك به، وهو آتيكَ مـن الله رغم أنف جميع الخَلْق)، واطلبْه بطاعةِ الله بلا إثم. واعلمْ أنّ رزقكَ يكفيك عبادةَ ربِّكَ في كلّ المجالات، وهـو عظيم النفع لـك إن صرفْتَه في ما أرسـلَه الله لأجْله وطلبْتَه بأدب مـع الله؛ أي من دون عصيانٍ لأمره، ومن دون جحود لفضله، ومن دون ترْكٍ لِشُـكره، أمّا إن مدَدْتَ عينيْك إلى ما في يد غيرِك، وسارعتَ، وسابقتَ، وقاتلتَ غيرَكَ على أرزاقهـم، أو طلبْتَه بعصيان الله وسـوء أدب مع الله، نكرانًا لفضل الله عليك، وعلْمه بحالك ومآلك؛ فلن تنال شـيئًا من رزق غيـرِك، ولن تزداد مثقالَ ذرّةٍ خلافَ ما قسَـمَهُ الله لك.

وإن صرَفْتَه في ما لم يرسلْه الله لأجْله، ضاع عليك عظيمُ أثره، وما كفاكَ حاجتكَ التي أُرسلَ لها، وقد يعاقبكَ الله بفتح مصارفَ تهلِكُه قبل انتفاعِك به، فامشِ الهُوينى وأنت تطلب الرزق، وسارعْ وسابِق إلى طلب مغفرة الله، ورضوانه، وجنّته، بعملك الذي تطلب به ما قسَمه لك من رزق، فعملُك هذا عبادة لربّك، وذلك بأن تُحسن عملَك الذي تتكسّب منه، وتسارع لتُتْقنه تقرّبًا إلى الله فتنفع به خَلْقَ الله، وتقيم به، وفيه، شرع الله، وتدعو به إلى الله، وتُخلصه لله إيمانًا به، وعملًا للصالحات، وقيامًا بأمر الاستخلاف، لتنال به مغفرة الله وجنّته. ثم أنفِقْ ما قسمه الله لك من رزق، وساقه إليك من طريق عملك الذي عملْته عبادةً له تعالى، أو ساقه إليك مِن طُرق أخرى خفِيَتْ عليك، في ما يحبّ ويرضى. وادَّخِر منه لتنفقه في ما يحبّ ويرضى. هكذا يكون شُكْرُ الله العظيم على عظيم نِعَمِه، فسبحان ربّيَ العظيم وبحمده، فتأمَّل المشي لطلب الرزق: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلْك: ١٥]، وتأمَّل الإسراع إلى أيّ شيءٍ يكون: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمران: ١٣٣]، وتأمَّل المسابقة: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

[الحديد: ٢١]، (يا أبا هُريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، **وارْضَ بما قسمَ اللهُ لكَ تَكُنْ من أَغْنَى الناسِ**، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإيّاكَ وكثرةَ الضَّحِكِ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ.) أخرجه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٣٣)، وإسناده صحيح.

اِعلم أنّ شكر الله العظيم على عظيم نِعَمِه يقابله الكفر، وبالشكر يزيدك الله من عظيم فضله، وقليلٌ من العباد يشكر ربّه العظيم المنعم: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزُّمَر: ٧]، ﴿ **وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ** ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ **وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** ﴾ [سَبَأ: ١٣].

فعلى قدْر رضاك بربوبيّة ربِّك العظيم وبقسمته، واستغنائك عمّا في يد غيرك، على قدْر غناك؛ وعلى قدْر نفقتكَ في سبيل الله، وزهدِك في ما سوى ذلك، على قدْر غناك بفضل الله العظيم عليك؛ وعلى قدر عملكَ وجمْعكَ ما به تشتري قصورًا ونخيلًا

وحدائق في الجنة، على قدْر غِناك؛ فسبحانَ الله وبحمده، سبحان الله العظيم، فالحمد لله عددَ خَلْقِه ورضا نفسِـه وزِنَةَ عرْشِه ومِدادَ كلماته.

فأرضَ بما قسـمه الله لك ولا تسـتزِد من عذابه فتزلّ: (**مَن سألَ وعندَهُ ما يغنيهِ فإنَّما يَسـتَكْثرُ منَ النّارِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما يُغنيهِ؟! قالَ: قَدْرُ ما يغدِّيهِ أو يعشِّـيهِ.**) أخرجه الألباني في تخريج مِشـكاة المصابيح (١٧٨٨)، وإسـناده صحيح. فلا تمدّ عينك إلى ما في يد غيرك فتسـأله إياه: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه: ١٣١].

وأنفِق في سبيل الله تَزْدَدْ غِنًى: (ما نَقَصَ مالٌ مِن صدقةٍ، ولا زادَ اللهُ عبدًا يعفو إلّا عزًّا، ومَن تواضعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ.) رواه مسـلم (٢٥٨٨)، فأنفِـقْ يُنْفِقْ اللهُ عليكَ من خزائنـه من حيث لا تدري، ولا تخشَ الفقرَ من نفقتك، بل أيقِنْ أنّ فيها غِناك، فقد (قال اللهُ ﷻ: **أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك**، وقال: يدُ اللهِ مْلأى لا تَغيضُها نفقةٌ، سحّاءُ الليلِ والنهارِ. وقال: أرأيتم ما أنفقَ منذ خلَقَ السـماءَ والأرضَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يدِه، وكان عرشُـه على الماءِ، وبيَدِه الميزانُ يخفِضُ ويرفـعُ.) رواه البخـاري (٤٦٨٤) ومسـلم (٣٧). وقال تعالـى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**

وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ **فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١١١]، واعلمْ أنّ الصدقة قرينةُ الإيمان بالآخرة وما فيها من جنّة ونار، والبخلَ قرينُ الكفر والتكذيب بها وعدم استقرار اليقين بها في القلب: ﴿ **فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞** فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ **وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞** فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، فالصدَقةُ الخالصةُ لوجهِ الله، سواءٌ أكانت من مالٍ أو زادٍ أو علْمٍ، دليلُ الإيمان بالآخرة، والبخلُ دليلُ الشكّ فيها، والإيمانُ بالآخرة فرقانٌ بين الإيمان والكفر.

وفي مقابِل الغِنى، مَن المفلس؟ (**أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا مَن لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ مِن أمَّتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حسناتُه، قبل أن يقضيَ ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه. ثُمَّ طُرِح في النّار.**) رواه مسلم (٥٩).

إذًا، الغِنى في الرضى، الغِنى في الباقيات الصالحات التي بها تُشترى الجنانُ والقصورُ، وتدفع عنكَ شرَّ خطاياك. الغِنى في النفقة (الغنيّ يعطي؛ فيَدُه عليا، والفقير يأخذ؛ فيَدُه سُفلى.)

فأنتَ إن أردتَ زينــة الحياة الدنيا ومتاعَها ومفاســدَها جمعتَ، وادخرتَ لها المال، وكلّما بلغ ما جمعتَ أمــرًا منها دفعْتَه ثمنًا له، ثم تَطلّعَت نفسُك لِما هو أغلى منه فافتقرَتْ نفسُك إليه، تريد أن تحوزَه، فتلهث لتجمع له المال، غيرَ مبالٍ أمِن حلال أم حرام تكســبه؟ غير مبالٍ أفي ذلك الأمــر مصلحةٌ أم مفســدة؟ فكلّ ما تريده هو التمتّع والتلذّذ وجمْع الدنيا، فإن لم يبلغْ ما جمعتَ ثمنًا لِما تريد مــن الدنيا أصابك الفقرُ، لأنك لا تملكُ ما يســدّ حاجتَــك؛ لكن ما هي حاجتــك؟؟ إنها التمتّــع والتلذُّذ وجمْع الدنيا، فلن يغنيَك شــيء ترى فيــه كفايةً لك حينئــذٍ، لكن إن تصدَّقتَ بمالِك فهو ترويض للنفس، وإعلام لها أنّ ما لديها من مال هو زائد عن حاجتها، فليست الدنيا حاجَتَها... وكلّما زهدتَ في الدنيا تصدّقتَ بفضلِ مالِك ولو بشِــقّ تمرة، فطلبُ رضوانِ اللهِ وجنّته هو حاجتك، وهي قد تطلَب ولو بشِــقّ تمرة، فلســتَ فقيرًا عن طلب حاجتك، ثمّ ما دون حاجتِك، فلا حاجةَ لك إليه، فلســتَ مفتقرًا إليه، وقد أغناك الله بأن كتب لك من الرزق ما به تحيا وتعبــده فتتقرّب إليه، وتنــال رضوانه وجنّتــه؛ وفيه فضلٌ تتصدّق به عبــادةً له كذلك، ولو بشِــقّ تمرة، فتــزداد منه قربًا، فســبحانَ الله وبحمده، ســبحانَ الله العظيم: (قال ﷺ في خطبته: اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السُّــفلى، اليــدُ العليا المُعطيــةُ، واليدُ السُّفلى يدُ السائلِ.) رواه البخاري (١٤٢٩) ومسلم (٩٤)، (كنّا عندَ

رســـولِ اللهِ ﷺ في صدرِ النَّهـــارِ، فجاءَ قومٌ عراة حفـــاة متقلِّدي السُّـــيوفِ عامَّتُهم مِـــن مُضَرَ، بل كلُّهـــم مِن مُضَرَ، فتغيَّـــرَ وَجْهُ رســـولِ اللهِ ﷺ لِما رأى بِهم مـــنَ الفاقةِ، فدخلَ، ثُـــمَّ خرجَ فأمرَ بلالًا، فأذَّنَ، ثُمَّ أقامَ الصَّلاةَ فصلَّى، ثمَّ خطبَ فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]. **تصدَّقَ رجلٌ مِن دينارِهِ، مِن دراهمِهِ، مِن ثوبِـــهِ، مِن صاعِ بُرِّهِ، مِن صاعِ تمرِهِ، حتَّى قالَ: ولو بشِـــقِّ تمرةٍ**؛ فجاءَ رجلٌ منَ الأنصارِ بِصُرَّةٍ كادت كفُّـــهُ تعجَزُ عنْها، بل قـــد عجزتْ، ثُمَّ تتابـــعَ النّاسُ حتَّى رأيتُ كومَيْنِ من طعامٍ وثيابٍ، حتَّى رأيتُ وَجْهَ رسولِ اللهِ يتَهلَّلُ كأنَّهُ مذْهبةٌ، فقالَ رســـولُ الله: مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسنةً فلَهُ أَجْرُها وأَجْرُ من عمِلَ بِها من غيرِ أن ينتقصَ من أجورِهم شـــيئًا، ومَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيِّئةً فعليْهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَن يعملُ بِها من غيرِ أن ينتقصَ من أوزارِهم شـــيئًا.) أخرجه مســـلم (١٠١٧).

(أيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليه من مالِه؟ قالوا: يا رســـولَ اللهِ، ما منّا أحدٌ إلّا مالُـــه أحبُّ إليه، قـــال: **فإنَّ مالَـــه ما قدَّمَ، ومـــالُ وارثِه ما أخَّر**.) رواه البخاري (٦٤٤٢). ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، فتلك هـــي حاجتُك التي تنفق فيها مالَك فيبقى لك عند ربك.

فعلى قدْر برمجتِكَ لنفسِك أنّ الله هو العظيم سبحانه، على قدْر رضاكَ بالله وغِناكَ به وبفضْلِه، وعلى قدْرِ عملِكَ وإنفاقِك شكرًا لله، وعلى قدر حبّكَ وإجلالِكَ لله وحمْدِك لله، وعلى قدْرِ تعظيمِكَ لشَرْعِه وأمْرِه ولقائه، لَانْعَكَس ذلك على خُلُقِكَ وعملِكَ ونهجِكَ، ولعلّكَ بذلك أن تكون عبدًا شكورًا، فتكون قرَّةُ عينِكَ في عبادة الله ربّك العظيم التي عمودها الصلاة: (قام النبيُّ ﷺ حتى تورَّمَتْ قدَماه، فقيل له: غفَر اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِك وما تأخَّرَ، قال: (**أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا؟**)) رواه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٧٩). (حُبِّبَ إليّ مِن دنياكم النساءُ والطيبُ، **وجُعلَتْ قرَّةُ عيني في الصلاة.**) أخرجه النَّسائي (٣٩٥٠)، وإسناده صحيح.

الحمد

لا تترك تعظيمَ اللهِ وحمْدَه دومًا، وفي كلّ أمرِك، من سَرّاءَ شكرًا لله، ومِن ضَرّاءَ صبرًا وشكرًا للهِ كذلك، فالحمدُ من أعلى درجات الصبر والرضى، فأحبُّ ذكرٍ إلى الله في كلّ حال: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وكلُّ ما أصابك به الله الربّ الكبير العظيم فهو رحمةٌ وخيرٌ لك: (**عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ! إنّ أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمنِ. إن أصابتْه سَرّاءُ شكرَ، فكان خيرًا له؛ وإن أصابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَر، فكان خيرًا له.**) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٩٩).

وللإنسان عند حلول المصيبة أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يتسخَّط إمّا بقلبه، أو بلسانه، أو بجوارحه.

والحالة الثانية: أن يصبر بأن يحبِسَ نفسَه عمّا يَحرُم عليه فعلُه، هو يكره المصيبةَ، ولا يحبّها، ولا يحبّ وقوعها، لكنْ يُصَبِّرُ نفسه؛ فلا يتحدّث باللسان بما يُسخط الله، ولا يفعلُ بجوارحه ما يُغضب الله، ولا يكون في قلبه شيء على الله أبدًا.

والحالة الثالثة: أن يرضى، بأن يكون الإنسان منشرحًا صدرُه بهذه المصيبة، ويرضى بها رضاءً تامًّا وكأنه لم يصَبْ بها؛ يقينًا أنه وما يملكُ فَمِن الله، ومُلْكٌ لله؛ واللهُ يُمضي في مُلْكِه ما يشاء من حُكمِه، وهو مَن يَرِثُ الأرضَ ومَن عليها، ويقينًا أنّ الله لا يُضيعُ صبرَه وثباتَه على الإيمان بربّه مهما أصابه يوم الحساب، وكذلك يحاسبه على جَزَعه وسُخْطِهُ وقنوطِه من ربِّه لِما أصابه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ **وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

والحالة الرابعة: أن يشكر، فيشكر الله عليها يقينًا أنّ فيها خيرًا له، وإن لم يعلمْه، لأنّها من ربّه الكبير العظيم، فبها تُغْفَر ذنوبه، وتُرْفَع درجاتُه، ويُصْرَف عنه أشدُّ منها، ويَزداد قربًا إلى ربّه،

ويَزداد بها ثوابًا: (**ما يُصيبُ المُسلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشَّوْكَةَ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ اللهُ بِها مِن خَطاياهُ.**) رواه البخاري في صحيحه (٥٦٤١). (**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا رأى ما يُحبُّ قالَ: الحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصّالحاتُ، وإذا رأى ما يَكْرَهُ قالَ: الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ.**) أخرجه النووي في الأذكار (٣٩٩)، وإسناده جيد.

فأطِع أمرَ العظيم لعظيم نِعَمِه ومِنَنِه وفضْله عليك، وأنتَ مُلْكٌ له، وفي مُلْكِه، وكلُّ شيء داخلٌ في مُلْكِه، فما أصابَك من نعمة فهو من الله. واعلمْ أنك مهما فعلت فلن توفّيَ العظيمَ فضْلَه عليك، ولن توفيَه قدْرَه، فلا تمنُنْ عليه بعملكَ، فسبحان ربِّيَ العظيم: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ** وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ [الحُجُرات: ١٧]؛ (لقدْ قلْتُ بعدَكِ أربعَ كلِماتٍ، ثلاثَ مرّاتٍ، **لَوْ وُزِنَتْ بما قُلْتِ منذُ اليومُ لَوَزَنَتْهُنَّ: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، عدَدَ خلْقِهِ، ورِضا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدادَ كَلِماتِهِ.**) رواه مسلم (٧٩).

لا شكّ أنّ اعتقادَ العبد بأنّ الله ﷻ هو العظيم وَحْدَهُ يورثُه شيئًا مِن الاطمئنان؛ لأنه حين يشعر أنّ ربّه هو العظيم ـ كما قلنا

ـ وما دونه حقير لا يساوي شيئًا ولا يملك شيئًا، ولا قُدْرَةَ له على تغيير شيءٍ، ولا احتياجَ له إليه؛ فهو لن يُنعم عليه بشيء، فإنه لا يضطرب ولا يخاف ولا يقلق، فليست حاجتهُ ولا أمرُه ولا رزقُه بيدِ أحدٍ سوى ربِّه، فيضطرب بين مَن بأيديهم رزقُه، ولا يخافُ فَواتَ رزقٍ، فإنه آتيهِ لا مَحالة، ورزْقُه يكفيه عبادةَ ربّه، فلا يحزنُ على ما لا يقرّبه إلى ربِّه، ولن يكلّفه الله إلّا ما هو في نطاق رزقه، فلا يأبه بأيّ ضغوط أو أعباء أو مسؤوليات، وليس لأحد مُلْكُ شيء من السماوات والأرض فيتصرّف فيها كيفما شاء دون ما يشاء الله ربُّه؛ فلو ملأ قلبَه بهذه المعاني فتبرمَج عليها وأُشربَتْ فيه، فإنها تحفظه أن يخاف ما سواه ـ سبحانه ـ أو أن تضطرب نفسُه، أو أن تحزن على ألّا تجد حاجتها، ولمَ يخاف؟ وليس في الكون عظيم غيرُ الله، فلا يُعَظَّمُ أحد مثلُه، فهو وَحْدَهُ ذو العظَمة والجلال في مُلْكِه وسلطانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]. ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحاقّة: ٣٠ ـ ٣٣].

ومن كان لا يؤمن أنّ اللهَ هو العظيم سبحانه؛ العظيم الربوبيّة، العظيم المُلْك، العظيم السلطان، العظيم الفضل، العظيم الثواب، العظيم العقاب، العظيم الرحمة، فما عظّم أمره فاتَّبَعه، ولا عظّم محارِمَه فاجتنبها، فقد حقّ عليه عذابُ الله العظيم، فما عظَّمَ ما عظّمَ اللهُ العظيم؛ فإذا كان الله سبحانه يعظّم شأن بعض الأيام، كالعشر من ذي الحِجّة، فينبغي أن تُعظَّم في قلبك، وإذا كان لرمضان مزيّة عند الله عن باقي الشهور، فينبغي أن يعظَّم في قلبك، وإذا كان للأشهر الحُرُم مزيّة عند الله عن غيرها من الشهور، فينبغي أن تعظَّم، وهكذا؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢]، فمِن تعظيمه تعالى تعظيمُ شعائره، لا سيّما ما عَظّمَ في ما شرعه لنا، وعلى رأسها الصلاة؛ وإن كان الله عظَّم الحُرماتِ فيجب أن تعظّمها كذلك، فمِن تعظيمه اجتنابُ نواهيه ومحارمِه وزواجره: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠]، لأنكَ ما وقَعْتَ في النهي إلّا لمّا هان في قلبكَ قدرُ الله تعالى، والأصلُ أنكَ قد هُنْتَ عند الله، فَوَكَلَك إلى نفسِك، ومن يُهِنِ اللهُ فما له من مُكْرِم، فلو كان للهِ في قلبك قدرٌ من التعظيم ما وقعتَ في محارِمه، فسبحانَ ربي العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ

أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحَجّ: ١٨].

مَن أراد أن يكون له حظٌّ من اسمِ الله العظيم، فيَنْعَم بفضله ويطمئنَّ قلبُه ويزدادَ إرثُه في الجنّة، فينبغي أن يعظِّم الله تعالى؛ ومن تعظيم الله تعالى:

• تعظيم أمْرِه ونَهْيِه.

• تعظيم فَضْلِه، فتحمَد فضْلَه عليك، وتصرُّفه في ما يحبّ ويرضى، ولا تتسخّط، وتمدّ عينيك إلى ما متّع به غيرَك، وتصرِف نِعَمَه عليك مبذّرًا لها غيرَ مكترثٍ أصَرَفْتَها في طاعته أم في معصيته سبحانه.

• طاعة رسولِه ﷺ وتوقيرُه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

• التواضع لعظَمَتِه.

• تعظيم كلامه وشرعه وأمرِه، باتّباعه وإقامتِه والدفاع عنه.

• تعظيمه في ذاته وأسمائه وصفاته.

• تعظيم الوقوف بين يديه في الدنيا في صلاتك، وفي الآخرة يومَ حسابك لعظيمِ ربوبيّته ـ سبحانه ـ ولعظيم مُلْكه وخَلْقِه وأمْرِه ونِعَمِه وفضْلِه الذي عمّ كلَّ خَلْقِهِ، فما من أحد به من نعمةٍ إلّا هي منَ الله، فالكلُّ مربوبٌ به، فهو الربّ العظيم الربوبيّة سبحانه.

• تعظيم شعائره.

• تعظيم عصيانِه وتعظيم فضْلِه، فلا تنظرُ إلى صِغَرِ المعصية بل تنظرُ إلى عَظَمَةِ مَن عَصَيْت، ولا تنظرُ إلى صِغرَ النعمة، بل تنظرُ إلى عظَمة المُنعِم؛ فنِعَمُهُ عظيمةُ الأثر وإن لم تُعلم. فخذْ نِعَمَ الله عليك، وأنفِقْها في ما يحبّ من أوجُهِ عبادته شكرًا لله، وإيّاك وعصيانَ أمره: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

• الغيرة له: أن تغار لله، أن تغار لغَيْرةِ الله تعالى، فالله يغار وغَيْرَةُ اللهِ أن تُنْتَهَكَ محارِمُه، فتغارُ إن رأيتَ انتهاكَ حُرُماتِ الله ﷻ.

• من تعظيم الله الإكثار من ذكره، والبدء باسمه دائمًا في كلّ شيء كما بدأ به سبحانه كتابه؛ فأيّ شيء لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر

لا يباركه الله تعالى؛ كما أنّ الشـيطان يخنَس ويصغُر إذا ذُكِرَ اسمُ الله؛ وذِكْرُ اسم الله تعالى سِتْرٌ للمسـلم؛ لأنه لا يعظَّم مع اسم الله شـيء، وكذلك قلبك إذا عظّم الله تعالى فإنه يخضع وينكسـر إذا ذُكِرَ عنده اسـمُ الله، فلا يعظَّم مع اسم الله في قلبِكَ شيء: (لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطانُ، فإنَّهُ يَعْظُمُ حتى يَصيرَ مِثْلَ البيتِ، ويقولُ: بِقُوَّتِي، ولكنْ **قُل**: **بسـمِ اللهِ، فإنَّهُ يَصْغُرُ حتى يَصِيرَ مِثْـلَ الذُّبابِ**.) رواه النَّسائي (١٠٣١٢)، وإسـناده حسـن؛ (**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأُ فيه ببسـمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم**، وبـ الحمدُ للهِ، أو بحمدِ اللهِ، أو بذِكرِ اللهِ، **فهو أجذَمُ أو أقطَعُ أو أبتَرُ**.) أخرجه ابن دقيق العيد في شـرح الأربعين لابن دقيق (١٤)، وإسـناده صحيح؛ (**سَـتْرُ ما بينَ أَعْيُنِ الجِنِّ وعَوْرَاتِ بَنِـي آدمَ** إذا دخلَ أحدُهُمْ الخلاء أنْ يقولَ: **بسـمِ اللهِ**.) أخرجه الألباني في الجامع الصغير (٣٦١١)، وإسناده صحيح.

• من تعظيم الله كذلك أنكَ إذا كنـتَ ترى اللهَ بعينِ التعظيم والإكبار، فإنكَ ترى نفسَكَ بعينِ الذلّ والانكسار والافتقار.

فعظِّم ذاتَ الله وشـأنه، وعظِّمْ أمْـرَهُ ونَهْيَهُ وفَضْلَـهُ وغَضَبَهُ وعذابَه؛ فسبحان ربّي العظيم.

هو عظيـمٌ في ذاته، عظيمٌ فـي صفاته، عظيمٌ في أسـمائه، عظيمٌ مُلْكُه، عظيمٌ فضلُـه، عظيمٌ أمْرُه وشَـرْعُه، عظيمٌ غَضَبُه، عظيمٌ لقاؤهُ، عظيمٌ عذابُه، عظيمةٌ رحمتُه وثوابُه، فله الحمدُ، فهو عظيمُ المحامِد، فلِعظيمِ فضلِـه عليكَ عظِّم أمرَه إليك، واحمدْه،

وٱشــكُرْ فضلَه، فأحنِ ظهرَكَ إليــه بالركوع إليه ذلًّا وانكســارًا لربوبيّتــه، وإعظامًــا وإجلالًا وعرفانًــا لفضلِه، واركــعْ تواضعًا لعظَمَته وخضوعًا لربوبيّته، واطمئنَّ راكعًا، فما مِن عظيمٍ ســواه، بِيَدِهِ ملكوتُ الســماوات والأرض وخزائنهما ومفاتيحهما، فمنه وَحْدَه النِّعَم، وله وَحْدَهُ التصرُّف في ما ملك؛ فاركَعْ لله وسبِّحْه: فسبحانَ ربِّيَ العظيمَ، ما شابَ عظَمَتَهُ شيء.

الركوع

ركع الشيخ: انحنى كِبَرًا، وهو أصل معنى الركوع.

ركع: انكبّ لوجهه بعد خفض رأسه.

ركع الرجل: افتقر بعد غِنًى وانحطّ حاله.

كلّ شيء ينكبّ على وجهه.

الركوع: الخضوع والانحناء في الهيئة أو التواضع.

ركع: طأطأ رأسه.

ركع إلى الله: أي اطمأنّ.

الركوع ذلًّا وانكسارًا لعظيم الربوبيّة مِنْ خَلْقٍ ومُلْكٍ وتدبير، فســبحانَ ربِّيَ العظيمَ، لكَ الرّضى وتعظيم القــدْر، فما بي من نعمةٍ إلّا هي منك.

التسبيح

التسبيح: التنزيه مع المدح، والتنزيه هو الإبعاد، أي إبعاد صفات النقص من أن تضاف إلى الله تعالى، وهو كذلك تنزيهُ اللهِ عن كلّ سوء، وعن كلّ ما لا يليق، ومنه الإقرار ببعده تعالى عن أن يكون له مِثْل أو شريك أو ضدّ أو ندّ؛ والتنزيهُ لا يكون مدحًا إلّا إذا تضمّن معنًى ثبوتيًّا، أي أنّ التسبيح هو التنزيه مع إثبات المحامد التي منها توحيدُه في ما ينزَّه منه ويحمَدُ عليه.

فسبحان ربِّيَ العظيم تنزيهُ لِعَظَمَةِ اللهِ أن يشوبَها نَقْصٌ وإثباتُ محامِدِ العَظَمة لله وثناؤه عليها، فالتسبيح قرينُ الحمد، والتكبير قرينُ التهليل.

لذلك فإنّ سبحان ربِّي العظيم مناسِبةٌ جدًّا للركوع، حيث خفض الرأس عرفانًا وتواضعًا وانكسارًا للفضل والنعمة والمنّة، وحَنْيُ الظهر ذلًّا وانكسارًا لمن تعظّم قدْرَه، فـ«سبحان» فيها تنزيه له سبحانه عن النقصِ، والإقرار للنفس به، و«ربي» فيها معنى المحبة حيث ياء المتكلم تحمل معاني الحب والإجلال لله الذي تولّاك بعظيم ربوبيّته، ثمّ «العظيم» فيها الإعظامُ لله، فتتحقق في «سبحانَ ربّيَ العظيمَ» معاني العبوديّة: ذلّ تامّ، وحبّ تامّ على جهة التعظيم والإكبار والإجلال.

فقابِلْ عظَمَة الله تعالى بأن تركَعَ له ذلًّا لعَظَمتِه.

إن أردتَ أن يكــون لك حظٌّ من اســم الله العظيــم، فتنال التقوى والاطمئنان والغِنى ورِضى ربِّك العظيم، فتزداد مِن نِعَمِه؛ فعظِّم ربَّك العظيم، فسبحانك ربّيَ العظيمَ؛ أُقِرُّ بفضلكَ ونِعَمِك عليَّ، وبكَ رضيــتُ ربًّا تامًّا وعظيم الربوبيّــة، وبك آمنتُ أنَّكَ أنتَ الــربُّ العظيم، فتقبَّلْ حمــدي لك، وأعِنِّي على شــكرِكَ، وزدني مِن فضلك.

إن أدركتَ شــيئًا من عظَمة الله، علمتَ لِمَ يُتبع التعظيم دومًا بالحمد سواء في الأذكار أو بعد القيام من الركوع الذي فيه يعظَّم الربُّ تعالى.

في الركوع، كلّما رســخ في القلــب تعظيمُ الــربّ العظيم ســبحانه بما يودِعُه فيه ما يردّدُه اللســان من تســبيح بحمد الله العظيــم وعظَمته، ويكيّفه الجســد من ذلّ لعظَمته، مع انكســار وخضوع، ويتفكّر فيــه العقل مــن أوجُه ودلائل وأثــر لعظَمَته تعالى، اطمأنّ وخرجتْ منه عَظَمةُ النفس وتعظيمُ العبيد، وأُشرب القلبُ بالتقوى والرضى والاطمئنان وتبرمج على ذلك.

بعد الركوع

فبعد أن عظّمتَ ربّكَ راكعًا ونزّهتَ عظَمَتَه أن يشوبَها نقص؛ قمْ لتحمــدَه على كمال عظَمتِــه المحمود أثرهــا، واحمدْه على سابغ نِعَمِه وفضله، فهو ســبحانه يحبّ أن يسمع حمْدَ عباده له:

سمع الله لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا لكَ الحمد: (كنّا يومًا نصلّي وراءَ النبيِّ ﷺ، فلمّا رفَعَ رأسَهُ من الركعةِ، قال: **سمِع اللهُ لِمَن حَمِدَه.** قال رجلٌ وراءَه: **ربَّنا ولكَ الحمدُ، حمدًا كثيرًا طيّبًا مبارَكًا فيه.** فلمّا انصرَف، قال: مَنِ المتكلِّمُ؟ قال: أنا، قال: رأيتُ بِضعَةً وثلاثينَ مَلكًا يبتَدِرونَها، أيُّهم يكتبُها أوّل.) رواه البخاري في صحيحة (٧٩٩).

الشكر والحمد والمدح

الحمد يكون بالقلب واللسان.

الحمد: الثناء على الله بذكر صفاته العظيمة، ونِعَمِه العميمة، مع حبٍّ وتعظيم وإجلال.

يكفي أن تعلم أنّ من ثواب الحمد أنّ (**أولُ منْ يُدعَى إلى الجنةِ الحمّادُونَ**، الذين يحمَدونَ اللهَ على السرّاءِ والضرّاءِ.) رواه السّيوطي في الجامع الصغير (٢٨٣٥)، وإسناده حسن، ورواه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٣٢) بإسناد ضعيف. أمّا أفضل الحمد فهو: الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا، طيّبًا، مبارَكًا فيه، مبارَكًا عليه كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَى: (صلّيتُ خلفَ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فعَطَسْتُ، فقلتُ: **الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا، طيّبًا، مبارَكًا فيه، مبارَكًا عليه، كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَى**، فلمّا صلّى النبيُّ ﷺ، انصرف؛ فقال: مَنِ المتكلّمُ؟ قال رِفاعةُ: أنَا يا رسولَ اللهِ! قال: والذي

نفسي بِيَدِه؛ لقد ابتدَرها بِضعةٌ وثلاثون مَلَكًا، أيُّهم يَصْعَدُ بها؟!) رواه مسلم في الطهارة (٢٥٠).

أمّا الشكر فهو يتضمن خضوعَ الشـــاكر للمشكور، وحبَّه له، واعترافَه بنِعَمهِ، وثناءه عليه بها، وألّا يستعملَها في ما يكره، ومِن ثَمَّ فالشكر يكون باللسان والجَنان والجوارح. وقد يتوافق الحمد والشكر وقد يفترقا، فإن بذل أحد لك الخير فأثنيتَ عليه بلسانك فهو حمد وشـــكر، أمّا إن زدتَ على الثناء باللسان أن فعلتَ أمرًا تقدِّمه له حبًّا واعترافًا ومقابلةً لجميلٍ صنَعه، فهو شُكر، وأمّا إن كان الثناءُ على جميلٍ صنعه لك ولغيرِك، أو على جميلِ أخلاقِه عامَّةً فهو حمد، وأمّا إن كان الثناء علـــى أمرٍ لا دخْل له فيه مثل بياض وجْهِه، فهو مدح.

هل أدركتَ جزءًا من معنى «ســـبحانَ ربِّيَ العظيم»؟ ولماذا هي في الركـــوع؟ ولماذا يعقـــب الركوع كما يعقـــب تعظيم الله عمومًا حمدُ الله تعالى؟ فسبّحْ باسمِ ربِّك العظيم.

❋❋❋

سبحانَ ربِّيَ الأعلى

الآن، مع كلمات فيها من تأليه الله ما جعلَها تُقال في أشرف أوضاع الصلاة: السجود.

المعنى اللغوي

العليّ والأعلى والمتعال، كلُّها لها اشــتقاق من (علوّ)، أي السموّ والارتفاع.

العلوّ في أسماء الله تعالى علوّ الذات والشأن والقهر.

علوّ الذات (المكان): علا بذاته

أي أنّ الله فوق جميــع مخلوقاته، في ســمائه فوق العرش، بائنٌ مِنْ خَلْقِه، لا يحلّ فيهم ولا يخالطونه، فهو غير مشابِه لهم، وهو في علــوِّه قريب من خَلْقِه، يجيب دعــوة الداعي إذا ناجاه، فذلك من كمــال العلوّ أن يكون مطّلعًا علــى خَلْقِه، قريبًا منهم، يحيطهم بسمعه وبصره وقدرته، مع علوِّه وبَيْنونتِه منهم.

علوّ الشأن (القدْر والمكانة)

أي المنزَّه عن كلِّ نقص، الصمد الذي أعجزَ مَن رامَهُ لِما له من عليّ الصفات والأوصاف والأفعال التي لا تُرام، فعلْمُه فوق

كلِّ علْــم، وقدرته فوق كلّ قدرة، ورحمته فــوق كلّ رحمة، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجــدّ (أي لا ينفع ذا الغِنى منــه غناه، أي أنّ غِنى صاحب الغنى لا ينفعه من الله؛ لأنّ غِنَى الله أعلى مِن غِناه، وإنما ينفعه العمل الصالح الذى يتقــرّب به إلى الله الأعلى، فلا أحد يُنجيه من الله، حظُّه من مالٍ أو ولدٍ أو ســلطانٍ، إنما ينجيه فضلُ الله ورحمتُــه، لأنّ الله هو الأعلى، فلا يعلــو عليه أحد بما أُعطي مهما بلغ)، فله علوّ الصفات وعظَمَتُها، فلا يماثله مخلوق، بل لو اجتمع الخلق كلّهم لما استطاعوا أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته سبحانه، قال ﷻ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طــه: ١١٠]. وعلوّ الشأن يدلّ باللزوم على الحياة، والقيّوميّة، والســيادة، والصمديّة، وانتفاء الشــبيه، والمثليّة، والكمال المطلق في كلّ شيء، فلا يُماثَل، ولا يُبارى، ولا يُمَنّ عليــه بنِعَمٍ، ولا يُنالُ من أيّ جهة، ولا يُشــفَع عنده إلّا بإذنه، فلا يد لأحد عليه.

علوّ القهر

أي قاهرٌ فوق عبــاده، غالبٌ على أمره، لا يخرُجُ شــيء من تحت تصرُّفه وقبضتِه وســيطرته: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٧]، فله مقاليد السماوات والأرض، والأرضُ جميعًا قَبْضَتُه.

العليّ

صفة على صيغة المبالغة من العلوّ، فَعَلـيّ صيغة مبالغة لـ: عالٍ؛ وهو يدلّ على علوّ الذات والشأن، وهي صفة لازمة لذات الله تعالى. فالعليّ هو الذي علا بذاته ومكانتـه، وارتفع ارتفاعًا مطلقًا، فكان فـوق الكلّ مكانًا وقدرًا؛ ودائمًا ما يقترن اسـم الله العلـيّ بذكر العـرش والكرسـيّ (فالعـرش والكرسـيّ أعلى مخلوقات الله، والله تعالى فوق العرش مسـتوٍ على الكرسـيّ.) ويقترن كذلك بذكر العظَمـة علوُّ الصفات التي لا تُرام: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البَقَرة: ٢٥٥]. وعلوّ الفوقيّة أو علوّ الذات الذي دلّ عليه اسمه العليّ ثابت على الحقيقة بالكتاب والسـنّة وإجماع الأنبياء والمرسَلين وأتباعهم، فهو سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشـه، بائنٌ من خَلْقِه، لا شيء من ذاته في خَلْقِه ولا خَلْقُه في شـيء من ذاته، ولا يمنعه علوّه من أن يعلم أعمال خَلْقِه، ويسـمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ولا تَخفى عليه منهم خافية.

من المخلوقات من قد يُوصف بشـيء من العلوّ النسبيّ في أمرٍ ما علـى أقرانه، ولكنّـه تعالى له كمال العلـوّ المطلق، قال

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

الأعلى

على وزن أفعل التّفضيل من علا يعلو (علا فلان على فلان، علا على الأمر، علا في الأرض.) وهي صفة متعدّية إلى خَلْقِه، وهي تدلّ على علوّ القهر الذي يدلّ باللزوم على علوّ الذات والشأن، فمهما علا أيّ شيء فالله أعلى منه، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]، فالله الأعلى قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلّهم، فنَواصيهم بيده، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. لا يمانعه ممانع، وليس لأمره من دافع، فلا أحد يقدر على أخذ شيء من مُلْكِه، أو تصريف شيء في مُلْكِه، أو تعطيل أمره وقضائه وحكمه في مُلْكه أو مقابلته أو الهرب منه، فهو الأعلى في مُلْكه، والكلّ في مُلْكه، فهو عظيم

المُلْـك، ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمٰن: ٣٣ ـ ٣٥]، ولا يرضى إلّا بنفاذ كلامه، فهو ذو الكبرياء، ولا يرضى إلّا على مَن يسمع كلامه فهو الكبيرسبحانه.

﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [الدُخـان: ١٩]؛ فالله هو الأعلى، ولن تَجنيَ مِن إرادتكَ العلوَّ على أمر الله إلّا أن يُهْلِكَك الله، وتخسَـرَ كلَّ شـيء، ويُمضيَ اللهُ أمـرَه، فأمره ليس توسّلًا من موسـى عليه السلام إلى فرعون أن يتركهم، بل تهديدٌ وإنذار له أن يُطيـع أمرَ العليّ الأعلـى، وقد جاءه الدليـل على صدْق كلامه، فـكان أن أهلكه الله هو وجندَه غرقًـا، ومضى أمرُ الله أن أخرج بني إسـرائيل، فسـبحان ربّيَ الأعلى، له تمـام التضرّع والخضوع والاسـتكانة، وإليه الالتجاء والفرار والاعتصام، وله القصد والتوجّـه بالدعاء والثناء وسـؤال الحاجة؛ فلا يسـتحقّ العبادةَ إلّا هو سـبحانه، والنصر والظهور والعلوّ مع أمرِه وشرْعه وحُكْمه.

الألوهيّة

فالإلَه: المعبود، والألوهيّة: الاسـتحقاق للعبـادة، والعبودية: الوقوع تحت قهر داخليّ (كفرط حُبّ شـيء أو فرط الخوف من

شيء)، أو خارجيّ (كقيد الرقّ والعبوديّة والأسر وأغلالها) يؤدّي إلى الانقياد والذلّ والخضوع لمن قهره، فالكلُّ تحت قهرٍ خارجيٍّ لله تعالى؛ وإن تغافل الناس عن ذلك فليس لأحد من الأمر شيء، ومَن أيقن في نفسه أنّ الله هو الأعلى وَحْدَه جعله إيمانُه هذا تحت قهرٍ داخليٍّ من محبّة الله وخوف منه وَحْدَه، فانقاد وخضع وذَلّ لله، فعبَدَه وَحْدَهُ، طوعًا، أي أطاعه وَحْدَهُ في كلّ أمره؛ فالأعلى قَهَر مَن دونَه فانقادوا وذَلّوا وخضعوا له، فعبدوه بأن أطاعوه رغبةً ورهبةً وحبًّا، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]؛ (جاء عديُّ بنُ حاتمٍ إلى النبيِّ وكان قد دان بالنصرانيَّةِ قبلَ الإسلامِ، فلمّا سمِعَ النبيَّ يقرأُ هذه الآيةَ قال: يا رسولَ اللهِ إنَّهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، **إنَّهم حرَّموا عليهم الحلالَ وأحلُّوا لهم الحرامَ فاتَّبعوهم، فذلِكَ عبادتُهم إيّاهم.** وفي روايةٍ أنَّ النبيَّ قال تفسيرًا لهذِهِ الآيةِ: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموهُ.) أخرجه الألباني في غاية المرام (٦) بإسناد حسن؛ فليست العبادة الركوع والسجود فقط، بل الطاعة والاتّباع، فالنصارى لم يركعوا ويسجدوا لأحبارهم، ولكن أطاعوهم واتّبعوهم فتلك عبادتهم لهم.

المُتَعال

اســم فاعل من تعالى، وورد الفعل في القرآن أربع عشــرة مرة، وورد الاســم مرة واحدة، وكلّ تلك الخمسة عشر موضعًا هي لتنزيه الله نفسَــه عمّا يُنســب إليه من نَقص ليُشرَك به ويُكفَر بــه، ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩]، جاءت بعد التكذيب بالبعث والحســاب المنافي لكمــال الحكمة من الخلــق، ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَـٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥]، ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإســراء: ٤٣]، فسبحانه هو العليّ الأعلى المتعال، فالله سبحانه تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيّته وربوبيّتــه، تعالى فــي أحديّته عن الشــريك والظهيــر والوليّ والنصيــر، وتعالى في عظَمته عن الشــفيع مــن دون إذن، وعن الخضوع لأيّ شيء، وتعالى في صمديّته عن الصاحبة والولد، أو أن يكون له كفوًا أحد، تعالى في كمال حياتــه وقيّوميّته وقدرته عن السِّــنةَ والنوم، وتعالى في كمال حكْمته عن العبَث والظلم، وعن ترك الخَلْق سدًى من دون غايةٍ لخَلْق الجنِّ والإنسان، ومن دون حســابهم علــى ما خلقهم لأجلــه، ومــن دون القضاء في ما بينهم، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان، وعن عدم معرفة ما كانَ، وما هو كائن، وما ســيكون، وما لم يكن، لو كان

كيف يكون، وتعالى في كمال غِناه، فهو يُطْعِم وَلا يُطْعَم ويَرزُق ولا يُرزَق، بل هو على كلّ شيء قدير، وكلّ شيء إليه فقير، وكلّ أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شـــيء، وليس كمِثْلِه شيء: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشـورى: ١١]، تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيـــل والتكييف والمشـــابهة والمماثلة، قـــال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وهـــو المتعال على كلّ من تعالـــى على أمره، وتعالى عن دعائه والتضرّع والاستكانة إليه، واستعلى على خَلْقِه أن أراد قهرَهم لهوَى نفســـه، كما أنه المتكبر على كلّ من تكبّر في نفسه واستكبر على كلامه وعلى خَلْقه؛ فسبحانَ ربِّيَ الأعلى.

للهِ المَثَلُ الأعلى

ولإيضاح الأمر أكثر، ولله المَثَـــلُ الأعلى: انظرْ إلى الموظف في العمل في مؤسســـة ما، ومَـــن هو أعلى منه درجـــةً في تلك المؤسسة فصار مديرًا للمؤسسة؛ فمَن كان فوقه وأعلى منه درجةً صار الموظّفُ أدنى منه مقهورًا لأمره ولا يستطيع فعل شيء من

دون إذنه؛ والأعلى تامّ التصرُّف فيه يَصْرِفُ له علاوة، أو يخصم منه، أو ينقله، بل والأعلى تامّ التصرّف في كلّ أمور المؤسسة، والأدنى لا يستطيع عمل شيء إلّا بإذنِ الأعلى منه؛ كعمل إذنٍ مثلًا لمُتابعة أمورهِ الخاصة، أو تسيير العمل على نحوٍ معيّن؛ وإذا أراد الأدنى أمرًا وأراد الأعلى خِلافَه فإرادةُ الأعلى هي النافذة؛ ومن ثَمَّ فالأدنى يبغي رِضى الأعلى ويتقرّب إليه بما يحبّ، سواء بالهدايا، أو بالجودة في أداء العمل، أو بالسعي لرفع مستوى المؤسسة، أو بطاعته فى كلّ أمر، أو بعمل كلّ ما قد يحبّه المدير، ولو لم يكن هو يحبّه؛ ويسعى إلى اتّباع أمر الأعلى لينال مستحقّاته المخصَّصة له، ولينال رضى الأعلى منه فيطلب منه أمورًا استثنائيّة، ويسْلَم مِن غضبه وإيقاع عقوبته، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى، له المثل الأعلى في السماوات والأرض.

هو الأعلى في كونه، هو الأعلى في أرضه، وسمائه؛ والكلّ تحتَه ودونَه، مقهورٌ لأمره، وليس لأحد أن يفعل شيئًا إلّا من بعد إذنه، وليس لأحد أن يطلب خيرًا أو يدفع شرًّا إلّا باتّباع تعاليمه، فلا رادّ، ولا مبطِل، ولا مماثِل، ولا شفيع، ولا مستثنًى، ولا معطِّل، ولا معارض لأمره وحُكمه وإرادته، فإذا أراد شيئًا قال له كن، فيكون، فسبحان ربِّيَ الأعلى، فلا يُسأل ولا يُدعى ولا يُرغب إلّا الله الأعلى، فإن أعطى فلا مانع لعطيّته، وإن منع فلا مُعطٍ سواه، ولا شفيع عنده إلّا من بعد إذنه، فهو الأعلى سبحانه،

فسبحان ربِّيَ الأعلى؛ ولا يُلجأ ولا يُستغاث ولا يُرهَب إلّا الله الأعلى، فإن أجار وعصم ونصر فلا سبيل لأحد إليك، وإن أرادكَ بسوء فلا رادّ لأمره، فهو الأعلى سبحانه، فسبحان ربِّيَ الأعلى.

ولا يُرغب فلاح ولا صلاح ولا فوز، ولا يُدفَع ولا يسلم ولا يُعصم من شرّ أو سوء أو ضرّ، ولا تُنال الدرجات العُلا، إلّا باتّباع تعاليمه وأمْرِه ونَهْيِه التي يجازي الخلق عليها؛ ولا رادّ لفضله، ولا دافع لعذابه، ولا شفيع عنده إلّا من بعد إذنه، فهو الأعلى سبحانه، فسبحان ربِّيَ الأعلى؛ له التضرُّع والاستكانة والخضوع والاستسلام، وله القصد والتوجُّه بالدعاء والثناء وسؤال الحاجة، ومن ثَمّ فلا إلَهَ سواه، فهو الأعلى سبحانه لا إلَهَ إلّا هو: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

الألوهيّة والعبادة

الإلَهَ: المعبود، والألوهيّة: الاستحقاق للعبادة، والعبوديّة: الوقوع تحت قهر داخليّ (كفرط حبّ شيء أو فرطِ الخوف من شيء)، أو خارجيّ (كقيد الرقّ والعبوديّة والأسْر وأغلالها) يؤدّي إلى الانقياد والذلّ والخضوع لمن قهره، فالكلّ تحت قهرٍ خارجيّ لله تعالى؛ وإن تغافل الناس عن ذلك فليس لأحدٍ من الأمر شيء، ومَن أيقن في نفسه أنّ الله هو الأعلى وَحْدَهُ جعله

إيمانُه هذا تحت قهرٍ داخليّ من محبة لله وخوف منه ورجاء في الله وَحْدَهُ، فانقاد وخضع وذلّ لله وَحْدَهُ، فعبَده وَحْدَهُ أن أطاعه وَحْدَهُ عن رغبة ورهبة وحب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٠]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا **وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا** ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، فالأعلى قَهَر مَن دونه فانقادوا له وذلّوا له وخضعوا له فعبدوه بأن أطاعوه، فسبحان ربِّيَ الأعلى، لذلك «فسبحان ربِّيَ الأعلى» تكون في السجود، فتلك الهيئة هي تمام الذلّ والخضوع لله الأعلى، فإنّ وصفَ الربّ بالأعلى جمع الربوبيّة والألوهيّة معًا مِن خَلْقٍ وإيجادٍ ومُلْكٍ وتدبيرٍ وقهرٍ لِمن دونَه فأطاعوه، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لأنه لا أحد أعلى من الله العليّ الأعلى سبحانه، فمهما علا منصب أحد فلا يزداد له بذلك من صفات الربوبيّة أو من صفات الألوهيّة شيء يجعله ينتزع من المَلك سبحانه مُلكَ شيء من السماوات أو من الأرض، أو يجعله قادرًا على خلق شيء فيهما، أو يجعل له سلطانًا على خزائن السماوات والأرض يتصرّف فيهما كيف يشاء فيُطاع من دون الله؛ بل إنه ما يزداد مسؤوليّة إلّا

هو مسؤول عنها ليحاسَــب عليها فيزداد حسابه، ويزداد عقابه إن خان أمانته، والله الأعلى قاهرٌ فوقَه.

فالأعلى هو مَن يُقصد بالدعاء (مسألةً وثناءً وعبادة)، فالأمر كلُّه منه وإليه، وهو مَن يُقصد بالعمــل تقرّبًا، وهو مَن يوحَّد في الدعاء والقُربى والاستعانة، فلا ندّ له، ولا أعلى منه.

القربى تكون للأعلى

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليــل: ١٩ ـ ٢١]، فليس يعمل العمل لأنّ أحدًا من الخَلْق له يد عليه يريد أن يجازيَه بها، أو يبغي منه جزاءً على عمله؛ بل يعمل ليقدّم العملَ لله وَحْــدَه ابتغــاءَ رضوانه، فهو تعالى المســتحقّ للقُربى، فمنه وَحْدَهُ الفضلُ والجــزاء، والأمر كلُّه منه وإليه، فهو الإلَهَ الأعلى، فيُبْغى رضوانه وقربــه ومغفرته وَحْدَه، وكيف بك إذا أمر الأعلى لك بعطيّة إذ تقرَّبْتَ إليه؟ فعطيَّتُه تعالى أعلى من أيّ عطيَة ممّن سواه، ولسوف ترضى بها.

إذا انتشــر الفســاد، وغلب على ظنّك أنه مهمــا فعلت لن تُحدث إصلاحًا، وقَرُبَ قيام الســاعة حيــث يغضب الله الأعلى، فلا تترك عمل الخير؛ فإنّ ما تعمله لله ابتغاء وجهه، لا لشــخص ما، ولا لكونك لك مقدرة على إحداث تغيير في ملك الله، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنســان: ٩]، (إن قامتِ

الســاعةُ وفي يدِ أحدِكم فســيلةٌ، فإن اســتطاعَ أن لا تقومَ حتى يغرِسَها فليغرِسْها.) أخرجه أحمد (١٢٩٠٢)، وإسناده صحيح.

فســبحان ربِّيَ الأعلى؛ الكلّ مقهور لأمره، وأمرُه نافذ، ولا أحد يستطيع فعل شيء إلّا من بعد إذنه؛ فأمر الله بالنفع أو بالضرّ هو الأمر النافذ، لا هَوَى مَن سواه سبحانه، وأمرُه كامل لا نُقصان فيه، فهو ســبحانه الأعلى علمًا، الأعلى حكمــة، الأعلى خبرة، الأعلى قدرة، الأعلى مكانة، فســبحان رَبِّيَ الأعلى، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٤].

الأعلى ـ سبحانه ـ أمره نافذ، سواء كان بالنفع أو بالضرّ لك أو لغيرك، سواء كان بالنصر أو بالهزيمة لك أو لغيرك، سواء كان بالرفعة لــك أو لغيرك؛ فكن مع أمــر الله، فهو مُظهِــرُه ومُوقِعُه ومنفِّذُه، واعلمْ أنه ليس لك (أو لأحد من الخلق) أن تفعل شيئًا إلّا من بعد إذن الله الأعلى؛ فما أراده فلا رادّ لأمره، وليس لأحد عليك من ســلطان إلّا أن يأذن لــه الله الأعلى فيســلّطه عليك، فســبحان ربِّيَ الأعلى، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونُــس: ١٠٧]، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ

عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

لا أحد يملك أن يعطيك أو أن يمنعك أو أن يضرّك أو أن ينفعك، فالله أعلى منه في مُلْكِه، وهو تامّ السيطرة في مُلْكِه، وتامّ القهر لمن دونَه في مُلْكِه، ومقاليد السماوات والأرض بيده وحده، وليس لأحد أن يفعل شيئًا مخالفًا أو معارضًا أو مبطلًا لإرادة الله الأعلى وفعلِه وأمرِه، فيكون فعلُه ندًّا أو رادًّا أو مبطلًا لفعل الله، فما قدَّره الله أزلًا فهو حق وعدل وخير، فعِلْمُه وحكمته وخبرته أعلى مما تتصوّره العقول، وما يقضي به أجلًا فهو كائن لا محالة، فهو الأعلى سبحانه، فإذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن، فيكون. فمِن الإيمان بالله الأعلى الإيمان بالقضاء الذي قضى به، وبالقدر الذي قدّره، فسبحان رَبِّيَ الأعلى: (كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا، قال: يا غلامُ، إني أعلِّمُكَ كلمات: احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، **واعلمْ أنَّ الأُمّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ، لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لكَ، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرّوكَ بشيءٍ لم يضُرّوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبه**

اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقــلامُ وجَفَّتِ الصُّحُــفَ.) أخرجه التِّرمِذي (٢٥١٦)، وإسناده صحيح.

مَن تقرّب إلى الله الأعلى أمدّه بمــدد من عنده، فلا يعلو عليه شــيء فيَظْهَر، أو ينتصر عليه، فســبحان ربِّيَ الأعلى: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي** بِشَــيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْــهِ؛ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَــرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَــدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَــا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِــي بِهَا، وَإِنْ سَــأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْــتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،** وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَــيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

كلُّ مَن تعالى بعلمه وجاهه وماله وســلطانه وحزبه فظنّ أنه بهم منتصر، فالله أعلى منه، ولا ينفع ذا الجَدّ منه الجَدّ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا تعْلُ على الله فتظنّ أنك منتصرٌ على أمر الله وإرادته وســيطرته، فســبحانه هو الأعلى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمــر: ٤٤، ٤٥]، ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عِمــران: ١٦٠]، ﴿ **أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ** ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [المُلْك: ٢٠]، فسبِّح باسم ربِّكَ الأعلى.

أيقِــنْ أنّ الأعلى أمْرُه نافذ قهــرًا، فلا رادّ لفضلــه، ولا رادّ لعذابــه، فهــو الأعلــى ســبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونُس: ١٠٧]، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، فسبِّحْ باسم ربِّكَ الأعلى.

أيقِنْ أنه هو القاهر فوق عبــاده: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

أيقِنْ أن لا شــيء يكون إلّا مِــن بعدِ إذنه ومشــيئته: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

أيقِنْ أنّ ما شــاء الله كان وما لم يشأ لم يكن: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يَس: ٨٢]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسُف: ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]؛ (اللّهُمَّ أنتَ ربّي لا إلَهَ إلّا أنتَ، عليكَ توكَّلْتُ، وأنتَ ربُّ العرشِ العظيمِ، ما شــاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ. **أعلمُ أنَّ**

اللهَ على كلِّ شـــيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاط بكلِّ شـــيءٍ علمًا، وأحصَى كلَّ شـــيءٍ عددًا، اللّهُمَّ إني أعوذُ بكَ من شـــرِّ نفسي، ومِن شرِّ الشيطانِ وشَرَكِه، ومن شرِّ كُلِّ دابةٍ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِها، إنَّ ربّـــي على صِـــراطٍ مســـتقيمٍ.) أخرجـــه التِّرمِـــذي (٣٣٩٢) والفيروزآبادي في سِفرالســـعادة (٣١٠)، بإســـناد صحيح، فسبِّحْ باسم ربِّك الأعلى.

اعلمْ أنّ ما قدّره الله لكَ أزلًا لعِلْمِه المســـبَق بحالِك، وعدْلِه وحِكْمَتِه، وما قضى به لـــكَ أجلًا هو آتيكَ، ولا قدرةَ لأحدٍ على تغيير ذلك، فهو الأعلى ســـبحانه: (يا غلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا ســـألتَ فاســـألِ اللهَ، وإذا استَعَنْتَ فاســـتَعِنْ باللهِ، **واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشـــيءٍ، لم ينفعوك إلّا بشـــيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لكَ، ولو اجتمعوا على أن يَضُرّوكَ بشـــيءٍ، لم يضرّوكَ بشيءٍ إلّا قد كتَبَهُ اللهُ عليكَ؛ جَفَّتِ الأقـــلامُ ورُفِعَتِ الصُّحُفُ.**) أخرجه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، بإسناد صحيح.

اعلمْ أنَّ الأعلى إنْ حكَـــمَ لك أو عليك بشـــيء فلا معطِّلَ لحكمه، فهو الأعلى سبحانه: ﴿ **قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً** وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحـــزاب: ١٧]، ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى

قُلُوبِهِمۚ قُل فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١].

أيقِنْ أنه لا أحد يملك لك شيئًا من نفع أو ضُرٍّ لك أو لغيرك، لأنّ اللهَ قاهر فوقه، ولا يكون شيء إلّا مِن بعدِ إذنه هو وحده، وهو لا يقبل وَساطة أحد، ولا شفاعة أحد في ما لا يحبّ وفي ما لم يأذن به، وفي ما قضى به: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

هو الأعلى سبحانه، فهو وحده المستحقّ أن تسألَه مسألتَك، وهو وحده المستحقّ أن تتقرّب إليه بكافّة القُربات، فلا تفعل شيئًا إلّا ابتغاءَ وجهِه؛ وهو وحده المستحقّ أن تخشاه، فهو وحده إذًا المستحقّ للعبادة؛ فالله هو الأعلى، فهو وحده المستحقّ للألوهيّة، فلا إلَهَ إلّا الله؛ حقًّا هو الربّ الأعلى، فكن دومًا مع أمره تَفُزْ؛ لأنّ أمره نافذٌ قهرًا؛ ولا تخالِفْ أمرَه فتفشل ويصيبك عذابُه قهرًا، ويظهرُ أمرُه كذلك، بكَ أو بغيركَ قهرًا، فسبِّح باسم ربِّك الأعلى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۞ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢١]، ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٨].

اعلم أنه لا تُؤخذ الدنيا غِلابًا، فالله غالب على أمره، فهو الأعلى، بل تؤخذ توكّلًا على الله بأن تتبع أسبابه لا أسباب غيره، **إيمانًا به أنه الأعلى** ليقضي لك بما تريد كما كان من أمر ذي القرنين ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥]، وبأن تبغي وتعمل **إصلاحًا**؛ أي عملًا للصالحات التي تُصلح بها نفسَك ومَن حولك، والتي هي عمل بأمره تعالى لتنال وعده، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فكنْ أهلًا لفضل الله بالإيمان والعمل الصالح تغلبْ الدنيا ومَن فيها، وتفُزْ بالآخرة، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى.

الله الأعلى، فقد أحاط بكلّ شيء، وسيطر على كلّ شيء، وقدْرَتُه مهيمِنَةٌ على كلّ شيء؛ وقهَرَ كلَّ شيء، فهو غالِبٌ فوق كلِّ شيء، فليس لأحد قدرة على شيء من أمر الله، بل الأمرُ كلُّه لله، وكلُّ نفس وكلّ دابّة وكلّ جماد مقهور لأمر الله الأعلى؛ هو وَحْدَهُ مَن يصرِّف الأمور كلَّها دِقَّها وجُلَّها، حتى إنّ مدَدْتَ يدَكَ إلى أيّ أمر لتفعلَه فلا قدرةَ لك عليه إلّا أن يشاء الله، فيأذَنُ به، ويعطي للأمر قوّته ليكون، أو يرسل عليه مِن عِندِه مَن يُقيمه، أو يُصرّفه كيفما يشاء، ليكون بالكيفيّة التي يريد الله، إمّا جزاءً (خيرًا

أو شرًّا) أو ابتلاءً لك. (عن ابنِ عباسٍ: «**حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل.**» **قالها إبراهيمُ** عليه السلام **حينَ أُلْقِيَ في النارِ**، وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري في صحيحه (٤٥٦٣)، فماذا بعد أن أُلْقِيَ إبراهيم في النار؟ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، (قاتَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مُحارِبَ خصَفةَ بنخلٍ، فرأَوْا مِن المسلمينِ غِرَّةً، فجاء رجلٌ منهم يُقالُ له عوفُ بنُ الحارثِ، أو غَورثُ بنُ الحارثِ، حتَّى قام على رأسِ رسولِ اللهِ ﷺ بالسَّيفِ، فقال: **مَن يمنَعُك منِّي؟ قال: (اللهُ).** **قال: فسقَط السَّيفُ مِن يدِه**، فأخَذ رسولُ اللهِ ﷺ السَّيفَ، فقال له: (مَن يمنَعُكَ منِّي؟) قال: كُنْ خيرًا منِّي. قال: (تشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ؟) قال: لا، ولكنْ أُعاهِدُك على ألّا أُقاتِلَكَ، ولا أكونَ مع قومٍ يُقاتِلونَك، قال: فخلَّى سبيلَه. فجاء إلى أصحابِه فقال: جِئْتُكم مِن

عندِ خيرِ النّاسِ، فلمّا كان عندَ الظُّهرِ أو العصرِ ـ شكَّ أبو عَوانةَ ـ أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بصلاةِ الخوفِ، قال: فكان النَّــاسُ طائفتينِ: طائفةً بإزاءِ العدوِّ، وطائفةً يُصلُّونَ مع رســولِ اللهِ ﷺ، فصلَّى بالطَّائفةِ الَّذينَ معــه ركعتينِ، ثمَّ انصرَفــوا، فكانوا مــكانَ أولئكَ. وجاء أولئكَ فصلّوا مع النَّبيِّ ﷺ ركعتينِ، فكان لرســولِ اللهِ ﷺ أربعُ ركعاتٍ وللقــومِ ركعتــانِ.) أخرجه أحمــد (١٤٩٢٩)، وإســناده صحيح، (كان ملِكٌ في مَن كان قبلَكم، وكان له ساحرٌ، فلمّا كبِرَ قال للمَلِــك: إِنِّي قدْ كبِــرْتُ، فابعثْ إليَّ غلامًا أعلِّمْهُ الســحرَ، فبعثَ إليه غلامًا يعلِّمُهُ، فكان في طريقِهِ إذا ســلَكَ راهبٌ، فقعَدَ إليه، وســمِعَ كلامَهُ، فأعجبَهُ، فكان إذا أتى الساحرَ مَرَّ بالراهبِ وقعدَ إليه، فإذا أتى الساحرَ ضربَهُ، فشكَا ذلِكَ إلى الراهِبِ، فقال: إذا جئْتَ الســاحِرَ فقلْ: حبَسَــنِي أهلِي، وإذا جئْــتَ أهلَكَ فقل: حبَســنِي الســاحِرُ، فبينَما هو كذلِكَ، إذْ أتى على دابَّةٍ عظيمَةٍ قدْ حبســتِ الناسَ، فقال: اليومَ أعلمُ؛ الســاحرُ أفضلُ أمِ الراهبُ؟ فأخذ حجَرًا، فقال: **اللّهُمّ إنْ كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليكَ مِن أمرِ الســاحرِ فاقتلْ هذه الدابَّةَ** حتــى يَمضِيَ النــاسُ، فرماها فقتَلَها. ومضَى الناسُ، فأتَى الراهِبَ، فأخبرَهُ، فقال لَهُ الراهِبُ: أيْ بُنَيَّ، أنتَ اليومَ أفضلُ منِّي، قدْ بلغَ مِن أمرِكَ ما أرى، وإنَّكَ ســتُبْتَلَى، فلا تَــدُلَّ علَيَّ. **وكان الغــلامُ يُبرِئُ الأكْمَهَ والأبــرَصَ، ويُداوي الناسَ من سائرِ الأدواءِ**، فسمِعَ جلِيسٌ للملِكِ كان قَدْ عَمِيَ، فأتاه

بهدايا كثيـــرَةٍ، فقال: ما ها هنا أجمَعُ لكَ إنْ أنتَ شَـــفَيْتَنِي، قال: **إنِّي لا أشْفِي أحدًا، إنَّما يشفِي اللهُ ﷻ، فإنْ آمنتَ بالله دعوتُ اللهَ فشفاكَ، فآمَنَ باللهِ، فشفاهُ الله**، فأتَى المَلِكَ، فجلسَ إليه كما كان يجلِسُ، فقال له المِلِكُ: مَنْ ردَّ عليكَ بصـــرَكَ؟ قال: ربّي، قال: ولكَ ربٌّ غيري؟ قـــال: ربّي وربُّكَ اللهُ، فأخـــذَهُ، فلَمْ يزَلْ يعذِّبُهُ حتى دَلَّ علَى الغلامِ، فجيءَ بالغلامِ، فقال له المَلِكُ: أيْ بُنَيَّ قدْ بلَغَ مِنْ سحرِكَ ما يُبرِئُ الأكْمَهَ والأبرَصَ، وتفعلُ وتفعلُ! فقال: **إنِّي لا أشفِي أحدًا، إنَّما يشـــفِي اللهُ ﷻ**، فأخذَه، فلم يزلْ يعذِّبُهُ حتى دلَّ علـــى الراهِبِ، فجـــيءَ بالراهبِ، فقيل لـــه: ارجِعْ عن دينِكَ، فأبَى، فدعا بالمنشارِ، فوَضع المنشـــارَ على مَفْرِقِ رأسِهِ، فشقَّهُ بِهِ حتى وقع شِقّاهُ، ثُمَّ جيءَ بجليسِ المَلِكِ، فقيل له: ارجِعْ عن دينِكَ، فأبَى، فوضَعَ المنشارَ في مَفْرِقِ رأسِهِ، فشَقَّهُ حتى وقَعَ شِـــقّاه، ثُمَّ جيءَ بالغلامِ، فقيل له: ارجِعْ عن دينِكَ، فأبَى، فدفعَهُ إلى نفَـــرٍ منْ أصحابِـــهِ، فقال: **اذهبُـــوا بِهِ إلى جبـــلِ كذا وكذا، فاصعَدُوا به الجبلَ، فإذا بلغتُم بِهِ ذِرْوَتَهُ فإنْ رَجَعَ عن دينِهِ، وإلّا فاطرحوه، فذهبوا بِهِ، فصعِدُوا بِهِ، الجبَلَ، فقـــال: اللّهُمَّ اكفِنيهِم بما شِئْتَ، فرجفَ بهمُ الجبلُ، فسقطوا، وجاء يَمشي إلى المَلِكِ**، فقال له المَلِكُ: ما فَعَل أصحابُكَ؟ فقال: **كفانِيهمُ اللهُ**، فدفَعَهُ إلى نفَرٍ من أصحابِهِ، فقال: **اذهبوا به فاحمِلُوهُ في قُرقُورٍ، فتوسَّطوا به البحرَ، فإن رجعَ عن دينِـــهِ، وإلّا فاقذفوه، فذهبُوا به، فقال: اللّهُمَّ**

اكفِنيهِم بما شِـئْتَ، فانكفأتْ بِهِمُ السفينةُ، فغَرِقوا، وجاء يمشي إلى المَلِـكِ، فقال له المَلكُ: ما فَعَل أصحابُـكَ؟ فقال: **كفانيهمُ اللهُ**؛ فقال للمَلِكِ: **إنَّكَ لستَ بقاتِلِي حتَّى تفْعَلَ ما آمُرُكَ بِهِ!** قال: وما هو؟ قال: تجمعُ النـاسَ في صعيدٍ واحـدٍ، وتصلُبُنِي علَى جِذْعٍ، ثُمَّ **خُذْ سـهمًا مِن كِنانتي، ثُمَّ ضَعِ السهمَ في كَبِدِ القوْسِ، ثُمَّ قل: بسمِ اللهِ ربِّ الغلامِ، ثُمَّ ارمِ**، فإنَّكَ إذا فعلْتَ ذلِكَ قتلتَني، فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصلبَهُ على جِذْعٍ، ثُمَّ أخذ سهْمًا من كِنانتِهِ، ثُمَّ وضع السهمَ في كَبِدِ القوسِ، ثُمَّ قال: بسمِ اللهِ ربِّ الغلامِ، ثُمَّ رماه، فوقع السـهمُ في صُدْغِهِ، فوضع يدَهُ في صُدْغِهِ مَوْضِعَ السـهمِ، فمات، فقال الناسُ: آمنّا بربِّ الغلامِ، آمنّا بربِّ الغلامِ، آمنّا بربِّ الغلامِ، فأُتِـيَ المَلِكُ، فقيل له: **أرأيتَ ما كنتَ تحذَرُ؟ قدْ واللهِ نزَلَ بكَ حذَرُكَ**، قـدْ آمنَ الناسُ! فأمَر بالأُخدودِ بأفواهِ السِّكَكِ، فخُدَّتْ، وأَضْرَمَ النيرانَ، وقال: مَن لم يرجِعْ عن دينِهِ فأقحِموه فيها، ففعلُوا، حتى جـاءَتْ امرأَةٌ ومعها صبيٌّ لها، فتَقَاعَسَـتْ أنْ تقعَ فيها، فقال لها الغلامُ: يا أُمَّـهْ، اصبِرِي فإنَّكِ علَى الحقِّ.) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

قد أذِنَ اللهُ للمجرمين أن يُفسـدوا في الأرضِ لِيوقِعَ عليهم حُكْمَه فـي الدنيا والآخـرة، ولِيَبْتَلِي المؤمنين بهـم ليعامِلوهم بشرْعِ اللهِ إكبارًا وإعظامًا له تعالى فوق كلّ ما يجدون، وليتوجّهوا إلـى الله الأعلى وَحْـدَهُ فيطيعوه وَحْدَهُ، ويسـتعينوا بـه وَحْدَهُ،

ويلجأوا إليه وَحْدَهُ، لا إلى غيره، فيُنزل عذابَه عليهم بأيدي المؤمنين رِفعةً وجَبرًا ونصرًا لهم عليهم، فسبِّحْ بسم ربِّك الأعلى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

فالأعلى هو من يُمْضي حكمَه في الأمور كلِّها، صغيرِها وكبيرِها، ولا دخْلَ لأحدٍ في ذلك، فلا قدرةَ لأحدٍ على إحداث أيّ أمر في مُلْكِ الأعلى رغمًا عنه، أو من دون علْمِه، أو من دون عَوْنِه، فهو تامّ العلوّ والقهر والسيطرة، فلا يخرجُ فعلُ أيِّ أحد عن سيطرته، بل هو مَن يسيطر ويَمضي فِعْلُه على أفعال العباد ليُمضيَ حكمَه ويوقعَ أمْرَه، فلا أحد يُحدِثُ في مُلْكِه شيئًا رغمًا عن إرادة الله الأعلى، بل الأمرُ كلُّه لله، هو وَحْدَهُ القادر على إحداث ما يشاء في مُلْكِهِ، فسبحان ربِّيَ الأعلى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ ـ ٥].

فلا تَخَفْ أيَّ جمْعٍ وأيَّ عُدّةٍ وأيَّ عتاد، فاللهُ الأعلى في مُلْكِه فلا يَمضي شيء من عدد أو عُدّةٍ أو عَتادٍ فَيُحْدِثُ أيَّ أثرٍ، إلّا من بعدِ إذنه، فيعطيه قوَّتَه ليكونَ، ويرسلُ ملائكَتَه به، فلا أعلى منه، فلَه السيطرةُ والقهر والعلوّ، وإنما خلَقَكَ لتعبدَه وَحْدَهُ، فتطيعه في ما أمر عن ذلٍّ وحبّ وخوف في نفسِكَ، فتطيعُه في أكلكَ وشُرْبِكَ، في تجارتِكَ، في بَيْعِكَ، في شرائكَ، في عملكَ، في لَعِبِكَ وجِدِّكَ، في دَفْعِكَ وقِتالكَ، في كلّ حياتِكَ ومماتِكَ، أمّا الرزق فهو متكفّلٌ به: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وأمّا ما جَرَياتُ الأمور فهو المسيطر عليها، المتحكِّم فيها المسيِّر لها: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ

مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۖ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم: ٤]، وأمّا عاقبة كلِّ أمر فهي له وَحْدَهُ، ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]، فما عليك إلّا طاعته. والله هو مَن يقدِّر الأمورَ ويَقضي بها، ويسيّرها، لا أحد سواه، فهو الأعلى سبحانه، فأنت مخيَّر في عبادة ربِّكَ الأعلى، ولست مفوَّضًا في التحكُّم في ماجريات الأمور على أرضه، وإن دقَّت، فللّه الأمر جميعًا، هو القاهر فوق كلّ شيء، المسيّر لكلّ أمر، المسيطر على كلّ شيء، فهو الأعلى سبحانه، فكن في كلّ أمرك عابدًا الله، مستعينًا به على عبادته، راضيًا بقضائه فيك، وفي الأمور كلِّها، تَعِزَّ وتَعْلُ وتفزْ، وتُفلحْ، وتكسِبْ، وتغلِبْ، وتَنْجُ؛ وكلّ مَن عبَدَ اللهَ فدعاك إلى عبادتِه فأطِعْ أمرَه، ووالِهْ، وتعاوَنْ معه على البِرّ والتقوى، وابذِل له الحُسنى، ولِنْ له: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

ﵟٱلۡعِقَابِﵞ [المائدة: ٢]؛ وكلّ مَن انقلب علــى عَقِبه فاغترَّ وغفلَ وظلَمَ وجَهِلَ، فاعلمْ أنه لن يُسيّر شــيئًا في مُلْكِ الله، ولن يَقْضِيَ بشيء لم يقضِ به الله، ولن يعطِّل شيئًا أمر به الله، فالله هو الأعلى؛ فاعبدِ اللهَ وأطِع اللهَ فيه بالحسنى، ســواء عامَلْتَه باللين كَحالِ موسى مع فرعون: ﵟٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰﵞ [طـه: ٤٣، ٤٤]، أو بالغِلظِــة كمعاملة المحاربيــن من الكفّار والمنافقين: ﵟيَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُﵞ [التوبــة: ٧٣]، وابذُل الجهدَ في ذلك لتطيــع الله في معاملتك إيّاه على أحســن وجه يحبّه الله الأعلى، جهادًا في ســبيل الله، علَّ اللهَ أن يُجري خيــرَ أمْرِه على يديك، فاللهُ هو الأعلى وَحْدَهُ، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى.

فالله الأعلى هو وَحْدَهُ المستحقّ للعبادة، والمستحقّ أن تسألَه مسألتَك، والمســتحقّ أن تتضرَّعَ له، والمســتحقّ أن تتقرّب إليه بكلّ القرُبات، والمســتحقّ أن تلزمَ وَعْدَه، فسبحان ربِّيَ الأعلى: ﵟوَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَﵞ [غافــر: ٦٠]، ﵟوَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَﵞ [الأنعــام: ٤٢]، ﵟوَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَﵞ [الروم: ٦].

لا تمُــنَّ على الله بعملــكَ وبعبادتــكَ، فهو العلــيّ العظيم

سبحانه، لا تنفعُه عبادتُك ولا تضرُّه معصِيَتُك، ولا يزيدُه عمَلُكَ مُلْكًا ولا غِنًى ولا عزّة، فسبحان ربِّي الأعلى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحُجرات: ١٧]، ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٧]، (عن النبيِّ ﷺ، في ما رُوِي عن اللهِ تباركَ وتعالى أنَّهُ قال: «يا عبادي! إنّي حرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسي وجَعَلْتُه بينكم مُحرَّمًا، فلا تظَّالموا. يا عبادي! كلُّكُمْ ضالٌّ إلّا مَن هَدَيْتُه، فاستهدوني أَهْدِكم. يا عبادي! كلُّكُم جائعٌ إلّا مَن أطعَمْتُه، فاستطعِموني أُطعِمْكم. يا عبادي! كلُّكم عارٍ إلّا مَن كَسَوْتُه، فاستكسوني أَكْسُكُم. يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفروني أغفرْ لكم. يا عبادي! **إنكم لن تبلُغوا ضُرِّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني. يا عبادي! لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ، كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلْكي شيئًا. يا عبادي! لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ، ما نقَصَ ذلك مِن مُلْكي شيئًا.** يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطَيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نقصَ ذلك ممّا عندي إلّا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ. يا عبادي! إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثُمّ أوفِّيكم إيّاها، فمَنْ وَجَدَ خيرًا فليحمَدِ

اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلومَنَّ إلّا نفسَـه.» وفي روايةٍ: «إني حرَّمتُ على نفسـي الظلمَ وعلى عبادي فـلا تظَّالموا.») أخرجه مسلم (٥٥).

أَعلِ قَدْرَ ربِّكَ العليِّ تأليهًا له، فـالله أعلى وأجلّ، ولا تمثِّلْ أو تكيّفْ ذاتَه أو صفاته، فهو أعلى ممّا قد يجولُ في عقلك، ولا تُعْلِ أحدًا أنّ له الكمالَ أو المنعة أو القدرة، فاللهُ وَحْدَهُ هو العليّ العظيم، فسبحان ربِّيَ الأعلى.

(جعـل النبيُّ ﷺ على الرَّجّالـةِ يومَ أُحُدٍ ـ وكانوا خمسـين رجلًا ـ عبدَ الله بنَ جُبَيْر، فقال: (إن رأيتُمونـا تَخَطَّفَنا الطيرُ فلا تبرحوا مكانَكمْ هذا حتّى أُرسلَ إليكم؛ وإن رأيتمونا هزَمْنا القومَ وأوْطأناهم، فلا تبرحوا حتى أُرسـلَ إليكم.) فهزموهم، قال: فأنا واللهِ رأيتُ النساء يشتَدِدْنَ، قد بدتْ خلاخِلُهُنَّ وأسوُقُهُنَّ، رافعاتٍ ثيابَهـنّ. فقال أصحـاب عبد الله بن جُبَيْـر: الغَنيمـة، أيْ قوْمِ، الغنيمة، ظهـر أصحابُكم فما تنتظرون؟ فقـال عبد الله بن جُبَيْر: أنَسـيتُم ما قال لكم رسـولُ الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتيـنَّ الناسَ فلَنُصيبَـنَّ مِن الغنيمـة، فلمّا أتوْهـم صُرِفَتْ وُجوهُهـم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسـولُ في أُخراهـم، فلم يبقَ مع النبيّ ﷺ غيـرُ اثني عشـر رَجُلًا، فأصابـوا منّا سـبعين. وكان النبيّ ﷺ وأصحابُه أصابَ مِنَ المشـركين يومَ بدر أربعينَ ومئة، سبعين أسيرًا وسـبعين قتيلًا. فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟

ثلاثَ مرّات، فنهاهم النبيّ ﷺ أن يجيبوه، ثُمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاثَ مرّات، ثُمّ قال: أفي القوم ابنُ الخطّاب؟ ثلاثَ مرّات، ثُمّ رَجَع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا، فما مَلَك عمر نفسَه، فقال: كذبْتَ والله يا عدوَّ الله، إنّ الذين عَدَدْتَ أحياءٌ كلُّهم، وقد بِقِيَ لك ما يسوؤُك. قال: يومٌ بيومِ بدر، والحربُ سِجال، إنكم ستجدون في القوم مُثْلَةً، لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْني، ثُمَّ أخذ يرتجز: اُعْلُ هُبَل. اُعْلُ هُبَل، قال النبيّ ﷺ: (ألا تجيبونه؟) قالوا: يا رسولَ الله، ما نقول؟ قال: (قولوا: **اللهُ أعلى وأَجَلّ**). قال: إنّ لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال النبيّ ﷺ: (ألا تجيبونه؟) قالوا: يا رسولَ الله، ما نقول؟ قال: (قولوا: اللهُ مَوْلانا ولا مَوْلى لكم.)) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

اعلم أنّ الله الكبير الأعلى لن يعذب:

مَن شكر وآمن.

مَن يستغفر.

مَن عبَدَه ولم يشرِكْ به.

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

عن أنس أنّ مُعاذَ بن جبل حدَّثه قال: (بينما أنا رديفُ

رسولِ الله ﷺ ليس بيني وبينَه إلّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فقال: يا مُعاذُ! قلتُ: لَبَّيْكَ رسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ. قال: ثُمَّ سارَ ساعةً، ثُم قال: يا مُعاذَ بْنَ جَبَل! قلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قال: ثُمَّ سارَ ساعةً، ثُمّ قال: يا مُعاذَ بْنَ جَبَل، قلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قال: هل تدري ما حقُّ اللهِ على العباد؟ قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلَم، قال: فإنَّ **حقَّ اللهِ على العبادِ أن يعبُدوه ولا يشركوا به شيئًا**، قال: ثُمَّ سارَ ساعةً، ثُمّ قال: يا مُعاذَ بْنَ جَبَل! قلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قال: فهل تدري ما حقُّ العبادِ على اللهِ إذا فعلوا ذلك؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: **فإنّ حقَّ العبادِ على اللهِ أن لا يعذِّبَهُم**.) أخرجه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

فليكنْ حالُكَ مِنَ الأعلى سبحانَه بينَ الإيمانِ بِه فتتوجَّه إليه في كلّ أمرِك، فتدعوهُ تعبُّدًا له، وبين التقرُّب إليه بأنواع القُرُباتِ مِنْ أقوالٍ وأعمالٍ، وبين التضرُّع إليه طلبًا لمغفرتِه والنجاةِ مِن عذابه.

واعلمْ أنّ الأعلى لن يُدخِلَ جنَّتَه مَن يريد أن يتعالى في الأرض، فيتعالى على خَلْقِه تعالى، بل وعلى أمرِه تعالى، فيظنّ أنه بعلوِّه يستطيع أن يُسيّرَ أمرَ الدنيا كما يَهوى هو، لا كما يقضي الله، وأن يجمع منها ما يريد لا ما قُدِّرَ له، وأنه لا يُمَسّ فيها بسوء (وإن كان كُتِبَ عليه) مهما عمِل، فيظلمُ الناس، بل ويظلمُ الخَلْقَ جميعًا حقوقَهم، ويسلُبُهم مالَهم، ويعتدي عليهم فاجرًا بهم، كأنه

لا أعلى منه، مسيطِر على الأمر كلِّه، قاهرٌ لِمَن دونه، مدبِّرٌ للأمر، ﷻ، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣].

فإرادة العلوّ والفساد فى الأرض مَبْعَدةٌ عن الله، مانعةٌ من دخول جنّته، كما أنّ الله تعالى لا يُصلِحُ عملَ المفسدين، فيثمرُ خيرًا لهم، مهما كان سعْيُهم وجمْعُهم ومَكْرُهم، فهو الأعلى سبحانه، ولا يُدْرَكُ فضلُه بمعصِيَته. وشرَعَ ألّا تُعطى الإمارةُ لِمَن طلَبَها إرادةً للعلوّ، وإن لم يرِدْ بها فسادًا، بل تُعطى لمن تُفرَض عليه: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونُس: ٨١]، (قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: يا عبدَ الرحمٰنِ بنَ سَمُرَةَ، **لا تسألِ الإمارةَ، فإنْ أُعطِيتَها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإنْ أُعطِيتَها عن غيرِ مسألةٍ أُعِنْتَ عليها**، وإذا حَلَفْتَ على يمينٍ، فرأيْتَ غيرَها خيرًا منها، فأْتِ الذي هو خيرٌ، وكَفِّرْ عن يمينِكَ.) أخرجه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٣).

عندما تبرمج نفسَك على أنّ اللهَ هو الأعلى سبحانه، تأتي كلَّ أمرِكَ (الذي تطيع فيه ربَّكَ وتعبُدُهُ بهِ وتُقَدِّمُه إليه) وتفعلُه وتُقْدِم عليه كأنكَ أنتَ الأعلى ممّا أنتَ مُقدِمٌ عليه: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]، فلا تُهزَم، ولا تفشَل، ولا يعلو عليك شيء، (وأنت كذلك) ما دمتَ على الإيمان بربِّك الأعلى،

عابدًا له، متمسّـكًا بأمره مهما واجَهْتَ، ناهجًا شَرْعَه، ثابتًا على ذلـك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفـال: ٤٥]، بـاذلًا الجهدَ والمال حتى يَتشـرّبَ قلبُكَ بالإيمان بالله الأعلى، فحينئذٍ قل لِما تواجه: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الدُّخـان: ١٩]، ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣١]، فسبحان ربِّيَ الأعلى. فاصبِر، وابذُلْ جُهْدَكَ، ولا تـرضَ بالدَّنِيّة في دينِكِ إذا كنتَ على أمرِ اللهِ الأعلى طالبًا رضوانه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمران: ١٣٩].

اثبُتْ فَربُّكَ الأعلى

واعلَـمْ أنَّ ثباتكَ على إكبـار ربِّك الكبيـر العظيم الأعلى وإعظامه وإعلائه هو إعـلاءٌ لإيمانِكَ بربِّكَ فـوق كلِّ أمر، وهو نصر لكَ مهما أصابكَ ما دمتَ ثابتًا عليـه، لأنه هدفُكَ وغايتُكَ وسـببُ وجودِكَ، ولأنّ ما أصابك هو من عند اللهِ ليَبلُوَ إيمانَك، لا مِن عند غيره، ليزيدَكَ منه قُرْبًا بصبرِك، وثباتًا على الإيمان به، وبشـكرِكَ عملًا بما يحبّ، ولهذا خُلِقْتَ لترفَـعَ إيمانَكَ بربِّك الأعلـى، لا لِتنازعَ غيرَك علـى دُنيا لا تُنالُ بتنـازُع، ولا تُؤخَذ غِلابًا، فالله الأعلـى غالبٌ على أمـرِه، يؤتي المُلْكَ مَن يشـاء وينزِعُهُ مِمّن يشاء، ولا لِتُقاتِلَ تَسارُعًا عليها، وهي قد قُسِمَتْ مِن

قَبْلِ أن تولَدَ مِنْ لَدُنِ العليّ الأعلى، ولا يبدَّلُ القولُ لديه، ولا يُنال شيء مِن مُلْكِه لم يأذن به، ولا يُغلَب على أمره، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزُّخْرُف: ٣٢].

لا تَهِن فربُّكَ الأعلى

إن لزِمْتَ الإيمان بالله، وإن لزِمْتَ العملَ بالإيمان بالله، فلن تُهان، فأنتَ الأعلى لعلوِّ مَن أنت على أمرِه، فاثبُتْ على إكبار اللهِ وَحْدَهُ إيمانًا أنه الكبير وَحْدَهُ، فتُواليه وتأخُذُ بكلامه وترضى بحُكمِه، واثْبُتْ على إعظامه وَحْدَهُ إيمانًا أنه العظيم وَحْدَهُ فتحمده، وترضى بربوبيّته لك، وتُعظّمها، ومن ثَمَّ تعظِّم أمرَهُ ونَهْيَه. واثبُتْ على لُزوم أمرِه وَحْدَهُ، واللجوء إليه وَحْدَهُ، وسؤاله وَحْدَهُ إيمانًا أنه الأعلى وَحْدَهُ، فلا تتوانَ عن أخذ أمر ربِّك الكبير بقوّة إكبارًا وموالاةً لغيره تبغي عنده العزة، وتبغي مرضاته، وتبغي منه ما لا يملك: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩]. ولا تَهِنْ فتُعظِّم أحدًا سواه لا يملك شيئًا، وليس بيده شيء، ولا يقدر على شيء مما كسبَ. ولا تهِنَ عن

طلبِ ما قضاه لك بقوّة، فهو الأعلى سبحانه، وقد قضى لك ألّا تعبُـد إلّا إيّاه، فـكلّ ما تعبد به اللهَ مِـن أمرِ حياتِكَ ومَعاشِـكَ ومماتِكَ، فاطلبْه بقـوّة وعزّة ويقين أنكَ أنـتَ الأعلى، فلا تَهِنْ لتَكَبُّر مَن سواه وتعاظُمِه وتعاليه فتُسلّم له نفسَك ومالَك، وأنت مسلِّم لله وَحْدَهُ الكبير العظيم الأعلى. ولا تَهِنْ فترجو أو تخاف مخلوقًا لا يملك لنفسِه، ولا لك، ولا لأحد، شيئًا، وربُّك الأعلى منه، فسبحانَ ربِّيَ الأعلى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفُرقان: ٣].

لا تَخَفْ فربُّك الأعلى

إن لزِمتَ أمرَ الله إيمانًا به فلا تَخَفْ، فربُّك الكبير معك، ولا تَخَفْ فليس لأحدٍ مُلْكُ شـيء، فخزائن السماوات والأرض بيد الله العليّ العظيم وَحْـدَهُ، فلن يمنعَك أحـدٌ رزقَ الله إليك، ولا تَخَفْ، فأنتَ منصورٌ بنصر الله الأعلى، المُظهـرِ أمرَه والموقِعِه، ولا تَخَفْ، فلـن يصيبَكَ أحدٌ بضُرٍّ، ولا تَخَـفْ فلن يصيبَكَ إلّا ما كتبَ اللهُ لك، لا تَخَفْ، إنك أنتَ الأعلى ممّا تواجه، فسـبِّح باسم ربِّك الأعلى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٨]، ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧]، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨٢].

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١]، فالأذى أمر زائل سهلة إزالته، لكنك تُساءُ به؛ ولا أثر له حقيقةً، فهو لا يمنعك من عبادة الله؛ وهو من كَسْبِ اللسان، وحقد الأبصار، ودفْع الأيدي، وهو كلُّ ما قد يصيبك من أعداء الله. أمّا الضّرر فأمرٌ لازمٌ يسوؤُكَ ويؤثِّر فيك، وهو ليس لأحد لأنه ليس لأحد أن يُحدث في مُلْكِ الله شيئًا فيغيّر فيه بخلاف ما أراد الله وما قدّر وما قضى، ويُسيّر فيه بخلاف تسيير الله، ويسيطر فيه على الأمور فوق سيطرة الله؛ وإذا

كان ذلك الأمر في يده، فالله قاهر فوقه، فلا يكون شـــيءٌ إلّا مِن بعد إذنه، فيعطيه قوّتَه ليكون، أو يرســـلُ ملائكته (أو ما، أو من يشـــاء) به، أو يوجده بـ (كن) فيكون، فســـبحان ربِّيَ الأعلى أن يشـــوبَ علوَّه شـــيء: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البَقَـرة: ١١٧]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، لا ما أراد غيرُه سبحانه.

لا تحزن

إذا لزمتَ التقوى (خوفًا لله بالغيـــب يدفعُكَ إلى تحرّي فعْلِ أمرِه واجتناب نَهْيِه فتكونُ كلّ أعمالـــكَ لله مجتنبًا فيها ما نهاكَ، متحرّيًا فيها ما يحبّ) فلا تحزن على شـــيء، فلن تخســـر شيئًا؛ لأنّ الله لن يُضيعَ عملَكَ، والعاقبةُ للتقوى؛ ولا تحزنْ فلمْ يفُتْكَ شـــيء، لأنّ ما أخطأَك لم يكن لِيُصيبَك؛ ولا تحزنْ فما أصابَكَ مـــا كان لِيَدفَعه شـــيء مـــن دون الله؛ لأنّ ما أصابـــكَ لم يكن لِيُخْطِئَكَ، فربُّكَ الأعلى. أمّا إذ لم تلتـــزم التقوى فلا تلومَنّ إلّا نفسَك، فقد ضاع عملُك، وخسرتَ وقتَك، وجهدَك، ومالَكَ؛ وما دفَعَ عنكَ ما فعلتَ، ما كتبَه اللهُ عليكَ، وما جلب لك ما لم يكتبْهُ الله لكَ، فـــاللهُ وَحْدَهُ المســـتحقّ لأن تتّقيَه فـــي كلّ أمرِكَ لتحفظَ عملَك ولتنـــال رضوانه، ولتنـــال عطيّته، ولتنـــال حاجتَك، فهو

الأعلى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ **أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ** ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فمَنْ يعملْ لغير الله يخسَرْ عملَه ومالَه، أمّا مَن يعملُ للهِ فيحفظُ اللهُ عملَه، ويجازيه عليه، وينمو مالُه: (لو أنَّ اللهَ عذَّبَ أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أرضِه لَعذَّبَهم وهو غيرُ ظالِمٍ لهم، ولو رحِمَهم لكانَتْ رحمَتُهُ لهم خيرًا من أعمالِهِم، **ولو أنفقْتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ ما قَبِلَهُ اللهُ منكَ حتى تؤمِنَ بالقدَرِ، فتعلَمَ أنَّ ما أصابَكَ لم يَكُنْ ليُخْطِئَكَ، وما أخطأَكَ لم يكنْ ليُصِيبَكَ**، ولو مِتَّ على غيرِ هذا لدخَلْتَ النارَ.) أخرجه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٤)، بإسناد صحيح، (**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ** منَ المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ، **احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعِنْ باللهِ**

ولا تعجِزْ، وإن أصابَكَ شيءٌ، فلا تقُلْ: لو أنّي فعلتُ كان كذا وكَذا، ولٰكِن قلْ: قدَّرَ اللهُ، وما شاءَ فعلَ، فإنَّ لو تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ.) رواه مسلم في صحيحه (٣٥).

العزّة

اعلم أنّ العزّةَ ألّا تَهِنَ وألّا تَيأسَ وألّا تتركَ سُبُل قوّتك (الإيمانيّة والجسديّة والعتديّة) فتنهزم، أي تَنكسر، وتُغلَب وتُقهَر، وتفشَل، أي تذهب قوّتُك، وتَجْبُن وتتراخى عن طلب ما تأمل، فالعزّة ألّا تنهزِمَ وألّا تفشل.

فلا تُهِن نفسَكَ لأحد، تطلبُ منه فيستذلُّك، وما يملِكُ شيئًا، ولا تُخضِعْ نفسَكَ لأحد لا يملِكُ ضُرَّكَ ولا نفعَك، فأنت الأعلى إن كنت على الإيمان، فلا تُهنْ نفسَك، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمران: ١٣٩]، ولا تيأسْ أن تبلُغَ ما تأملُ يأسًا مِن رَوْحِ الله، فتلكَ صفةُ مَن كَفَرَ بالله الكبير الأعلى، فاللهُ لا يُخلِفُ وَعْدَهُ، وهو منفِّذٌ مشيئتَه وإرادتَه، فالكلُّ مقهورٌ تحته: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسُف: ٨٧]، ولا تتركْ ثباتَ نفسِكَ إيمانًا بربِّكَ، ولا تتركْ اعتصامَكَ بدين الله سبيلِ نجاتِكَ وفلاحِكَ وعزّتكَ، ولا تترُكْ سُبُل قوّتِكَ توكّلًا على ربّك: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٠٢]، واعلمْ أنَّ مِن أمضى الأسلحة ذكرُ الله، فإنّ العزّةَ للهِ جميعًا، فهو الأعلى سبحانه؛ ولا حَظَّ لأحدٍ منها إلّا لرسوله ﷺ ولِمَن آمن به تعالى، فهم كذلكَ الأعلَوْنَ على مَن دونَهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ** فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا **وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ** وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ **وَلِلَّهِ**

﴿ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمران: ١٣٩].

دينُ الله ظاهر، وأمرُه واقع، فلن يُزَمَ، ولن يَنطفئ ويَنكسر، فإن كنتَ تعملُ به فلن تُهزمَ كذلك: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصّفّ: ٨].

لن تفشلَ إن طلبتَ رضوان الله تعالى بإرادةِ عبادتِه واستخلافِه في أرضِه، فحينئذٍ لن يَضيعَ عملُك ولن يذهبَ أَمَلُك، بخِلافِ مَن أعرضَ في عملِه عن طلبِ رضوانِ الله ففسدَ عمَلُه وذهبَ هباءً، وإن بلغ ما بلغ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [الأنفال: ٤٦، ٤٧]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]، إيمانُكم، أي عملُكم وصلاتُكم. ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾

[الأعراف: ١٢٨]. أمّا مَن أراد شيئًا آخر غيرَ رضوان الله، أو مَن أراد الفساد: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفُرقان: ٢٣]، ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]. وإن دعوْتَ، وتوكَّلْتَ، وذكرْتَ الله، ولم تُفلح في ما تعمل، فلا تغضبْ، ولا تيأسْ، ولا تتسخَّطْ، فصدَقَ اللهُ وكذبْتَ، صدَقَ اللهُ في علوِّه، وصدَقَتْ عظَمَتُه، وصدَقَ تكبُّرُهُ، وكذَبَ استعلاؤكَ وتكبُّرُكَ وتعاظُمُكَ، وصدَقَ وعْدُ اللهِ وكذَبَ دعاؤكَ وتوكُّلُكَ وذِكرُكَ اللهَ، فلم تَصْدُقِ اللهَ فيهم، بل كذَبَ إخلاصُك للعمل، وكذبَتْ عبادتُكَ اللهَ فيه، فأردتَ به غيرَ ذلك.

فكنْ مع أمر ربِّكَ الأعلى، فحينئذٍ لن تخسرَ ما عمِلتَ وما أنفقتَ، فتفشَل لذَهابِ قوّةِ عملِكَ ومالِكَ ويتلاشى أَملُك في ما كنت ترجو، بل عملُكَ حينئذٍ مثمرٌ ولو بعد حين، ومالُك يربو عند ربِّكَ ولا ينَقُص، ورجاؤك الذي عملتَ لتبلغَه لا يذهب، لأنه واقع بوعد الله الأعلى، ولن يفوتَك خير، ولن يُصيبكَ أحدٌ بضُرّ، ومِن ثَمَّ فأنتَ لن تنهزم ولن تفشل أبدًا، فأمْرُ الله نافذٌ لا مَحالة، فلا تَحِدْ عنه ولو شيئًا قليلًا فتفشل مهما كان عملك، ومهما كان أمرُك، كما حدث في غزوة أُحُد، فعلى قدْر اتّباعِكَ لأمر ربِّك الأعلى على قدْر عزَّتك، ولا تطلبْ شيئًا من أحد رُغبًا أو رُهبًا سوى من الله، ولا تُعلنْ خضوعَكَ إلّا لِمَن

يملكُ أن يُعِزَّكَ، فسبِّحْ بسم ربِّكَ الأعلى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافّات: ١٧٣]، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

إذا سألتَ أحدًا غيرَ الله فاعلمْ أنَّ ربَّك أعلى منه، وهو قاهرٌ فوقه، فهو لا يقدِرُ على إعطائكَ أو منعكَ شيئًا في مُلْكِ الله إلّا مِن بعدِ أن يأذَنَ اللهُ به ويقضي به، بعد أن يكونَ قد قدّرَهُ عليكَ أزلًا، ولا شفاعةَ له عند الله إلّا مِن بعد إذنه، ولا يملِكُ شيئًا مِن أمر الله، فالأمرُ كلُّه لله، فلا تسألْ أحدًا عن رغبة أو رهبة اعتقادًا فيه، بل اسألْ ربَّكَ وَحْدَهُ أمْرَكَ رغبةً ورهبةً اعتقادًا فيه تعالى، وما سؤالُكَ لِخَلْقِه إلّا دعوة لهم ليقوموا بأداء أمانة اللهِ التي حُمِّلوها وأخذ بأسباب الله توكُّلًا عليه. وكذلك إذا خوَّفَكَ أحدٌ من نفسِه أو رغَّبَك أحدٌ في نفسِه، فاعلمْ ألّا قدرة له، ولا مُلْكَ له، ولا كمال له، فربُّك أعلى منه، وهو العظيم سبحانه، وهو الكبير سبحانه، فلا تدْعُ إلّا ربَّكَ الأعلى إعلاءً وتأليهًا له تعالى، فلا قدرةَ لأحد سواه على إجابتك، فسبحان ربِّيَ الأعلى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [الرعد: ١٤].

تذكَّرْ دومًا أنّ ما بِكَ من نعمةٍ فمِنَ الله، وما بِكَ من شدَّةٍ فحكمٌ مخفَّفٌ من الله الكبير على ما قدَّمَتْ يداك، وما له من دافع؛ لأنه هو الأعلى كذلك؛ ولا يدفع عذابَ الله إلّا التقرُّب إليه بجميع الأعمال والقُرُبات ابتغاءَ وجهه، فله وَحْدَهُ العبادةُ من طاعة وتذلُّل وتقرّب وخضوع عن رغبةٍ ورهبةٍ وحبّ، فهو الإلَهُ الأعلى، ولا يرضى أن يُشرَك معه أحد، فهو الكبير ذو الكبرياء، ولا يستحقّ أحد أن تُشرِكه مع الله، لأنه هو الأعلى سبحانه، فسبِّح باسم ربِّك الأعلى.

فالله الأعلى هو وَحْدَهُ المستحقّ لأن تعبُدَه، فهو وَحْدَهُ المستحقّ لأن يكون إلَهًا، فعِشْ دومًا بـ لا إلَهَ إلّا اللهُ، تعشْ كريمًا عزيزًا قويًّا، وأطِعْ أمرَ الأعلى، فأمْرُه نافذٌ لا مَحالة، بكَ أو بغيركَ، طوعًا أو كرهًا.

اعلمْ أنّ الأعلى، لتنالَ رِضوانَه، وتنجوَ من عذابه، يجبُ أن تتقرَّب إليه بكلّ القُربات، وأفضلُ القُرُبات هو تمامُ الخضوع له، والتضرُّعُ، والاستكانةُ إليه، فلا تعلو عليه في أيّ أمر، ولن تعلوَ، وأعلى درجات الخضوع والتضرّع والتقرّب إلى الله يكون بالسجود لله الأعلى: (**أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى اللهِ وهو ساجدٌ**)

أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨٢)، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، فلا منجى ولا ملجأ ولا مفرّ من الله إلّا إليه، ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١]، فضعْ رأسك على الأرض سجودًا لله الأعلى، تقرّبًا وتضرّعًا وخضوعًا وتذلّلًا وفرارًا إليه، فهو إن غضب عليك فلا رادّ لعذابه، وإن رضيَ عنك فلا رادّ لفضله، وهو وحده الذي بيده حاجتُك، والآن ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العَلَق: ١٩] اسجُدْ لربَّك الأعلى، وسبِّح باسم ربِّكَ الأعلى، تقرّبًا، وتذلّلًا وتضرّعًا إليه، وخضوعًا، واستسلامًا له، لتنالَ القُربى والعزّة وتسألَه حاجتَك.

السجود

سجد: خضع، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أعظم منه.

وهو أقرب حالة يكون فيها العبد قريبًا من ربه الأعلى، حيث أعلى درجات التضرّع، والاستكانة، والاستسلام، والخضوع، والتذلُّل لله الأعلى، فإذا سجدتَ فنزِّه ربَّكَ الأعلى عن كلّ ما لا يليق بعلوّه وألوهيّته تعالى، وقابِلْ علوَّ الأعلى بالسجود تأليهًا وتضرّعًا وتذلّلًا إليه و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، (كان

النبيّ ﷺ يقولُ في سجودِه سجودَ القرآنِ في الليلِ: سجدَ وجهي للذِي خلقَهُ وشَــقَّ ســمْعَهُ وبَصَرهُ بِحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ.) أخرجه مسلم (٧٧١).

التسبيح

التســبيح: التنزيه مع المدح، والتنزيه هــو الإبعاد؛ أي إبعاد صفات النقص من أن تضافَ إلى الله تعالى، وهو كذلك تنزيه لله عن كلِّ سوء، وعن كلِّ ما لا يليق، ومنه بُعدُه تعالى عن أن يكونَ له مِثْلٌ، أو شريك، أو ضدّ، أو ندّ؛ والتنزيه لا يكون مدحًا إلّا إذا تضمّن معنى ثبوتيًّا، أي أنّ التسبيح هو التنزيه مع إثبات المحامد التي منها توحيدُه في ما ينزَّه منه ويُحمَد عليه؛ فـ«ســبحانَ رَبِّيَ الأعلى» تنزيهُ علُوِّ الله أن يشــوبه نقصٌ، وإثباتُ محامد العلُوّ للهِ، وثناؤه عليها، فهو، مع علوِّه تعالى، قريب من خَلْقِه، لا يتركهم، ولا يظلِمهم، ولا يُخلــف وعْدَه لهم، ويجيــب دعاءهم، ويُعلي أمرهم ما داموا على أمرِه تعالى.

والآن اســجدْ واقترِب إلى ربِّكَ الأعلى، وســبِّحه، فسبحانَ رَبِّيَ الأعلى، وسَلْهُ مســألتَك: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العَلَق: ١٩].

بعد أن نزَّهت ربَّكَ أنه هو الإلَهُ الأعلى وأنت ســاجد تقرّبًا إليه، اِدْعُهُ، فالأمــر كلُّه منه وإليه، ولكن تذكَّــر أنَّ الأعلى، كي

يقضيَ لك بما تريد، يجب عليك أن تلـزَمَ المنهجَ الذي وضعه لك، وتتَّبِع أسـبابه التـي جعلها للأمـر، وتتقرَّب إليه بشـتى القُرُبات، فلن تنال شيئًا هو تحت سيطرتِه وحُكْمِه وقضائه رغمًا عنه، بل برضـاه، إذا لزمتَ أمـرَه إعلاءً له، وتذلُّـلًا، وتضرّعًا، وتقرّبًا إليه، وبسؤاله، وأنت خاضعٌ له، غير ظانٍّ أنّ لك حولًا أو قوّة أو قدرة على شـيء فـي مُلْكِه لم يأذن به، وبسـؤاله وأنت متضرّعٌ له، تُلِحّ عليه غيرَ متعالٍ، (فـإن أعطاكَ مِن أوّل مرّة كان بها، وإن لم يعطكَ، فلا داعيَ لسؤاله مجدّدًا، بل تطلب حاجتَك من جهة أخرى)، فتكرار السؤال ذلٌّ وتذلّلٌ، وتَرْكُه تعالٍ وتكبُّر، فاسأل ربّك وأنت تتذلّل له وتتضرّع إليه، فهو الأعلى، فلا حاجةَ له منك، بل أنت في حاجـة إليه، فكلّ أمرِكَ موْكـولٌ إليه، فلا غِنى لك عنه، فالأمر كلُّه إليه. واعلمْ أنـكَ أنتَ الأدنى، الأذلّ، المحتاج، والله هو الأعلى، الأعزّ، الصمد، فاسـجُدْ إليه استكانةً وتضرّعًـا وتذلّلًا، وسـبِّحْه فى علـوِّه وألوهيّته، وادْعُهُ، وسَـلْهُ مسألتَك، فهو الأعلى سـبحانه؛ فسـبحان ربِّيَ الأعلى: (كشف رسولُ اللهِ ﷺ الستارةَ، والناسُ صفوفٌ خلفَ أبي بكرٍ، فقال: أيّها الناسُ، إنه لم يبقَ من مبشِّـراتِ النبوّةِ إلّا الرؤيا الصالحةُ يراها المسـلمُ أو تُرى لـه، أَلا وإني نُهيـتُ أن أقرأَ القـرآنَ راكعًا أو سـاجدًا، فأمّـا الركوعُ فعظِّمـوا فيه الـربَّ ﷻ، **وأمّا السـجودُ فاجتهِدوا في الدعاءِ، فقَمِنٌ أن يُسـتجابَ لكم.**) أخرجه مسـلم

(٤٧٩)، (أيّها الناسُ! إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبلُ إلّا طيِّبًا. وإنَّ اللهَ أمر المؤمنين بما أمر به المرسَلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون:٥٠]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]. **ثُمّ ذكرَ الرجُلَ يُطيلُ السَّفرَ، أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يدَيه إلى السماءِ: يا ربِّ! يا ربِّ! ومطعَمُه حرامٌ، ومَشْرَبُه حرامٌ، ومَلْبَسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأَنَّى يُستجابُ لذلك؟**) رواه مسلم في صحيحه (١٠١٥)؛ (**لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رَحِمٍ؛ ما لم يَسْتَعْجِلْ. قيل: يا رسولَ اللهِ! ما الاستعجالُ؟ قال: يقول: قد دعوتُ، وقد دعوتُ، فلم أرَ يستجيبُ لي. فيستحسرُ عند ذلك، ويَدَعُ الدعاءَ.**) رواه مسلم في صحيحه (٩٢).

اِدْعُ الله، واسألْه وأنت ساجد، فالسجود أعلى مراتب الذلّ، فتدعو الله بذلّ؛ ذلِّ قهر العبوديّة لله، وذلّ الافتقار إلى الله، وذلّ الحاجة إلى الله، وأنت حقًّا ذليل؛ فإن دعوتَ الله بذلّ وأنت ذليلُ الهيئة ساجد، وذليل النفس عابد لله، فَقَمِنٌ أن يُستجابَ لك عن أن تدعوه وأنت متكبر متعاظم متعالٍ، أمّا غير الله فاسأله بقوّة وعزّة، قوّة اليقين بأنّ ما تسأل هو حقّك لأنك تعبد الله به، وعزّة لأنك تناله به أو بغيره ما دمتَ تعبد الله به.

فاسأل الله وأنت ساجد أن يغفر لك ما فات، ويتقبَّل منك ما قدَّمت، ولا يفضحَ ما ستر، واسأله سبحانَه أن يُخْلِصَكَ له

بخالصةِ ذكرى الدار، وأن يُنَقِّيَكَ مما يشــوب الإيمان به تعالى من أمراض وآفــات وعلل، وسَــلْهُ أن يثبِّتَكَ عليه، واســأله أن يهديَكَ في ما هو آت، وأن يغفر لك ما فات من سقطاتك، وأن يتقبّل منك، ويسترَك، وأن يهديَك صراطه المستقيم، وأن يُفيض عليــك من فضلــه، فســبحان ربِّيَ الأعلــى، ربِّ لــكَ القُربى والخضوع، فبِيَدِكَ الأمْــر كلُّه، ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۞ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦].

فالســجود، كلّمــا رســخ فــي القلــب، وتشــرّب التضرُّعَ والاســتكانة والتذلُّل لله، تأليهًــا لله الربّ الأعلى ســبحانه، بما يودِعُه فيه ما يردّده اللســان مــن تنزيه لعلُــوّه ولألوهيّته تعالى، ويكيّفه الجسد من تمام الخضوع والتذلُّل والاستكانة لله الأعلى، ويتفكّر فيه العقل من أَوْجُهٍ ودلائل وأثر لعلُوّه تعالى، عزَّ وخرج منه الاعتقاد فــي الخلق والاعتمــاد عليهــم، أو الخوف منهم، وأُشــرب القلب بعزة الإيمان والتسليم لأمر الله، والتوجُّه إلى الله وَحْدَه، وطاعته وعبادته وَحْدَهُ، وتبرمجت النفسُ على ذلك.

وإذا رفعتَ رأسكَ من سجودك، فاجلسْ على ركبتيك جلسةَ العبيد، فأنت عبــدٌ لله الأعلى، وأَقِرَّ واعترِفْ وتنــدَّمْ على ذنبك وتقصيرك وعصيانــك لأمر ربك الكبير الأعلى، وسَــلْهُ المغفرة والعفو والتوبة، فاستغفِر الله على ما بدر منك.

فالجلوس بين السجدتين جُثُوًّا على الرُّكَب هو جلسة ذلّ؛ فتلك جلسة العبيد، وتلك جلسة مَن حُكم عليه بالقتل ليُقْتَصّ منه، وتلك جلسة الأمم يومَ القيامة للحساب ونَيْلِ الجزاء في يومٍ يتمنّى العبد فيه أن يرجِعَ إلى الدنيا ليتدارك ما كان، ولكن هيهات هيهات!! فتلك الجلسة مقام طلب العفو والصفح والمغفرة: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، (كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ بينَ السَّجدَتَينِ: **اللَّهمَّ اغفِرْ لي وارحَمْني واجْبُرني واهدِني وارزُقني.**) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، وإسناده صحيح. وروى حُذَيْفَة بن اليمان (أنَّهُ صلَّى معَ رسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فسمعَهُ حينَ كبَّرَ قالَ: اللهُ أَكبرُ، ذو الجبروتِ والملَكوتِ والْكبرياءِ والعظَمةِ، وَكانَ يقولُ في رُكوعِهِ: سبحانَ ربِّيَ العظيمِ، وإذا رفعَ رأسَهُ منَ الرُّكوعِ قالَ: لربِّيَ الحمدُ، لربِّيَ الحمدُ، وفي سجودِهِ: سبحانَ ربِّيَ الأعلى، **وبينَ السَّجدتينِ: ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفِرْ لي**، وكانَ قيامُهُ، ورُكوعُهُ، وإذا رفعَ رأسَهُ منَ الرُّكوعِ، وسجودُهُ، وما بينَ السَّجدتينِ، قريبًا منَ السَّواءِ.) صحيح النَّسائي (١٠٦٨). لكنك في صلاتك لك فرصة أخرى لتصدِّق بآيات ربِّك، وتكون من المؤمنين، لأنك ما زلت في الدنيا،

فاسـجدْ مرَّةً أخرى عبادةً وتذلّلًا وتضرّعًا لله، إيمانًا أنه هو الإلَهُ الأعلى سـبحانه، وعزمًا على التصديق بآياتـه، وعزمًا على أن تعمل بها إيمانًا به تعالى.

الاستغفار

غفر: ستر وغطّى، والذنبَ: عفا عنه.

المغفرة من الله أن يصونَ العبدَ أن يمسَّه العذاب.

المغفـرة: التغطية للذنب فـلا يظهر، والسـتر للمذنب فلا يُفضَح، وحفظُه أن ينالَه شرُّ ذلك الذنب كالمِغْفَرِ للجنديّ يغطَّى به الرأس، ويستَر به الوجه، ويقي الضربات في الحرب.

الفرق بين الغفران والسـتر أنّ **الغفران** أخصّ، وهو **يقتضي اسـتحقاق الثواب وإيجابه**، وهو فقط للمؤمن، أمّا السـتر، فهو الإعراض عن ذكر الأمـر، وعدم الفضـح، ولا يقتضي الثوابَ، وهو للمؤمن والكافر.

الفرق بين الغفران والعفو أنّ **الغفران يقتضي إسقاط العقاب**، وإسـقاط العقاب هو إيجاب الثـواب، فلا يسـتحقّ الغفرانَ إلّا المؤمنُ المستحقّ للثواب، ولا يُسـتعمَل إلّا في الله؛ لأنه هو مَن بِيَدِهِ الثواب، والعفو يقتضي إسـقاط اللوم والـذمّ، ولا يقتضي إيجابَ الثواب، لذلك يُستعمَل بين العباد.

الفرق بين الغفران والصفح أنّ الصفح هو التجاوز عن الذنب، أو ترْك مؤاخذة المذنب بالذنب، وأن تبدأ له صفحة جميلة.

فَسَل الله أن يستر ذنبك، وأن يعفوَ عنك، فلا يمسَّك العذابُ في الدنيا والآخرة: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٤].

واعلم أن الذّنوب تُثْقِلُك عن عبادة الله، فَسَل الله المغفرة ليسهِّلَ عليك عبادته: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشَّرْح:٢،٣]، فاستغفر الله انكسارًا، وخضوعًا وتضرعًا، واستكانة، وتذلُّلًا لله الكبير العظيم الأعلى وأنت في مقام الاستغفار؛ أستغفرك اللّهُمَّ ما عبدتُك حقَّ عبادتك، فما أطعتُك كما ينبغي في كلّ أمري، وما توكَّلْتُ عليك حقّ التوكُّل، وما توجَّهتُ إليك في كلّ أمري، وما أعليتُ أمرَك فوق كلّ أمر...

وعاوِد السجود تضرُّعًا وتذلُّلًا وإلحاحًا على ربِّك الأعلى، فتكرار الأمر (السجود) هو من تمام التضرُّع والتذلّل، فتكرار السؤال ذلّ وتذلّل، وترْكُه تعالٍ وتكبُّر، وتكرار التذلّل من تمام التذلل للأعلى، فعاوِد السجود بعد أن استغفرتَ الله وتُبتَ إليه، عسى الله الأعلى أن يتقبَّلَ منك، ويستجيبَ لك ويتوبَ عليك، ويمنَّ عليك من فضله، ويرفعَكَ مكانًا عليًّا، فتُعَزّ وتَفُزْ وتُفلح، فقِفْ على بابه مرّةً أخرى متضرّعًا متذلِّلًا مستكينًا، فهو الأعلى

سبحانه، واسأله، واستعِنْ به، واستجِرْ به، والجأ إليه، وفِرَّ إليه، وتوكَّلْ عليه، واشتكِ إليه، واطلبْ رضوانه، وأَثنِ عليه، فهو الأعلى سبحانه، فلا يشوب علُوَّه شيء، ولا ينالُه شيء، ولا يماثله شيء، فسبحان ربِّيَ الأعلى.

فإذا تقرّبت إلى الأعلى وَحْدَه بالتضرُّع إليه، والاستكانة إليه، وإعلاء أمره، وكلامه وشرعه، فَوَحْدَهُ تسأله مسألتَك، ووَحْدَهُ تشكو إليه حالَك، نلتَ العزَّة والكرامة والعلوّ، فغيرُه إنْ تقرَّبتَ إليه، فتُدْني نفسَك تحته لترفَعه، فقد أهنتَ نفسَك، فهو أدنى وأذلّ وأوضع مما تظنّ، فالله هو الأعلى؛ وإن سألت أحدًا مسألةً فهو لا يملك لك نفعًا ولا ضرًّا، وإن أجراها الله لك على يديه استذلَّك بها (جزاءً مَن عند الله) كأنه هو مَن أنعم عليك بها من دون الله، فسبحان ربِّيَ الأعلى؛ وإن شكوتَ حالكَ لغير الله فضحتَ نفسَك، وما يملكُ لك مَن تشكو إليه حالَك شيئًا، فسبحانَ رَبِّيَ الأعلى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۞ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨ـ١٤٠]، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ

يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المُجادِلة: ١].

إن أردت أن يكون لك حظٌّ من اسم الله الأعلى فتنال عزّةً لا تُرام، فتقرّبْ إليه، واتَّبِعْ أمرَه، وادْعُهُ وَحْدَه.

سبحانَ ربِّيَ الأعلى؛ فلا إلَهَ إلّا أنت؛ ربِّ لا قدرةَ لي، ولا حولَ لي، ولا قوّة لي إلّا بك أن تُعينني، وتنصُرَني وتَمُنَّ عليَّ من فضلك.

سبحان ربِّيَ الأعلى؛ ربِّ تقبَّلْ تضرُّعي، واغفِرْ لي ذنبي، وتقبَّلْني في مَن رضيتَ عنهم، واقضِ حاجتي، وأدخِلْني جنَّتَك.

❋❋❋

قبل أن تُنهيَ صلاتَك

بعد أن أكبَرْتَ الله وعظَّمْتَهُ وألَّهْتَهُ تعالى، امزُجْ مشاعرَ الإكبار مع التعظيم، ومشــاعرَ الانكســار مع التذلُّل؛ الله أكبر... سبحان ربِّيَ العظيم، وامزُجْ مشاعرَ الإكبار مع التأليه، ومشاعرَ الانكسار مع الخضوع التامّ؛ الله أكبر... ســبحان ربِّيَ الأعلى، تجدْ نفسَك لا تشــبع من صلاتك؛ فحاجة الإنســان إلى معبــودٍ يتوجّه إليه غريزة أَوْدَعَها الله في كلّ البشــر، تدفعهم إلى التوجُّه إلى معبودٍ يُشبِعُ فيهم تلك الغريزة، وجعل عقولَهم تدلُّهم، بما تجدُ من أدلّة وآيات وبراهين، إلى أنــه لا إلَهَ إلّا إلَهٌ واحد؛ هو الله ســبحانه، وكلّما أُشــرب القلب إكبــار الله تعالى وتعظيمــه وتأليهه، تلذّذ بذلك، وازداد رغبةً وحبًّا وإقبالًا على الله تعالى.

والآن، قبــل أن تنصرفَ مِن صلاتــك فحَيِّ ربَّــكَ تعالى، وعظِّمْهُ، وأثْنِ عليه، وألْقِ الســلام على كلِّ مَــن والاه، وتقرَّب إليه، ودخل في حزبه تعالى، ولاءً لله، واشهدْ له بالألوهيّة قبل أن تخرُج من صلاتك وتدخلَ في أمور مَعاشِــك، كما شــهدتَ له بالربوبيّة قبل خروجــك من عالَم الــذَّرّ ودخولِك الدنيا: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا

﴿كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، واشهدْ لرسوله ﷺ بالرسالة عازمًا على اتّباعها في كلّ أمور معاشِك، وأَدِّ جزءًا من حقّه عليك بالدعاء له ﷺ، ثُمَّ سَل الله من مزيدِ فضله، وتحلَّلْ من صلاتك لتخالطَ خَلْقَه بتحيّة السلام، شِعار الإسلام.

فاجلس جلسةً خفيفة تحيِّي فيها ربَّك، فأصْلُ التحيّة الثناء، وطلب طول الحياة، التي هي دوامُ الملك والعمر والنِّعَم، فالله هو المَلِكُ سبحانه، وهو الأوّل والآخِر، فله وَحْدَهُ كلُّ أنواع التحيّات مِن دعاء وثناء وجثُوّ على الركب.

وله كذلك تمام العبوديّة وَحْدَه، فله جميع الصلوات، فَتَعِسَ عبدُ الدرهم والدينار، وفاز عبدُ اللهِ الرحمٰن.

وأَثنِ على ربِّك، فله جميع الطيّبات، ومنه كلُّ الطيّبات، وإليه كلّ الطيّبات، فهو طيّب لا يقبل إلّا طيّبًا.

ثمّ بعد التحيّة والعبوديّة والثناء، سلِّم على عباده المقرَّبين إليه سبحانه، تحيّةً لأقرباء الله وأحبّائه وأوليائه؛ دخولًا في زمرتهم وحزبهم؛ إكبارًا وولاءً لله، وأوّل مَن تسلِّم عليه هو رسولُه ﷺ أفضلُ البشرِ وأقربُ الخَلْقِ إلى الله تعالى، الذي أرسله المَلِكُ إليك، وإلى خَلْقِه جميعًا مِنَ الثَّقَلَيْن، بل ورحمة للعالمين، فابدأ بالسلام عليه لمكانته ﷺ عند ربّه، وعرفانًا بفضله عليك في إيصاله رسالة ربِّكَ إليك، على أفضل صورة،

وابدأ بالسلام عليه لمحبَّتك له ﷺ لمكانته عند ربّه، ثُمّ سلِّم على نفسِك، وعلى جميع عبادِ الله الصالحين، عسى الله السلامُ أن يُسلِّم إيمانكم من كلِّ ما قد يشوبه، ويسلّمكم من كلّ ما يسوؤكم في الدنيا والآخرة.

ثُمَّ، قبل أن تنصرف من صلاتك، أَقِرَّ واشهدْ لله بالألوهيّة، واعزِمْ وأنت جاثٍ بين يدي ربِّك، على اتّباع ما أمَرَك أن تحيا به في الدنيا أن لا إلَهَ إلّا الله على منهج خاتَم رُسُلِه ﷺ ممّا ارتضى لك من الدين، رافعًا السبّابة توحيدًا لله ربِّكَ بلِسانِكَ وقلبك وجوارحك، فانطق بالشهادة شكرًا لله أن هداكَ للإيمان، ثُمَّ صلِّ على رسوله ﷺ شكرًا لرسوله الذي أدّى الأمانة وأوصل الرسالة، فمَن لم يشكر الناس فما شكر الله.

(كنّا نصلّي خلفَ النبيِّ ﷺ فنقولُ: السلامُ على اللهِ، فقال النبيُّ ﷺ: (... إنَّ اللهَ هو السلامُ، ولكن قولوا: **التحيّاتُ للهِ، والصلواتُ الطيّباتُ، السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين، أَشهدُ أن لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأَشهَدُ أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه.**) رواه البخاري (٨٥١).

ثم قبل أن تسأل الله من فضله قبل انصرافك كعادة الانصراف من حضرة الملوك، فلا تنسَ مَن له عظيمُ الفضل عليك ممّن أوصل لك من ربِّك ما فيه خيرُ دنياك وآخِرتك، ومَن له عظيمُ القدْر عند الله، ومَن له عظيمُ الحبِّ في قلبك، لا تنسَ أن تدعو

الله أن يصلِّيَ ويسلِّمَ ويبارك على خاتم الرُّسُل ﷺ، وأفضلُ ذلك هو الصلاة الإبراهيميّة، ثم ادْعُ الله تعالى بجوامع الدعاء.

(سمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ رجُلًا يدعو في صَلاتهِ، ولم يحمَدِ اللهَ، ولم يُصلِّ على النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: عجِلَ هذا، ثمَّ دعاهُ، فقالَ: **إذا صلَّى أحدُكم فليبدَأْ بتحميدِ ربِّهِ والثَّناءِ علَيهِ، ثمَّ يصلِّي علَى النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ يدعو بعدُ بما شاءَ.**) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، وإسناده صحيح.

(يا رسولَ اللهِ، أمّا السلامُ عليكَ فقد عرَفْناه، فكيف الصلاةُ؟ قال: «قولوا: **اللّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، إنك حَميدٌ مَجيدٌ، اللّهُمَّ بارِكْ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ، كما بارَكتَ على إبراهيمَ، إنك حَميدٌ مَجيدٌ.**») رواه البخاري (٤٧٩٧).

(عن ابنِ أبي بكرةَ: أنَّهُ كان سمع والدَه يقولُ في دُبُرِ الصلاةِ: **اللّهُمَّ إني أعوذُ بكَ من الكُفرِ والفَقرِ، وعذابِ القبرِ.** فجعلتُ أدعو بهنَّ، فقال: يا بُنَيَّ أنَّى علِمْتَ هؤلاءِ الكلماتِ؟ قلتُ: يا أبتِ، سمِعْتُك تدعو بهنَّ في دُبُرِ الصلاةِ، فأخذْتُهنَّ عنك، قال: فالْزَمْهُنَّ يا بُنيَّ، فإنَّ نبيَّ اللهِ كان يدعو بهنَّ في دُبُرِ الصلاةِ.) رواه النَّسائي (١٣٤٧)، وإسناده صحيح.

بعد أن أتممتَ صلاتك قدْرَ استطاعتك، تحلَّلْ منها بالسلام

والترحُّم على مَن حولَك، تحيّــةً مِن اللهِ طيّبةً مبارَكة، فليس لمن كان مع الله إلّا أن ينشُرَ السلام والرحمة بين خَلْقِه، فتذكَّر قبل أن تتحلّل من صلاتك أنك تسعى بالسلام لِخَلْقِ الله لِتَسْلَمَ عقولُهم ونفوسُهم وقلوبُهم وأجسادُهم وحياتُهم ودينُهم لله ربّ العالمين: (مِفْتاحُ الصلاةِ الطُّهورُ، وتحريمُها التكبيرُ، **وتحليلُها التســليمُ**.) أخرجه أبو داود (٦١)، وإسناده حسن.

والآن ماذا بعد أن تحلَّلْتَ مِن صلاتك؟

❋❋❋

ماذا بعدَ الصلاة؟

هل أدركتَ أنّ من معاني الصلاة أنك تعلن بلسانك وجَوارحك وقلبك إكبارَكَ وولاءك لله الكبير، وحمدَك وإجلالَك لله العظيم، رضًى بربوبيّته وألوهيّته، وتعلن تضرُّعَك وخضوعَك واستكانتَك وتوجُّهَك لله الأعلى؟ فعليك بالصلاة حين تصبح في الفجر قبل أن تبدأ سعيك في الدنيا، وفي أثناء عملك في الظهيرة، وبعد راحتك في العصر، وعند مبيتِك في المغرب، وقبل نومك في العشاء، عبوديّةً لله وتسبيحًا بحمده، وتقديسًا له سبحانه في كلّ وقتِك، مهما كان الشاغل لكَ، والفاتِنُ لك، والموَسْوِسُ لك، وأنت تقوم بأمر استخلاف الله في أرضه لتعبُدَه سبحانه بالغيب، كما تعبده الملائكة بالشهادة، لتنالَ رضوانه وفضلَه وجنّتَه؛ فأعلِنْها: الله أكبر، وقِفْ بين يديه إكبارًا، وولاءً، وولاية لله، آخذًا بكلامه، رافعًا لكتابه، فهو الكبير ذو الكبرياء؛ واركع له إعظامًا، وإجلالًا، وانكسارًا، ورضًى، ونزّهْ عظيمَ ربوبيَّته لك وللخَلْقِ جميعًا من كلّ نقص، وأقِرَّ وعظِّم عظيمَ حقِّه عليك سبحانه، واحمَدْهُ، فهو، مع كونه الكبيرَ المُطاعَ، والعظيمَ المُلكِ والسلطانِ والخَلْقِ والأمرِ، له الحمد على عظيم الربوبيّة وعظيم النِّعَمِ وكمال أوْجُه العظَمة والمحامد؛ فسبِّحه سبحانه، واسجدْ له خضوعًا،

وتضرّعًا، واستكانةً، وتذلّلًا، وافتقارًا، وتوجُّهًا، والتجاءً، فهو الأعلى لا إلَهَ إلّا هو؛ فلا ملجأ ولا منجًى منه إلّا إليه، والأمرُ كلُّه منه وإليه، فقد أحاط بكلّ شيء، وقهر كلَّ الخَلْق، وهو المُسيِّر لكلّ شيء، وكلُّ شيء تحت سيطرته، ومقاليدُ الأمر في السماء والأرض بيده، فإن أطعتَ كلام الكبير، وعظَّمتَ أمر العظيمِ، فاعلمْ أنه كذلك الأعلى، فلا رادَّ لفضله إن أطعتَهُ ودعوْتَه، ولا دافعَ لعذابه إن عصيتَه، فسبِّحْهُ سبحانه تنزيهًا لعلوّه ولألوهيّته.

الله أكبر، ربِّ اجعلني من أوليائك، يا الله، أنت الكبير؛ وأتعهّد الأخذَ بكتابك، وأريد هدايتي لصراطك المستقيم، فأكون عليه في أكلي، وشربي، ونومي، وعملي، وعبادتي، وجهادي، ولَعِبي، وجِدّي، وحياتي، ومماتي؛ وأريد تعظيمَك، وتعظيمَ حقِّكَ، وأن أحمَدَكَ على نِعَمِك وفضلك، فإن ظللتُ أحمَدُك طولَ عمري فلا أفيكَ حقَّك، فسبحانك، أنت العظيم، فلك الحمد؛ وأريد التقرُّب منك، وأن تكفيَني أمري كلَّه، وأن تقضيَ لي بما يصلح أمري، ويمكّنه، وييسّره لي؛ فسبحانك أنت الأعلى. فهل نويتَ ذلك قبل أن تصلّي أو أثناء صلاتك؟ هل نويتَ إذ نويتَ الصلاة أن تزداد ولاءً لله فتكونَ من أولياء الكبير، ومن حزبه، وأن تزداد قوّة؟ وهل نويتَ أن تكون من الشاكرين، ومن المتّقين، وأن تزداد غنًى؟ وهل نويتَ أن تكون من المقرَّبين ومن الفائزين، وأن تزداد عزّة؟

بعد أن أدّيتَ صلاتَك؛ هل أدركتَ أنَّ الأرض لله، وأنه وَحْدَهُ السـيّد على أرضه (لا غيره، وإن كان توهُّم ذلـك)، له الحكم وَحْدَهُ، وله الأمر وَحْدَهُ، وله الفضلُ وَحْدَهُ على مَن فيها، وأنه لا يوجد نعيمٌ في الدنيا بعيدًا عـن التقرّب إلى الله؟ فلا تطلبْه فيها، ولا مِن أهلها، فـإنَّ أَهلكَ لا يملكون لك ضـرًّا ولا نفعًا، وإنما الأرضُ لله يورثُها مَـن آمنَ به فعبَدَهُ وأصلـح، والله مُظهِرُه (كما وعد سبحانه) على مَن كفر وأشرك وأفسد، لا فرْقَ في ذلك بين عِرْقٍ أو جنسٍ أو نسبٍ في أيّ بقعة من الأرض.

الجنة

هل أدركتَ أنّ الجنة تُنال بأن تكون قويًّـا عزيزًا غنيًّا؟ تُنال بالعزّة بأن لا إلَهَ إلّا الله الأعلى، لا بالمذلّة والمهانة والانحطاط لغيرها؟ فعشْ بها عزيزًا تدخل الجنـة، ولا تترُكْ أمرَ ربِّك حتى يأتيَك وعـدُه: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجْر: ٩٩]، وأنّ الجنـة كذلك تُنـال بالاعتقـاد أنّ الله أكبر ممّـن دونه، لا بالتذبذب بين ذلـك، ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٣]، فاثبتْ عليها، فتلك قوّة لا تُـرام، وخُذْ كتابَه إليك بقوّة، فهو الكبير سـبحانه، ومِن ثَمَّ فكلامُه لا يأتيه الباطل مـن أيّ وجه، ولا يُماثَل كلامُه، ولا يُخلَف وعدُه، وأنَّ الجنّة كذلك تُنال بالغنى رضًى بربوبيّة الله

العظيم، ولا تُنال بالافتقار إلى الدنيا، والاستقلال من النِّعَم تسخّطًا عليها وعلى ربوبيّة المُنعِم، وأنّ ثمنها بذلُ الدنيا، لا منْعها بخلًا بها، ورضًى بها عن رِضوان الله، ولا العمل لأجلها أملًا فيها، لا يقينًا في الآخرة، (وهي ليست مُلْكًا لك أو لغيرك، بل ملك لله، وهي فضلٌ من الله، وراجعة إليه)، فلن تَصلُحَ إلّا بما صَلُحَ به مَن سبقَك بالإيمان: بالزهد في الدنيا واليقين بالله الكبير العظيم الأعلى، وأنك إليه راجع يومَ الدين: (صلاحُ أوَّلِ هذه الأُمَّةِ بِالزُّهدِ واليَقينِ، ويَهْلَكُ آخِرُها بِالبُخْلِ والأَمَلِ.) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٥٠)، وإسناده حسن، والألباني في صحيح الجامع بإسناد حسن (٣٨٤٥)؛ فالصلاة تزيدك يقينًا بالله الكبير العظيم الأعلى، فتزداد قوّة وغنًى وعزّة؛ والصدقة تزيدُكَ يقينًا في الآخرة فتزهد في الدنيا.

ولن تنال الدنيا رغبةً عن مالِكِها، فهو عظيم المُلْك، ولن تنال بالمذلّة لغير مالِكِها، ومالِكُها الله، طلبًا منه العزّة، وطلبًا منه الدنيا، وما يملك أيًّا منهما، فلن تنالَ شيئًا إن طلبتَ الدنيا ممّن لا يملكُها (إيمانًا به وبها، وتكذيبًا بالله وبالآخرة) إلّا المذَلَّةَ، والخسران، واحتقار النفس أمام مَن يتقلّبون فى دنيا لم تُقسَم لك اغترارًا بهم، وإعظامًا لأمرِهم، وما شاركوا الله في مُلْك شيء منها: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عِمران: ١٩٦، ١٩٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

فلن تنال الجنّة، ولن تنال الدنيا كذلك، بالوهَنِ تَذَبْذُبًا وشَكًّا في قدْر الله وقدرته، وفي كلام الله، فترغب عنه إلى غيره، ولن تنال الجنة، ولن تنال الدنيا كذلك بالمذلّة لمخلوق ذليل: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]، فالجنة والدنيا تُنالان بالعزّة بأن لا إلَـهَ إلّا الله إيمانًا وعملًا بها، فهو الأعلى سبحانه، وبالقوّة ثباتًا على أنّ الله أكبر، وبالغِنى رضًى بربوبيّة الله العظيم.

كن ذا بصيرة

تذكَّرْ أنّ هذا القرآن كلام الله الكبير، فخُذْهُ بقوّة وأطِعْه ووالِهِ، فالكبير له الكلامُ والولاءُ والتقديم، وتذكَّر أنّ هذه النِّعَمَ هي فضل الله الربّ العظيم، فله التعظيم والإجلال والحمد والشكر والرضى، فاحمدْه واشكرْه وعظِّمْه، فله العظَمة وَحْدَهُ، وتذكَّر أنّ هذه الأمور هي حكم الله الأعلى وتصريفه وتسييره، فله الخضوع، والتضرّع، والتذلُّل، والاستكانة، والافتقار،

والاستسلام، والمسألة، والدعاء، والتعبّد، فاعبدْه وَحْدَه، واسألْه وَحْدَه، وتضرَّعْ إليه وَحْدَه.

ولا تنظرْ إلى صِغَر الذنب، ولكن انظرْ إلى كبرياء مَن عصيتَ، ترَ عِظَمَ ما فعلت.

ولا تنظرْ إلى صِغَر النعمة، ولكن انظرْ إلى عظَمة المُنْعِمِ، تدركْ عِظَمَ أثرِ نِعَمِه.

ولا تنظرْ إلى قلّة الميْلِ والانحرافِ عن الصراط المستقيم، عن أمر الله وشرعه، لكن انظرْ إلى علوّ مَن أمر، فأمْرُهُ نافذٌ كما أراد هو، لا أنت، ولا شفاعةَ عنده في أمره ولا وساطة.

وانظر إلى كِبَرِ مَن أمر، فأمْرُه كلُّه حق وصدق وصلاح، وهو لا يُتبِع أمرَه هوى مَن هو دونَه تعالى، ولا يرضى بمخالفة شيء من أمره، ولو صَغُر.

وانظر إلى عظَمة مَن أمَر، فأمرُه عظيم النفع والأثر، ولا نفعَ ولا خيرَ في أيّ أمرٍ مخالفٍ لأمره.

تذكّرْ أنّ عاقبةَ عملِكَ إمّا تكريمٌ من الله لك بإمضاء خيرِه إلى عباده على يديك، وإمّا عقاب من الله (إنذارًا أو تربية أو أخذًا)، وإمّا فتنة من الله لتصبر وتشكر وترتفع.

فدعْ أمرَك وحاجتَك وهمَّك على الله، ولا تَهُمَّ نفسَك إلّا

بطاعة الله، والإخلاص له، والجهاد دعوةً في سبيله عبادةً له في أيّ أمر تفعل، إنه هو الكبير المتكبّر العظيم الأعلى، علّه أن يتقبّله منك؛ وإن أصابك ما تكره، فهو لتعلمَ أنك ما اتخذتَ عند الله عهدًا، وأنّ عليك أن تعمل توكّلًا، لا أن تتواكل، فما أصابك إلّا لينظر الله كيف تُكبِّره وتعظِّمه وتُعليه به، فيحاسبك ويُثيبك ويجازيك عليه، فقبل أن تتفاعل مع ما أصابك، أو ما أنت مقدِمٌ عليه، أو هو مقدِمٌ عليك، انظرْ إلى نظرِ الله إليك، فما عليكَ إلّا أن تكبّر الله وتعظّمه وتُعليه في نفسك وفي لسانك وفي جوارحك.

واعلمْ أنّ أوّلَ الانهزام أن يتذبذبَ الإيمانُ في نفسك، فيطيش عملُك، وتزلّ قدمُك، وأنّ أوّلَ النصر أن تنتصر عليه في نفسك أوّلًا (إكبارًا لله وَحْدَهُ وتعظيمًا وإعلاءً له، وتحقيرًا لأمره وردًّا ووضعًا) فتقوى عليه وتعلو فوقه.

وانظر إلى الأمر أنكَ قادر بالله عليه، وعلى كلّ شيء، وأنك لست في حاجة إليه، وأنك فائز بخير الدنيا والآخرة لا تخسر أيًّا منهما.

وما دمت لم تظلم ولم تبغِ بل تأتي ما أمرك الله به من عبادته في كلّ أمرك، وأنت صادقٌ الله مخلص له، فلا تخفْ شيئًا؛ فمَن ظلمَكَ، أو بغى عليك، أو خوَّفك، فالله مُظْهِرُك عليه، ولو بعد حين، ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]،

فربّك الله هو الكبير الأعلى، فانظرْ إلى أمرك كلّه كيف يكون عبادةً لله على نهج نبيّه ﷺ، وكيف تَصْدقِ اللهَ فيه، وكيفَ تُخْلِصُه لله من دون ظلم أو جهل أو بغي.

وأنت تمشي في أرض الله، انظرْ إلى الأمور بإكبار الله، وتنزيهٍ لعظَمته ولعلوّه، ولا تنظر إلى الأمور بما يظنّها الغافلون الجاهلون المُمهَلون، فالله أكبرُ له الولاء، وهو العظيم له الحمد، وهو الأعلى له الدعاء والعبادة والتضرّع وَحْدَهُ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

بعد أن أتممتَ صلاتكَ كُنْ مؤمنًا قويًّا غنيًّا عزيزًا

اعلمْ أنه لن يخلو مجتمع مسلم من كُفرٍ أو نفاق كي لا يخلوَ من جهاد لإكبار الله، وإعظامِه، وطاعتِه وَحْدَهُ عن رغبةٍ ورهبةٍ وحب، والتوجّه والتضرّع إليه، وسؤاله والاستعلاء به، وبكتابه، وشرْعه، وَحْدَه؛ حتى مجتمعُ المدينة أيامَ رسول الله ﷺ كان فيه نفاق: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، فمهما دعوتَ الناس ستظلّ هناك فئة لن تستجيبَ لداعيَ الله، مهما رأَوْا، أو سمعوا، أو وقعتْ عليهم الحجّة ليكونوا في فسطاطِ الكفر والنفاقِ، وليعادوا أولياء الرحمٰن، فكلُّ قرية فيها أكابرُ مجرميها،

وحول كلِّ أكابر هناك أصاغر كثيرون يظهرون بظهور الأكابر، فلا تغترَّ بهم، وإن كَثُرَ عددُهم، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

اعلمْ أنكَ لستَ متّهمًا ما دمتَ على أمر الله، فهو حقّ وصدق، وهو ماضٍ وواقع وظاهر رغمًا عن كلّ مخلوق؛ واعلمْ أنك لستَ ضعيفًا، ولست عاجزًا، ولست فقيرًا، فاعبد ربَّك في كلّ أمرِكَ بقوّة وعزّة وعفّة، فأنت قويّ عزيز غنيّ بالله.

فالقوة هي الثبات على الإيمان بالله، فلا يتسرّب إلى نفسك ما يظنُّ كلُّ ظانٍّ بنفسِه، أو بغيره، أو بالأمر مِن حوله، لسوء ظنّه

بالله تعالى، فيظنّ أنه، أو أنّ غيره، يملك شيئًا من صفات الله، أو كصفات الله، فتكبِّره وتعظِّمه وتذِلَّ له من دون الله، أو أنّ الأمور ليست إلى الله، بل بيد غيره، فذلك ظنُّه بربِّهِ، فلا يتسرَّبْ إلى نفسِك، فالقوّة هي الإيمان بما تقول وتفعل مما أمر به الله يقينًا به فتثبت على ذلك.

والضعف هو التذبذب على الإيمان، والشكّ في الله، والتَّبَعِيّة للضلالات والأوهام والجهالات.

أمّا **العاجز** فهو مَن عجز عن اتّباع أمر الله.

والعزة هي العمل بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فتفوز وتنتصر، وتُفلح، ولا تصاب بضرّ، وهو ظاهرٌ بِوَعْدِ الله، والعزة هي بالتوجُّه إلى الله وحده، والتقرّب إليه وحده.

وأمّا **الفقير** فهو مَن تسخَّطَ ما أعطاه الله، واحتاج إلى غير الله، ومنع مالَه من إنفاقه في حقِّه رغبةً في ما ليس له مما هو تاركه.

والغنيّ مَن استغنى عن الخَلْق، وأنفق مِن مالِه لله من دون أن يبغيَ مِن أحد جزاءً أو شكورًا، ورضيَ بقِسْمَةِ ربّه، ولم يمدَّ عينيه إلى ما متّع الله به غيره فتنةً له.

فأنت قويّ بثباتك على الإيمان بالله، ثقةً ويقينًا، لا تتذبذبُ،

ولا تشــكُّ، ولا تجحد؛ وأنت غنيّ، فقد أمــدَّك الله بما تعبده به لتنالَ جنّتَه، فلا تنظر إلى ما مدّ به غيــرَك ليفتِنَه به، وأنت عزيز بعزّة الله ما دمتَ على أمره، ومــا دمتَ لا تخضع ولا تتضرّع إلّا إليه، وما دمتَ لا تدعو ولا تسأل أحدًا إلّا ربّ العزّة سبحانه.

فالقويّ ليس بالقويّ على غيره، فــلا يملك أحدٌ لأحدٍ نفعًا ولا ضــرًّا؛ والعزيز ليس عزيزًا بنفســه، ولا بماله، ولا بعصابته، وليس الغنيّ بمن يكنز ماله للدنيا، وليست الثقة لمن وثق بنفسه فاغترّ بها، والزعيم ليس بكلامه.

إنما القويّ هو المحكِم قبضتَه، المســيطِر على نفسِه، يحفظ يقينَها ومعتَقَدَها وإيمانَها، فتثبُتُ نفســه على ذلك، فلا تضطرب ولا تتذبذب مهما رأت، ومهما واجهتْ، فلا يُزْلِقها أحد؛ والعزيز هو العزيز بالله، على أمره يكون، فيفوز بوعد الله، ولا يخسر، ولا يفشل، ولا يهون، والغنيّ مَن رضيَ، وأنفق، وبايع ربّه فنمّى مالَه ولا تخســرُ بَيْعَتُه، والثقة ثقةٌ بالله بأنه أمدّك بمــا تعبده به، وهو مُعينُــك عليه ما دمتَ على أمــره، والزعيم هــو المؤمن بهدفه، العامل له، المُقدِم عليه.

والآن هل أدركتَ شــيئًا من معاني الربوبيّة في اسمه تعالى الكبير، واســمِه تعالى العظيــم؟ وهل أدركت شــيئًا من معاني الألوهيّة في اســمه تعالى الأعلــى؟ هل أدركتَ شــيئًا من قيمة الصلاة ومعناها وطعمها؟

الثقة بالنفس والتوكّل على الله

قبل أن تنتقل إلى ميادين الحياة بعدما قضيتَ صلاتك فتحيى بما كنت عليه في صلاتك، وتعبد ربّك في كلّ أمرك، لا تنسَ أنّ الثقة بالنفس هي بأن تثق بأنك قادر على كلّ أمر هو عبادةٌ لله، بما أمدَّك الله به مِن نِعَمٍ إذا توكّلتَ عليه تعالى، فقد خلقك الله لذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وأنت مُيسَّر لِما خُلقتَ له، وقد خُلقتَ لتعبد ربَّك حتى يأتيَك اليقين: (قلتُ: يا رسولَ اللهِ، فيمَ يَعمَلُ العاملونَ؟ قال: (**كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِق له.**)) رواه البخاري (٧٥٥١)، فهل تتوكّل على الله فتعبده في كلّ أمرك دقّ أو كبُر؟ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ** إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢،٣]، وقال رسوله ﷺ (**لو أنكُم توكَّلْتُم على اللهِ حقَّ تَوَكُّلِهِ** لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تغدُو خِماصًا وتَروحُ بِطانًا.) رواه التِّرمِذي (٢٣٤٤)، وإسناده صحيح، فحقًّا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

التوكُّل هو الأخذ بأسباب الله الكبير الأعلى، الكونيّة والشرعيّة، التي جعلها الله للأمر اعتمادًا عليه أنه هو الكبير، فهو

يُعينك عليها إذا أطعتَه باتّباع ما جعله لك سببًا لتنال مرادك، وأنه الأعلى، فلن تنال ما تريد إلّا بأن تأتيَ أسبابَه، ولا تحيد عنها، وأن تتقرّب إليه باتّباع أمره، فما بلغ ذو القرنين ما بلغ إلّا باتّباع أسباب الله الكبير الأعلى توكّلًا عليه، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، وبالتقرّب إليه باتباع أمره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ۞ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۞ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٦ـ٨٨].

فالتوكّل هو اتّباع أسباب الله، الكونيّة والشرعيّة، تقرّبًا إلى الله باتّباع أمره، واعتمادًا عليه أن يعينَك عليه، وأن يقضيَ لك به، لا باتّباع سُبُل مَن دونَه اغترارًا بهم، واتّباعًا لتزيينهم لسُبُلهم وطريقتهم ودعواهم لك؛ ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٣]، فعدم الإتقان والإحسان، وعدم تحرّي الحقّ والعلم والصواب، وإكبار غير الله، والنظر لِما في أيدي الغير، وسؤال غير الله، والاعتماد على مخلوق في ما تفعل، وكذلك الغشّ، والتكاسل، والتغافل، والسرقة، والخيانة، والمقاتلة على الدنيا، وما إلى ذلك من سُبُلٍ وطُرُقٍ هي مِن تزيين الشيطان ودعواه وجنده، وليست من أسباب الله الكبير العظيم الأعلى، ولا من صراطه تعالى؛ كلُّ

ذلك منافٍ للتوكّل على الله، فتلك سُبُل الشيطان لا أسباب الرحمٰن، ولا يعِدُك الشيطان إلّا غرورًا، والله صادق وعده، ومَن يتوكّل على الله فهو حَسْبُه؛ أمّا الشيطان فيقول: ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وينكِصُ على عَقِبَيْه، فتلك عادتُه، فهل تتّبِعُ أسبابَ الله، الشرعيّة والكونيّة، توكّلًا عليه، لتنالَ عونه وفضله، أم تتّبِعُ سُبُلَ الشيطان اغترارًا به، وبنفسِكَ، وبجمْعِكَ فيفسُد سعْيُك؟

فعادة الشيطان مخالفةُ وعدِه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وعادته أنه ينكِص على عَقِبَيْه بعد أن يغرِّر بك: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨]، ولا يَصْدُق في وعده، بل هو كلُّه كذب: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

فالتوكّل هو الإيمان بالله الكبير العظيم الأعلى، وألّا تُلقِيَ بالًا لِما تُقْدِم عليه؛ فلا تخفْ أن تفشَلَ، أو أن تُهزَمَ، أو أن تخسر؛

فربُّك على كلّ شيء قدير؛ وهو يعلم الخير وأنت لا تعلمه، وإنما الفشل أن تفشـــل في اتّباع أمر الله؛ أمّا كينونة الأمر فهي لله وحده بِكُنْ فيكون، فما عليك إلّا اتّباع أمر الله في قَصْدِك وسعيكَ إيمانًا به تعالى، ورضًى بقضائه وبفضله، وعلى الله كفايتُك، وهدايتُك، وتولّي أمرِك، وحفْظُك، ونُصْرَتُـــك، والدفاعُ عنك، وكينونةُ الأمر على النحو الذي فيه خيرٌ لك كما وعد، فتـــوكّلْ على الله بقلبك إيمانًا، وبلسانك ذكرًا، وبجوارحك عملًا؛ وتَذَكّر أنك لم تفشل، ولست بفاشـــل، بل لم تتوكّل على الله حقّ توكُّله، فالأمر بِيَدِ الله، وليس بيديك، والخاســـر مَن يئسَ مِن رَوْحِ الله، والفاشل حقًّا مَن يترك التوكُّل علـــى الله إلـــى التعلُّق بمـــا لا ينفع: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١]، وإن دعوتَ الله، وتوكَّلْـــتَ عليه، وذكرته، ولم تُفلِح في ما تعمل، فلا تغضـــب، ولا تيأس، ولا تتســـخّط، فصدَقَ اللهُ وكذَبْتَ، صدَقَ وعْدُ الله وكذَبَ دعاؤك وتوكُّلك، وذِكْرك الله، فلم تصدُقْ الله فيها، بل كذَب إخلاصُك للعمل، وكذب توكُّلك على الله، وكذبتْ عبادتُك اللهَ فيه، فأردتَ به غير ذلك.

لِتَحْيَ على ما كنت عليه فى صلاتك

فالله هو الكبيـــر، وما أمَرَك بـــه (لتعبُدَه به) هـــو حقٌّ وخير

وإصلاح، وهو مُعينُكَ عليه، مدافِعٌ عنكَ إذا تعدّى عليك أحد ليمنَعَك منه؛ فالكبير سبحانه لا يترك مَن تَبِعَ أمرَه، وهو رادُّكَ إليه ليحاسِبَك عليه؛ فتأكَّد قبل القيام بأيّ عمل أنه ممّا أمَرَك الله به (نيّةً وهدفًا ومنهجًا).

والله هو العظيم، فقد أمدَّك مِن نِعَمِهِ ما به تقوم بأمره، وأمدَّك بكلّ ما تحتاجه لتعبُدَه؛ وأيُّ شيء قد تحتاجه لتعبُدَ الله به، فالله مُمِدُّك به، فهو العظيم الربوبيّة، سبحانه، فما مِن نعمة إلّا منه.

والله هو الأعلى، فهو محقّ أمره قهرًا ومُظهِرُه ومُعليه، وهو ناصرُ أوليائه، هازمُ أعدائه قهرًا، وهو المسيطر على كلّ شيء، المسيّر لكلّ أمر، الذي لا يُرام ولا يُبارَى، سبحانه، فكنْ مع أمرِه، ومع أوليائه على أعدائه، ولا تدْعُ إلّا إيّاه، ولا تتضرّع ولا تتذلّل ولا تستكِن إلّا له سبحانه.

فاجعلْ كلّ أمرِك (من أكل، وشرب، وتربية أولاد، وصلاة، وزكاة، وصوم، وحجّ، وعمرة، وأعمال تُصلح بها أحوالَ خَلَفَ الله و...) عبادةً لله، تُخلصها لله، ترجو بها رضوانه، وتجعلها موافِقةً لشرعه على نهج نبيّه ﷺ، فلذلك خلقك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وأيّ أمر تقوم به فانظر أمرَ الله فيه، وانظرْ هَدْيَ النبيّ ﷺ في اتّباع أمر الله فيه، وأخلِصْهُ لله إكبارًا لربّك، وولايةً له سبحانه، وتسبيحًا بحمده،

وشكرًا له على نِعَمِه، وإعظامًا لقدْرِه، وتضرّعًا وتذلُّلًا وعبادةً له، فهو الإلَهُ الأعلى وحده سبحانه.

وأيّ أمر تواجه عليك أوّلًا:

بالثبات على ما كنتَ عليه فى صلاتك، فلا يتسرّبْ إلى نفسك شيء خلافَه، ثُمّ تقوية ذلك وترسيخه وتحصينه **بذكر الله، ثُمّ بذل الجهد لتسدّد ولتقارب** من دون بغيٍ، ومن دون فرار، إكبارًا لربّك، وتعظيمًا له، ورضًى به، واستعلاءً بدينه، وتضرّعًا له سبحانه، **طاعةً لله على هَدْيِ رسوله** ﷺ، ولا تتنازع لنفسكَ، ولا لدنيا، ولا لحمِيّة، **واصبرْ** على ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦]، (**سدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا**، فإنَّهُ لن يُدْخِلَ الجنَّةَ أحدًا عَملُهُ. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ قالَ: ولا أَنا، إلّا أن يتغمَّدَنيَ اللهُ منهُ برحمةٍ. واعلَموا أنَّ أحبَّ العملِ إلى اللهِ أدوَمُهُ وإن قَلَّ.) رواه البخاري (٦٤٦٧) ومسلم (٧٨).

وإن برقَ في عينيك ما خفتَ أن يفتِنَك، فاصرِفْ نظرَكَ عمّا كاد أن يفتِنَ عينيْكَ، فيوهنَ نفسَك، فما تراه العينُ سريعُ الأثر في النفس؛ وأرسِلْ نظرَك في الآفاق، مِن حولِك، وفي نفسِك، تنظُرُ في آيات الله ما به ترى البرهان على عظَمة الله العظيم، وعلوّ الله الأعلى، وكبرياء الله الكبير، أو أغمِضْ عينيك لتوقِفَ دخولَ

بريقِ ما يفتنهما إلى نفسِك، كي تستعيد توازُنَها وينطفئ بريقُ ما كاد أن يفتنَ نظرَكَ ويتسرَّب إلى نفسِك، ويرجعَ ذكرُ الله تعالى إلى قلبك على ما كنتَ عليه في صلاتك، ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ** ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ** ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ** وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١]، (**سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظرِ الفُجاءةِ، فأمرني أن أصرِفَ بصري.**) حديث صحيح فى صحيح مسلم (٢١٥٩).

وكلّما مرّ بكَ أمر، ورأيتَ أنّ نفسَك لم تواجهْه، ولم تتفاعل معه، ولم تقِفْ منه كما ينبغي، فَنَكِرَتْ نفسُك ذلك واستفحشَتْه، فاعلمْ أنّ نفسَك لمّا تتبرمج بعدُ بأصول الإيمان، فأسرِعْ إلى الصلاة لتُبَرمِجَ بها في نفسك أصولَ الإيمان أنّ الله أكبر، وتعمّقها وترسّخها، وهو العظيم وحده، وهو الأعلى وحده، حتى يتشرَّبَها قلبُك؛ واصبِرْ على ذلك حتى تُثمر في نفسِك أخلاقُ الإيمان، فلن تنال الجنّة بالضعف شكًّا في الله وفي كلامه، ولا بالافتقار إلى الدنيا شكًّا في الآخرة، ولا بمذلّة نفسِك إلى مخلوق ابتغاءً

للعزة عنده، بل تنال الجنّة بالقوّة والغِنى والعزّة، ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البَقَرة: ٤٥]؛ فلن يعينَك أحدٌ، بل زادُ نفسِك في صلاتك، (كنتُ أبِيتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه. فقال لي: «سلْ.» فقلت: أسألُكَ مرافقتَك في الجنّةِ. قال: «أو غيرَ ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعنِّي على نفسِك بكثرةِ السجودِ.») رواه مسلم (٢٢٤)، فاثبتْ على ما كنتَ عليه في صلاتك، واذكُر اللهَ، وابذُل الجهدَ، وليكن شعارُك: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

مراحل التغيير

لتبرمجَ نفسَك على أمر جديد من أمور الإيمان فإنك تمرّ بثلاث مراحل أساسيّة.

الأولى: أنك ترى نفسَكَ تفاعلتَ مع الأمر كعادتك بسلاسة، لكنك تدرك أنّ ذلك ليس صوابًا؛ فقد بدأتْ نفسك تتيقّظ من غفلتها، فاجتهِدْ ألّا تكون من الغافلين.

الثانية: أنك ترى نفسَكَ في نزاع ومجاهدة، مع ما اعتادته، لتفعلَ ما تراه صوابًا ممّا هو مخالِفٌ لما استساغَتْه سابقًا، فاصبِرْ على ذلك، علَّكَ أن تكون من الصابرين.

الثالثة: أنك ترى نفسَكَ تتفاعل مع الأمر بسلاسة على الوجه الذي تراه موافقًا لأصول الإيمان بالله، فحينئذٍ تذوق حلاوة الإيمان، وقد أُشْرِبَتْ نفسك بأصول الإيمان وتبرمجت به، ورسختْ فيها، فاشكر ربَّكَ وكنْ من الشاكرين.

أما زِلْتَ لا تدرك قدْر الصلاة؟ وأنها ليست تمارين جسديّة، ولا ترانيم شفويّة، ولا التزامًا اجتماعيًّا، بل هي تربية للنفس على الإيمان بالله، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر بما ترسّخ في النفس من أصول الإيمان بالله ومعانيه، وهي تزيدك قوّة، وثقة، وغنًى، وعفّة، ورضًى، واطمئنانًا، وعزّة، وأنها أفضل ما يُستعان به على أمر الله مع الصبر، وأنها رمّانة ميزان حياتك، وأنّ ذكر الله أكبر: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فهل تزيدك الصلاة حقًّا إيمانًا ويقينًا؟ هل تزيدك قوّة وعزّة وغنًى؟

فمَن برمَجَ نفسه بالصلاة على الإيمان، نال، إن شاء اللهُ،

اليقين بالله، والزهد في الدنيا، فتصدَّق بها؛ وأمّا مَن برمج نفسه بالدنيا فقد أصابه البخل وطولُ الأمل، قال ﷺ: (صلاحُ أوَّلِ هذه الأُمَّةِ بِالزُّهــدِ واليَقينِ، ويَهْلَكُ آخِرُهــا بِالبُخْلِ والأَمَل.) أخرجه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٤٥) بإسناد حسن.

ذكر الله

الآن، بعد أن تبرمج عقلك على معانــي الإيمان في الصلاة اِحْيَ بتلك المعاني في حياتــك، واصبِرْ عليها، ولا تترك ذكرَ الله في كلّ أمرِك كما كنتَ فى صلاتك.

فبعد تبرمُجِك بالإيمان في الصلاة إن أصابك من وســاوس الشــيطان وجَلَبَتِــه ومزاميــره ما يصيبــك بالوهــنِ لِيســتزلَّكَ ولِيَحْتَنِكنَّــكَ هو وأعوانــه وإخوانه (فأعوانه من شــياطين الجنّ وإخوانه من شــياطين الإنس) فيفتنك ويُبعــدك عمّا تبرمجَتْ به نفسُــك مما يُرسّــخ فيها الإيمان ويُعينها على عبادة الله، ويقرّبها من الله، فلا تَهُنْ لتلك الوساوس، ولا تُلْقِ لها بالًا، فلا وزن لها، وافزَعْ إلى ذكر الله، تُحصِّن نفسَــك من تلك الوســاوس وتُنقِّيها منها، وتُخنِــس الشــيطان، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائــدة:٩١]، ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

[الإسراء: ٦٢]، ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

اعلم أنّ مداخل الشيطان ومكائده سبعة، أوّلها الكفر بالله وبلقائه، فإن هزمْتَهُ بالتحصُّن بالتوحيد وبالعلم بالله تعالى، جاءك بالمكيدة الثانية وهي الوقوع فى البدعة، إمّا باعتقاد خلاف الحقّ، وإمّا بالتعبُّد بما لم يأذن به الله؛ فإنْ هزمْتَه بالتمسُّك، وبتعلُّم سنّة رسوله ﷺ، جاءك بالمكيدة الثالثة وهي الوقوع في الكبائر؛ فإن أَفْلَتَّهُ جاءك بالمكيدة الرابعة وهي الوقوع في الصغائر؛ فإن أَفْلَتَّهُ جاءك بالمكيدة الخامسة وهي الاستغراق في المُبيحات للتلهّي بها عن الصالحات؛ فإن أَفْلَتَّهُ جاءك بالمكيدة السادسة وهي الانشغال بالأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات عن الأعمال الفاضلة الراجحة؛ فإن أَفْلَتَّهُ جاءك بالمكيدة السابعة وهي تسليط حزبه عليك ليقاتلوك وليوقعوا بك الأذى، فإذا التقى الجمْعان نكص على عَقِبَيْه ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥] إذا استمرَّيتَ على ما أنت عليه فى صلاتك.

فبعدما قضيتَ صلاتك التي فيها ذكرتَ الله، عليك بذكر الله دومًا في كلّ حالك: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ولو استمرّ المرء على ذكر الله في كلّ حاله، من عبادةٍ، ومعيشةٍ، وجهادٍ، وطعامٍ، وشرابٍ، وركوبٍ، ورقودٍ، وحياةٍ، ومماتٍ، كما ذكر الله في ما فرض عليه من صلاة، لازداد قُربًا إلى الله؛ أي لو ازداد المرء من ذكر الله الذي تعبَّد الله به في صلاته ليذكره كذلك في كلّ أمره في حياته (بعد انقضاء صلاته) لازداد قُرْبًا من الله؛ وانظرْ ماذا ينال مَن ازداد قربًا إلى الله: (يقولُ اللهُ تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربةِ، وما تقرّب إليّ عبدي بمثلِ أداءِ ما افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرّبُ إليّ بالنوافلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يمشي بها، فبي يسمعُ، وبي يُبصِرُ وبي يَبطِشُ، وبي يمشي؛ ولئن

سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه، وما تردَّدت في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قبضِ نفسِ عبدي المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأكرهُ مساءتَه، ولا بدَّ له منه.) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢). فما ظنُّك بمَن يفتح الله عليه فيُسمِعه ما لا يُسمِع غيرَه، ويُبصِرُه ما لا يُبْصِر غيرَه، ويُمضي بيديْه ما لا يُمضي على يد غيرِه؛ فكم من أصواتٍ ما انتبهنا لها، وكم من أشياء أمامَنا ما رأيناها، وكم من أمور يسيرة ما تمّت على أيدينا، وكم من أمور عِظام تمّت بأيدي مَن نظنُّهم دون غيرِهم؛ وتأمَّلْ هذا الحديث: (عن عمرَ أنه قالَ في خطبتِه يومَ الجمعةِ: يا ساريَة، الجبلَ الجبلَ! فالتفتَ الناسُ بعضُهم لبعضٍ فلم يفهموا مرادَه، فلمّا قضى الصلاةَ، قال له عليٌّ: ما هذا الذي قلتَه؟ قال: وسمعتَه؟ قال: نعم، وكلُّ أهلِ المسجدِ، قالَ: **وقعَ في خَلَدي** أنّ المشركين هزموا إخوانَنا وركبوا أكتافَهم وهم يمرّون بجبلٍ، فإن عَدَلوا إليه قاتلوا مَن وَجدوا وظفِروا، وإن جازوا هلكوا؛ فخرجَ مني هذا الكلامُ. فجاءَ البشيرُ بعد شهرٍ، **فذكرَ أنهم سمعوا في ذلك اليومِ، وتلك الساعةِ، حين جاوزوا الجبلَ، صوتًا يشبهُ صوتَ عمر**، قالَ: فعدَلْنا إليه ففتحَ الله.) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص: ٣١٤)؛ وألّف القطب الحلبي في صحّته جزءًا؛ وانظر مقتلَ أُبَيّ بن خلَف بسبب خدْش بسيط برقبته، إذ أقبلَ أُبيّ بن خلَف يومَ أُحُد نحو النبيّ وهو يقول: أين محمد؟ لا

نجوتُ إن نجا، فاستقبله مصعب بن عمير ﷺ فقتل مصعبًا، فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله أن يُخلّوا طريقَه، فأقبل وهو يقول: يا كذّاب، أين تفرّ؟ **فتناول النبيّ الحرْبَةَ مِن الحارث بن الصمّة، أو من الزُّبَيْر بن العوّام** ﷺ، **فرماه بها، فأصابت عُنُقَه وخدَشَتْه خَدْشًا غيرَ كبير**، واحتقن الدمُ بذلك الخَدْش، فرجع وهو يقول: قَتَلني واللهِ محمد، فقالوا له: ذهب واللهِ فؤادُك، إنّا لنأخُذُ السهامَ مِن أضلاعِنا فنرمي بها، فما بك واللهِ مِن بأس، ما أجزَعَكَ **إنما هو خَدْش**، ولو كان هذا الذي بكَ بعينِ أحدِنا ما ضرَّه؛ فقال: واللات والعُزّى، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز ـ سوق من أسواق الجاهليّة عند عَرَفة ـ لمَاتوا أجمعون. إنه قال لي بمكّة: أنا أقتُلُكَ، فواللهِ لو بصَقَ عليّ لقَتَلني. وكان أُبَيّ يقول بمكّة للنبيّ: يا محمد، إنّ عندي العوَذ ـ يعني فرسًا له ـ أعلِفه كلَّ يوم فَرْقًا (مكيالًا) من ذُرةٍ أقتُلُكَ عليها، فيقول رسول الله: «أنا أقتُلُكَ إن شاء اللهُ.» رواه الحاكم في المستدرك (٣٢٦٣). **ثُمَّ مات أُبَيّ وهم راجعون إلى مكّة بسَرِف**، وقيل: ببطن رابغ، ولم يقتلْ رسولُ الله ﷺ بيده الشريفة أحدًا إلّا أُبَيّ بن خلَف، لا قبل ولا بعد؛ وتأمّل هذا الحديث: (رُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على اللهِ لَأبرَّهُ.) رواه مسلم (٣٨).

وكذلك لو استمرّ المرء على ذكر الله في كلّ حالة لصافحَتْه الملائكة وهو يمشي على الأرض، وذاك حنظلة (فقد مرَّ بأبي

بَكْرٍ وَهوَ يَبكي، فقال: ما لَــكَ يا حَنظلةُ؟ قال: نافَقَ حنظلةُ يا أبا بَكْرٍ، نَكونُ عندَ رســولِ اللهِ ﷺ يذَكِّرُنا بالنَّارِ والجنَّــةِ كأنّا رَأْيَ عَيْنٍ، فإذا رجَعنا إلى الأزواجِ والضَّيعة نسينا كثيرًا، قال: فَوَاللهِ إنّا لكذلِكَ! انطلِقْ بنا إلى رســولِ اللهِ ﷺ. فانطلقْنــا، فلمّا رآهُ، قالَ رســولُ اللهِ ﷺ: ما لَكَ يا حنظلةُ؟ قال: نافقَ حنظلةُ يا رسولَ اللهِ، **نَكونُ عنــدَكَ تُذَكِّرُنا** بالنّــارِ والجنَّةِ كأنّا رَأْيَ عَيْــنٍ، فإذا رجَعنا عافَســنا الأزواجَ، والضَّيعةَ، ونســينا كثيرًا، قالَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **لَو تدومــونَ علــى الحــالِ الَّتي تقومــونَ بِها مــن عندي لصافحَتْكمُ الملائِكَةُ في مجالسِكُم، وفي طُرُقِكُم، وعلى فُرُشِكُم،** ولٰكِن يا حنظلةُ، ساعةً وساعةً، ســاعةً وساعةً.) أخرجه التِّرْمِذي (٢٤٥٢) وهو صحيح؛ بل لكلَّمَك الحجرُ والشــجرُ كما سيحدُث قريبًا، إن شاء الله، حين يدخل الإيمان في القلوب فتتشرّبه، فكلُّ آتٍ قريب: (لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ فيقتلُهم المســلمونَ حتى يختبئَ اليهودُ من وراءِ الحجرِ والشجرِ، فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ! يا عبدَ اللهِ! هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتلْه، إلّا الغرْقَدُ فإنه من شجرِ اليهودِ.) رواه مسلم (٢٩٢٢).

وكذلك لو استمرّ المرءُ على ذِكرِ اللهِ في كلّ حالِه، لصارَ في حصْنٍ حصيــن: (إنَّ اللهَ أمرَ يحيَى بنَ زكريّــا بخمسِ كلماتٍ أن يعمَلَ بها، ويأمرَ بني إســرائيلَ أن يعملوا بها، وإنَّه كاد أن يُبطِئَ بها، قال عيسَــى: إنَّ اللهَ أمرَكَ بخمسِ كَلِمــاتٍ لتعملَ بها وتأمُرَ

بني إسرائيلَ أن يعملوا بها، فإمّا أن تأمُرَهم وإمَّا أن آمُرَهم؟ فقال يحيَى: أخشَى إن سبقتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمع النَّاسَ في بيتِ المقدِسِ فامتلأ المسجدُ وقعدوا على الشُّرُفِ فقال: إنَّ اللهَ أمرني بخمسِ كَلِماتٍ أن أعملَ بهنَّ وآمُرَكم أن تعملوا بهنَّ. أوَّلُهنَّ أن تعبدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا. وإنَّ مَثَلَ مَن أشرك باللهِ كَمَثَلِ رجلٍ اشترَى عبدًا مِن خالِصِ مالِه بذهبٍ أو وَرِقٍ، فقال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمَلْ وأَدِّ إليَّ، فكان يعملُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه. فأيُّكم يرضَى أن يكونَ عبدُه كذلك؟ وإنَّ اللهَ أمَرَكم بالصَّلاةِ، فإذا صلَّيتم فلا تلتفِتوا، فإنَّ اللهَ ينصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يلتفِتْ.

وآمُرُكم بالصِّيامِ، فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجلٍ في عصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلُّهم يُعجَبُ، أو يُعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصّائمِ أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ.

وآمُرُكم بالصَّدَقةِ، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجُلٍ أسَرَهُ العدوُّ، فأوثقوا يدَه إلى عُنُقِه وقدَّموه ليضرِبوا عُنُقَه. فقال: أنا أفديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم.

وآمُرُكم أن تذكروا اللهَ، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجلٍ خرجَ العدوُّ في أثرِه سِراعًا، حتَّى أتَى على حصنٍ حصينٍ، فأحرز نفْسَه منهم، كذلك العبدُ لا يحرُزُ نفسَه من الشَّيطانِ إلّا بذِكرِ اللهِ. قال النَّبيُّ ﷺ: وأنا آمُرُكم بخمسٍ اللهُ أمرني بهنَّ: السَّمعُ، والطّاعةُ،

والجهادُ، والهِجرةُ، والجماعةُ، فإنَّه مَن فارقَ الجماعةَ قيْدَ شِبرٍ فقد خلع رِبقةَ الإسلامِ عن عُنُقِه، إلّا أن يُراجِعَ، ومَن ادَّعَى دعوَى الجاهليَّةِ فإنَّه مِن جِثِيِّ جهنَّمَ. فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، وإنْ صلَّى وصام؟ فقال: وإن صلَّى وإن صام، فادْعوا بدعوَى اللهِ الَّذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عبادَ الله.) رواه التِّرْمِذي (٢٨٦٣)، وهو صحيح؛ فذكْر الله يقطع وساوسَ الشيطان الذي يريد تذبذُب الإيمان في قلبك بعد أن برمجتَ عليه نفسَك في الصلاة، فتَضْعُفَ، وتهُن، وتحزن وتفشل، فتزلَّ قدمُك.

واعلم أنّ ذكرَكَ اللهَ ودعاءك إيّاه يكسِر عنك قيود الشيطان، وينشّط الجسد، ويطيّب النفْس: (**يعقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ**، يضرِبُ على كلِّ عقدةٍ: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارْقُد، **فإنِ استيقظَ فذَكرَ اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ**، فإنْ توضّأَ انحلَّتْ عُقدةٌ، فإنْ صلَّى انحلَّتْ عُقدةٌ، فيُصبحُ نشيطًا، طيِّبَ النفْسِ، قد أصاب خيرًا؛ وإنْ لم يفعل، أصبح كسلانَ، خبيثَ النفْسِ، لم يُصِبْ خيرًا.) رواه مسلم (٧٧٦)، (استَبَّ رجُلانِ عِندَ النبيِّ ﷺ ونحن عِندَه جُلوسٌ، **وأحدُهما يَسُبُّ صاحبَه، مُغضَبًا، قدِ احمَرَّ وجهُه**، فقال النبيُّ ﷺ: (إنّي لَأعلَمُ **كلمةً، لو قالها لذهَب عنه ما يَجِدُ**، لو قال: أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرَّجيمِ.) فقالوا للرجلِ: ألا تَسمَعُ ما يقولُ النبيُّ ﷺ؟ قال: إني لستُ بمجنونٍ.) رواه البخاري (٦١١٥)، اُنظرْ؛ فذِكْرُ اللهِ يكسِرُ قيودَ

الشيطان التي تسوق المرءَ إلى الغضب والحمق وانفعال الجسد المُهلك.

وانظر مَن أعرضَ عن ذكر الله ما يكون حاله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٣٦، ٣٧].

من أمضى الأسلحة التي لا تفارقك، ذكر الله، فهوه سلاحٌ ماضٍ ويُمضي أيَّ سلاح يُرفَع فوْقَه، ويهدِم أيّ سلاح يقف أمامه، فبِهِ سقط السيف من يد غورثِ بنِ الحارثِ حتَّى قامَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالسَّيفِ حين قال: من يمنعك منّي؟ فقال ﷺ: (الله)، وبه لم يمسَّ المسلمين أيّ سوء حين جمع الناس لهم فقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمران: ١٧٣]، وبه نجا إبراهيم عليه السلام من النار حين قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمران: ١٧٣]، وهو ما وصّى الله به موسى وهارون عليهما السلام حينما أمرهما بالذهاب بآيات الله إلى فِرْعَوْن الطاغية، لينتزعا منه بني إسرائيل، وليردّوه عن طغيانه بأن يؤمن بالله، ولا عدّة لهم، ولا عدد، ولا سلاح؛ وهو مدجَّج بالعَتاد، والجُنْد، والأسلحة ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۞ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٢، ٤٣]، وقد كانوا على خوف من ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] وقد جمعَ السلاحَ والجُنْدَ؛ وبه نجّى الله الغلامَ حين أراد المِلِكُ الظالمُ قتْلَه بإلقائه من أعلى

الجبل وبإلقائه في البحر؛ ولم يمضِ فيه السهم إلّا بعد أن ذُكر اسمُ الله على السهم؛ وبه تنهدِمُ الحصونُ حين يقول المسلمون (لا إلَهَ إلّا الله. الله أكبر) إذ يحاصِرون المشركين آخرَ الزمان؛ وبه تُحفَظ من الشيطان؛ وبه يتصاغر الشيطان حتى يكونَ كالذباب؛ وبه يُمضي الله عملَك، ويبارك لك فيه، ويكْمِلُه لك إذ تبدأ فيه بـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ).

والآن، مع بعض جوامع الذكر والدعاء التي لا تستطيع الحياة من دونها:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إن أردتَ أن يُمضيَ اللهُ لكَ ما تفعل، فعليكَ بالبدء فيه بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:١]، فقد قال الرسول ﷺ: (**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأُ فيه ببسم اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وبـ الحمدُ للهِ، أو بحمدِ اللهِ، أو بذِكرِاللهِ، فهو أجذَمُ، أو أقطَعُ، أو أبتَرُ.**) أخرجه ابن دقيق العيد في شرح الأربعين لابن دقيق (١٤) بإسناد صحيح، ورواه أصحاب السنن بأسانيد ضعيفة.

فبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إقرارٌ باللهِ ربًّا، وإلَهًا، وتضرُّعٌ إليه، وتوكُّلٌ عليه.

الرَّحْمٰنِ على وَزْن فَعْلان (مثل شبعان) وهو مَن امتلأ رحمةً، فرحمتُه عامّة لكلِّ خَلْقِه، فهو ربّ العالمين، وهو الخالق، وهو أعلم بحال خَلْقِه وضعْفهم وحاجتهم إليه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلْك:١٤]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، فأمدّهم (مؤمنَهم وكافرَهم) ورزقَهم بما يُقيم حياتَهم، ولم يمنعْهم ما يصلِحُ أمْرَهم (انظر سورة الرَّحْمٰن ونِعَمَ ربوبيّة الله على خَلْقِه كلِّهم وعاقبةَ مَن اغترّ برحمة الرَّحْمٰنِ فعصى الرَّحْمٰنَ، وعاقبةَ مَن أطاعه) فالله الرَّحْمٰنُ، إقرارٌ باللهِ الربّ الرَّحْمٰنِ، وحاجةِ كلِّ الخَلْقِ إليه لضعفهم، وافتقارهم، واعتمادهم عليه، فهو يرزقُ المؤمنَ والكافرَ في الدنيا، لرحمتِه العامّة، ولربوبيّته العامّة لهم.

اللهُ الرَّحِيمُ هو رحيمٌ رحمةً خاصّة بالمؤمنين الذين أطاعوه، وعبدوه، ووحّدوه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فينصرهم، وينجّيهم، ويهديهم سواء السبيل على ما كان من تقصيرهم في عبادته، فلن يستطيعوا أن يقدُروا اللهَ حقَّ قدْرِه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ (إقرارٌ واستعانةٌ بالله الربّ، الرَّحْمٰنِ، وحاجة كلِّ البشر إليه لضُعفهم وافتقارهم إليه). بِسْمِ اللهِ الرَّحِيمِ

(إقرارٌ واستعانةٌ باللهِ الإلَهِ الرَّحيمِ الذي تعبُدُه بعملك، وقولك، ومعتقدك، فلا إلَهَ إلّا هو، ويُعينك على عبادتك إيّاه، وينصرُك، وينجّيك، مع تقصيرك في عبادتك له، فما قَدَرْتَهُ حقَّ قَدْرِه).

التقدير يكون بـ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أفعلُ كذا (مثال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أتعلّم هذا الأمرَ، فإنّ ربِّي هو العليم الحكيم، أي أتوجّه إلى الله مع ضعفي وتقصيري، فهو الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، أن يُعينَني على تعلُّمِ ذلك الأمر، وأن يتقبَّلَه منّي عبادةً له، وأن يكفيَنيهِ؛ فهو أهلٌ لأنْ أتوكَّلَ عليه وَحْدَه في ذلك الأمر، فهو العليمُ الحكيمُ، والأمرُ كلُّه منه وإليه): ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود:٤١].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: بالله (بعوْنه وتوفيقه ورعايته) أفعلُ كذا، داعيًا إيّاه، ومتوكّلًا عليه، ومعتمدًا عليه، مع ضُعفي، وتقصيري، فهو الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، وهو مَن يُتَوَكَّلُ عليه في كلّ أمر، فله الأسماء الحُسنى، وهو مَن يُبْتغَى فضله ورضوانه من ذلك العمل، فهو الربُّ الكبير العظيمُ الأعلى.

هي، إذًا استئذان لله أن يأذنَ لك أن تفعلَ في مُلْكِه أيَّ أمر عَلّهُ أن يُجْرِيَه على يديك، هي تضرُّعٌ، واستعانةٌ، وتوكُّلٌ على الله أن يعينَك على عبادته، هي إقرارٌ بضُعفك، وحاجتِك إلى ربِّكَ الرَّحْمٰنِ أن يتغمَّدَكَ برُبوبيّته التي ما وَفَّيْتَ حقَّها وشُكْرَها، وإقرار بتقصيرِكَ وحاجتِكَ إلى عفو ربِّكَ الرَّحِيمِ ومغفرته أن

يهديَك، وينصُرَك، ويكفيكَ، فأنت تعبُده وَحْدَهُ بعملك أنّه لا إلَهَ إلّا هو؛ هي إقرار بأسماء الله الحُسنى كلِّها، فاللهُ أهلٌ لأن يُتَوَكَّلَ عليه، لأنه هو العليم الحكيم القدير الغنيّ...

هي إقرار بأنّ أحدًا لا يملك شيئًا من أمر الله، وأنّ الأمرَ كلَّه لله، وهو الرَّحْمٰنُ الذي برحمته العامّة رَحِمَ جميعَ الخَلْق، فهم لا يقدرون على شيء من أمر الله؛ وهو الرَّحِيمُ الذي برَحْمَتِه الخاصّة زاد مَن آمَنَ به، وكان على أمره، مزيدَ معيّةٍ، وتوفيقٍ، ونصرٍ، وهدايةٍ، وثواب: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِه وسلِّمْ

إنْ أردتَ أن يصلِّيَ اللهُ تعالى وملائكتُه عليك، وإنْ أردتَ قيراطًا من الجنّة مِثْلَ جبل أُحُد، وإن أردتَ شفاعةَ النبيِّ ﷺ، وإن أردتَ أن تكون الأقربَ منه منزلةً، وإنْ أردتَ اللهَ أن يكفيَكَ همَّكَ، ويغفِرَ لك ذنبَكَ، ويرفعَ لكَ درجتَكَ؛ فصَلِّ على النبيِّ ﷺ كما أمرك الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، (**مَنْ صَلَّى عليَّ واحِدَةً، صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا.**) رواه مسلم في صحيحه (١١)، (**مَنْ صَلَّى عليَّ صَلاةً واحدةً، صَلَّى اللهُ عليه عَشْرَ صَلَواتٍ، وحَطَّ عنهُ بها عَشْرَ سَيِّئاتٍ، ورَفَعَهُ بها عَشْرَ درَجاتٍ.**)

رواه النَّسائي (١٢٩٧)، وإسناده صحيح، (**إنَّ أَوْلَى النّاسِ بي يَوْمَ القيامةِ أَكْثرُهُم عَلَيَّ صلاةً.**) رواه الطَّبَراني في الكبير (٩٨٠٠)، وهو صحيح، (كان رسولُ الله ﷺ إذا جاء رُبْعُ الليلِ قام فقال: أيّها الناس! اذكروا الله، أيُّها الناس اذكروا الله، جاءت الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جاءت الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جاء الموتُ بما فيه. فقال أُبَيّ بن كعب: **فقلتُ: يا رسولَ الله! إني أُكْثِرُ الصلاةَ عليكَ، فما أجعلُ لكَ مِن صلاتي؟ قال: ما شِئت، قلتُ: الرُّبع؟ قال: ما شِئت، وإنْ زِدْتَ فهو خير. قلتُ: النِّصف؟ قال: ما شِئت، وإنْ زِدْتَ فهو خير لك. قلتُ: الثُّلُثَيْن؟ قال: ما شِئت، وإنْ زِدْتَ فهو خير. قلتُ: أجعلُ لكَ صلاتي كلَّها؟ قال: إذًا، يكفي همَّك ويغفر ذنبك.**) رواه التِّرْمِذي (٢٤٧٥)، وإسناده حسن، (أَكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصَّلاةِ في يومِ الجُمُعةِ؛ فإنَّ صَلاةَ أُمَّتي تُعْرَضُ عليَّ في كلِّ يومِ جُمُعَةٍ، **فمَنْ كان أكثرَهُمْ عليَّ صَلاةً؛ كان أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**) رواه البَيْهَقي في شُعَب الإيمان (٢٧٧٠)، وإسناده حسن، (**رَغِمَ أَنْفُ رَجلٍ ذُكِرْتُ عِندَه فلَمْ يُصلِّ عليَّ**، ورَغِمَ أنفُ رَجُلٍ دخلَ عليه رَمَضانُ ثُم انْسَلَخَ قبلَ أن يُغْفَرَ لهُ، ورَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ أدركَ عِندَه أبواهُ الكبَرُ فلمْ يُدْخِلاهُ الجنّةَ.) أخرجه التِّرْمِذي (٣٥٤٥)، وإسناده حسن، (أتاني آتٍ مِن عندِ ربّي ﷻ، فقال: مَنْ صلَّى عليكَ مِن أُمَّتِكَ صلاةً، كتَبَ اللهُ له بها عَشْرَ حَسَناتٍ، ومَحا عنه عَشْرَ سَيِّئاتٍ، ورَفَع له عَشْرَ دَرَجاتٍ، وردَّ عليه مِثْلَها.) رواه

السَّيوطي في الجامع الصغير (٩١) بإسناد صحيح، (**مَن صَلَّى عليَّ صَلاةً لَمْ تَزَلِ الملائِكةُ تُصَلِّي عليْهِ ما صَلَّى عليَّ، فليُقِلَّ عبدٌ من ذلِكَ أو ليُكثِر.**) أخرجه أحمد (١٥٦٨٠)، وإسناده حسن، (**مَنْ صَلَّى عليَّ صَلاةً كَتَبَ اللهُ لَه قيراطًا، والقيراطُ مِثْلُ أُحُدٍ.**) أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (١٥٣)، وهو حَسن، (**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حينَ يُصبِحُ عَشْرًا، وحين يُمسي عَشْرًا أدركتْهُ شفاعتي يومَ القيامة.**) رواه الطَّبَراني، وإسنادُه حسن.

فصَلِّ وسلِّم على رسول الله ﷺ كما علَّمَك: (يا رسولَ الله، أمّا السلامُ عليك فقد عرَفْناه، فكيف الصلاةُ؟ قال: «قولوا: **اللّهُمَّ صَلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ، إنك حَميدٌ مَجيدٌ، اللّهُمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على إبراهيمَ، إنكَ حَميدٌ مَجيدٌ.**») أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٩٨).

سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر

بها تسبِق مَنْ سَبَقَ بحجٍّ، وعمرةٍ، وجهادٍ، وصدقاتٍ، ودرجات؛ وتزداد صدقاتُك، وتقوَى وَحْدَكَ على العمل الذي لا يقوم به أحد وَحْدَهُ، بل يحتاج إلى أكثر من واحد للقيام به: (جاء الفقراءُ إلى النبيّ ﷺ فقالوا: ذهبَ أهلُ الدُّثورِ منَ الأموالِ بالدرجاتِ العُلا والنعيمِ المقيمِ: يُصلّون كما نُصلّي، ويصومونَ كما نصومُ، ولهم فضلٌ من أموالٍ يحجُّونَ بها ويعتمِرونَ،

ويُجاهدونَ ويتصدَّقونَ. قال: «**ألا أُحدِّثُكــمْ بأمرٍ، إن أخذتُمْ بهِ، أدركْتُم مَن ســبقَكمْ، ولمْ يُدْرِكْكُمْ أحدٌ بَعْدَكُم، وكنتُمْ خيرَ مَنْ أنتمْ بيــنَ ظهرانَيهِ، إلّا مَــن عَمِلَ مِثْلَــهُ؟ تُســبِّحونَ وتحمُدونَ وتكبِّرونَ، خلفَ كلِّ صلاةٍ، ثلاثًــا وثلاثينَ**.» فاختلفْنا بيننا، فقال بعضُنا: نسبّحُ ثلاثًا وثلاثينَ، ونحمُدُ ثلاثًا وثلاثينَ، ونكبّرُ أربعًا وثلاثينَ، فرجعْتُ إليهِ، فقال: «تقولُ سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، واللهُ أكبرُ، حتى يكونَ منهنَّ كلِّهنَّ ثلاثًــا وثلاثينَ.») أخرجه البخاري في صحيحــه (٨٤٣)، (أنَّ ناسًــا مــن أصحابِ النبــيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ! ذهب أهلُ الدُّثورِ بالأُجور. يُصلُّون كما نصلّي، ويصومون كما نصومُ، ويتصدَّقون بفُضولِ أموالهم. قال: «أوَ ليس قد جعل اللهُ لكم ما تَصدَّقون؟ **إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صَدَقةٌ. وكلُّ تكبيرةٍ صدقــةٌ. وكلُّ تحميدةٍ صدقــةٌ. وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ.** وأمرٌ بالمعروفِ صَدَقةٌ. ونَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقةٌ. وفي بِضْعِ أحدِكم صَدَقةٌ.» قالوا: يا رسولَ اللهِ! أيأتي أحدُنا شَــهْوَتَه ويكون لهُ فيها أَجرٌ؟ قــال: «أرأيتمْ لو وَضَعهــا في حرامٍ أكان عليــه فيها وِزرٌ؟ فكذلك إذا وضَعها في الحلالِ كان لهُ أجْرًا.»)، رواه مســلم في صحيحه (١٠٠٦)، وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: (**أنَّ فاطمةَ عليها السلام شكتْ ما تَلقى في يدِها من الرَّحى، فأتت النبيَّ ﷺ تســألُه خادمًا**، فلم تَجِدْه، فذكرتْ ذلك لعائشــةَ، فلمّا جاء أخبرَتْه، قال: فجاءنا وقد أخذْنا مضاجعَنا، فذهبــتُ أقومُ، فقال: (مكانَــكِ.) فجلس بيننا

حتى وجدْتُ بَـرْدَ قدمَيه على صدري، فقـال: (**ألا أدلُّكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويتُما إلى فراشِـكما، أو أخذتما مضاجعَكما، فكبِّرا ثلاثًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمِدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادمٍ.**) وعن شُـعْبَةَ، عن خالدٍ عن ابنِ سيرينَ قال: التسبيحُ أربعٌ وثلاثونَ.) أخرجه البخاري في صحيحـه (٦٣١٨)، فبعد أن أخـذا بكلام النبـيّ ﷺ قَويَتْ على العمل وما احتاجت إلى خادم.

سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ العظيم

إن أردتَ التقـرُّبَ إلى الله بمـا يحبّ مِن كَلِمـات، وازديادَ ميزانِكَ بالحسنات، وازديادَ غرْسِ جنَّتِكَ بالنخيل، فقلْ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ العظيم، (كَلِمتانِ خفيفتانِ على اللِّسانِ، ثقيلتان في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرَّحْمٰنِ: **سُـبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُـبْحانَ اللهِ العَظيمِ.**) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، (مَنْ قال: **سُـبْحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمْدِهِ،** غُرِسَـتْ لهُ بِها نخلةٌ في الجنّةِ.) رواه التِّرْمِذي (٣٤٦٤)، وإسناده صحيح.

لا إلَهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبر

إن أردتَ أن تجدِّدَ الإيمان في قلبك، فَتَثْبُتَ، وتَقْوَى، وتَعْلُوَ، وتُعَزَّ، ويذهبَ عنك الوهن والحزن، وتتسـاقط أمامَكَ الحواجز والعوائق والصعاب فتعلو عليها ويُفرَج لـك، فقل: لا إلَهَ إلّا الله

والله أكبر: (**جـدِّدوا إيمانكم، أكثِـروا من قول لا إلَـهَ إلّا الله.**) أخرجه السَّـيوطي في الجامع الصغير (٣٥٨١) بإسـناد صحيح؛ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فالقـول الثابت هو لا إلَـهَ إلّا الله، ﴿**وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عِمـران: ١٣٩]؛ (سـمعتُم بمدينةٍ جانبٌ منهـا في البرِّ وجانبٌ منهـا في البحرِ؟ قالوا: نعم يا رسول اللهِ! قال: لا تقومُ الساعةُ حتى يغزوَها سبعونَ ألفًا من بني إسـحاقَ، فإذا جاؤوها نزلوا **فلم يقاتلوا بسلاحٍ ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إلَهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر، فيسقطُ أحد جانبيْها.** قال ثورٌ: لا أعلمُه إلّا قال الذي في البحرِ، **ثم يقولوا الثانيةَ لا إلَهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر، الله أكبر، فيسقطُ جانبُها الآخَرُ، ثم يقولوا الثالثةَ لا إلَهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر، فيفرَّجُ لهم فيدخلوها فيَغْنَموا،** فبينما هم يقتسمونَ المغانمَ إذ جاءهم الصريخُ، فقال: إنَّ الدجّالَ قد خرج، فيتركون كلَّ شـيءٍ ويرجعـونَ.) رواه مسـلم (٢٩٢٠)؛ فالإيمان سـيعود في القلوب مرّة أخرى كما كان في قلوب مَن سـبقونا بالإيمان، حتى تُزلـزِل لا إلَـهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ حصـونَ العدوّ وتهدمها وتدكّها، إذ تخرج من القلوب صادقةً، وقد رسخت فيها وأثمرت، وتبرمجت عليها، وأُشربت بها.

الاستغفار والتوبة

إن أردتَ المتاع الحسنَ وخيرَ السماء وما فيه من ازدياد الرزق، وإن أردتَ ازدياد القوّة والأموال والأولاد والجِنان، فعليك بالاستغفار والتوبة، فقد كان ﷺ يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة: (**واللهِ إنِّي لَأستَغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أَكْثرَ مِن سَبعينَ مرَّةً.**) أخرجه البخاري (٦٣٠٧)، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ**﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود: ٣]، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠، ١١]، (**سيِّدُ الاستِغفارِ أن تقولَ: اللَّهُمَّ أنتَ ربِّي لا إلَهَ إلّا أنتَ، خَلقتَني وأَنا عبدُكَ، وأَنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بِكَ من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لَكَ بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ لَكَ بذنبي فاغفِر لي، فإنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ إلّا أنتَ.** قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ موقنًا بِها، فماتَ مِن يومِهِ قبلَ أن يُمْسِيَ، فَهوَ مِن أَهْلِ الجنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيلِ وَهوَ موقنٌ بِها، فماتَ قبلَ أن يُصْبِحَ، فَهوَ مِن أَهْلِ الجنَّةِ.) أخرجه البخاري في (٦٣٢٣).

لا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بالله

إن أردتَ كنزًا من كنوز الجنة، وإن أردتَ دواءً مِن تسعة وتسعين داءً فقلْ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بالله.

هي كلمة استعانة وليست كلمة استرجاع.

هي كلمة إسلام واستسلام وتفويض واستعانة وتوكّل.

هي تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أنّ كلمة التوحيد تعني الإخلاص لله وحده بالعبادة، وقد تضمَّنَت الفاتحة الكلمتين في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فالعبادة متعلّقة بالألوهيّة، والاستعانة متعلّقة بالربوبيّة: (كنّا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فجعل الناسُ يجهرون بالتَّكبيرِ، فقال النبيُّ ﷺ: «يا أيُّها الناسُ! أرْبَعوا على أنفُسِكم. إنكم ليس تدعون أصمَّا ولا غائبًا. إنكم تدعون سميعًا قريبًا. وهو معكم.» قال وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حولَ ولا قُوّةَ إلّا بالله. فقال: «يا عبدَ اللهِ بنَ قَيس! **ألا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ من كنوز الجنّةِ؟** «فقلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ! قال: «**قلْ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله.**) رواه البخاري في صحيحه (٤٢٠٥)، ومسلم في صحيحه (٤٤)، (**لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله، دواءٌ مِن تسعة وتسعين داء، أيْسَرُها الهمّ.**) رواه السَّيوطي في الجامع الصغير (٩٨٧٩) بإسناد حسَن، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٨٦)؛ فإذا رأيتَ الداء يتسرّب إلى قلبك مِن وهَن، وشكّ، وضعف، وهوان، وهمّ، وغمّ، وحزن، وقلق،

واكتئاب، وغير ذلك، فسارع بلا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلّا بالله، تردِّدها، يقينًا بها، حتى يذهبَ ما تَجِد.

لا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلّا بـالله؛ تذكّر قدرة الله عليك، وتذكّر قدرة الله على عباده.

جاء مالكٌ الأشجعيُّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: أُسِر ابني عوفٌ. فقال: أرسِلْ إليه أنَّ **رسولَ اللهِ ﷺ يأمرُك أن تُكْثِرَ مِن قَوْلِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ، فأتاه الرسولُ فأخبره، فأكبَّ عوفٌ يقولُ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ**، وكانوا قد شَدُّوه بالقِدِّ، فسقط عنه؛ فخرج فإذا هو بناقةٍ لهم فركِبها، فأقبل فإذا هو بسَرْحِ القومِ، فصاح بهم، فأتْبَعَ آخرُها أوَّلَها، فلم يَفْجأْ أبوَيْه إلّا وهو ينادي بالبابِ، فقال أبوه: عوفٌ وربِّ الكعبةِ! فقالت أمُّه: واسَوْأتاه وعوفٌ كئيبٌ بألمِ ما فيه من القِدِّ! فاستبق الأبُ الخادمَ إليه فإذا عوفٌ قد ملأ الفناءَ إبلًا، فقصَّ على أبيه أمرَه، وأمْرَ الإبلِ، فأتَى أبوه رسولَ ﷺ فأخبره بخبرِ عَوْفٍ وخبرِ الإبلِ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ اصنعْ بها ما أحببتَ، وما كنتَ صانعًا بإبلِك، ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٦٧)، مع علّة في إسناده أنّ محمد بن إسحاق لم يدرك مالكًا.

أعوذ بالله (السميع العليم) من الشيطان الرجيم

إن أردتَ أن يحفظكَ الله من وساوس الشياطين (بما فيهم

شـــياطين الإنس) لِيُزِلَّ قدمَك إلى معصيـــة الله، وليُوقِع في قلبك الداء والمرض، وليُوقِف تَبَرْمُج نفسِك بالإيمان فيجفَّ الإيمان في قلبك، ويقسوَ بعدَ أن أُشـــرب به، فتعوَّذْ بالله (السميع العليم) من الشـــيطان الرجيم: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعـراف:٢٠٠]، واعلم أنّ كيد الشـــيطان ضعيف، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦]، ولا ســـلطان له إلّا على مَن يخافونه (لأنهم صدّقوه واعتقدوا فيه وآمنوا به فخافوه)، ويتولّونه (لأنهم أرادوا الفساد مثله فصاروا من أوليائه)، فهو ســـلطان الخوف ممن أشـــركوا به، وســـلطان إرادة الفساد حرصًا على الدنيا، يقينًا بها، وحرصًا على العلوّ في الأرض كِبْرًا، لا سلطان الجبر والقهر والغلبة: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحـل:٩٨-١٠٠]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافـر:٥٦]، وليـــس لـــه ســـلطان على المؤمنين؛ لأنهـــم آمنوا بالله وحده، وكفـــروا بالجِبت والطاغوت، وأرادوا الآخرة وما يقرّب إليها من الأعمال الصالحة لا الفاســـدة:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]، (استبَّ رجُلانِ عند النبيِّ ﷺ، فجعل أحدُهما يغضَبُ ويحمرُّ وجهُه. فنظر إليه النبيُّ ﷺ فقال: «**إني لَأعلمُ كلمةً لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم.**» فقام إلى الرجلِ رجلٌ ممّن سمع النبيَّ ﷺ فقال: أتدرون ما قال رسولُ اللهِ ﷺ آنفًا؟ قال: «إني لَأعلمُ كلمةً لو قالها لذهبَ ذا عنه: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ.» فقال له الرجلُ: أَمَجنونًا تراني؟) رواه البخاري في صحيحه (٦٠٤٨) ومسلم في صحيحه (١١٠)؛ (أنَّ عثمانَ بن أبي العاصِ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، **إنَّ الشيطانَ قد حال بيني وبين صلاتي وقراءَتي، يُلَبِّسُها عليَّ.** فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذاك شيطانٌ يُقالُ له خَنزَبٌ. فإذا أحسَسْتَه فتعوَّذْ بالله منه.** واتفُلْ على يسارِك ثلاثًا.» فقال: ففعلتُ ذلك فأذْهَبَه اللهُ عني.) رواه مسلم (٦٨).

إن خفت شيئًا فافزع إلى قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا **وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ [آل عمران:١٧٣]، فقد قال الله بعدها: ﴿**فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ** وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤].

(عن ابن عباسٍ: **حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، قالها إبراهيمُ عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النارِ**، وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا **وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ [آل عِمران: ١٧٣] رواه البخاري في صحيحه (٤٥٦٣)، فماذا بعد أن أُلْقِيَ إبراهيم في النار؟ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩].

إن علمتَ أنه مَكَرَ بكَ أحد فقل: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]، فقد قال الله بعدها: ﴿ **فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟** وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

إن أصابك غمّ فقل: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقد قال الله بعدها: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

إن أردت حفظ دنياك فقل: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف: ٣٩]، فقد قال الله بعدها لمن لم يقلها: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا** وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢].

أكثِرْ مِن ذكر الله تكُن مؤمنًا صادقَ الإيمان، واعلمْ أنّ المؤمن عاقل فَطِن، فالمؤمنون هم أولو الألباب والعقول لأنهم يُكثرون مِن ذِكر الله في كلّ أحوالهم، ويتفكّرون في آياته تعالى، وأمّا الكافر والمنافق فلا عقل لهم، فاحذر أن تكون من المنافقين، فهم لا يذكرون الله إلّا قليلًا، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]؛ وأمّا الكافرون والمنافقون فهم لا يعقلون ما يسمعون وما يبصرون، فهم أضلّ مِن الأنعام ولا يذكرون الله إلّا قليلًا: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٧١]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

كلّما مرّ عليك وقت لا تفعل فيه شيئًا، فاذكر الله بأحد الأذكار تكرّره وتنتقل منه إلى غيره، فبِذِكر الله يتجدّد إيمانُك فيتشرّبُه قلبُك، وتَثْبُت وتَقْوَى على الحق، وبه تتحصّن، وبه تُحفَظ من وساوس الشيطان، وتَقْوَى على العمل بعد ذلك، ويفرِّج الله همَّك، وتُقضى حاجتُك، وتُرفَع درجاتُك، ويثقُل

ميزانُك، ويُصــرَف عنك ما قد تحــذر، فالنفس إن لم تشــغَلْها بالخير شغَلَتْك بالشــرّ حتى يُنْقَضَ غَزْلُك من بَعْدِ قُوّة، فذِكْر الله أمْرُه أكبــرُ ممّا تظن، فتدبَّرْ معناه، واعبُدْ بــه ربَّكَ الكبير العظيم الأعلى بنيّة ما تريــد، يَقْضِ اللهُ لــك بما تريــد، فإنما الأعمال بالنيّات: (جاء أعرابيّانِ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال أحَدُهما: يا رسولَ اللهِ، أخبِرْني بأمرٍ أتشبَّثُ به. قال: (**لا يزالُ لسانُكَ رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللهِ**)) أخرجه ابن حِبّان في صحيحه (٨١٤).

❋❋❋

خاتمة

والآن، لماذا تجهد نفسك بالتدرّب والممارسة والتركيز هكذا؟!

هي ذكرى ومحاولة لمعالجة انفصام الشخصيّة الديني؛ فإنك ترى المرء يدخل في الصلاة بحيث تراه يكبّر الله، ويقف بين يديه، ويركع تعظيمًا ورضًى بربوبيّته، ويحمَدُه على نِعَمِه وقِسْمَته، ويسجد خضوعًا وتقرّبًا إليه سبحانه، ويستغفره، ويعاهده على عبادته موحّدًا إيّاه، على نهج نبيّه ﷺ بشهادته قبل الفراغ من صلاته أن لا إلَهَ إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ويخرجُ، وما أدرَكَ ما كان فيه، وما أدرك معنى إكبار الله، ولا تعظيمه ولا الخضوع إليه، ولا أثر لذلك فيه، فيسعى في حياته بعد صلاته بلا إكبارِ لله، فيُلقي كلامَ الله وراء ظهره، ولا يعظِّم شعائر الله، ولا يرضى، ولا يعظّم، ولا يحمَد كمالَ ربوبيّته، ولا يتوجّه إلى الله في كلّ أمره، خضوعًا وتقربًا وتوكُّلًا عليه أنه هو الإلَه الأعلى سبحانه، ويترك عبادةَ الله ويترك نَهْجَ نبيّه ﷺ في جُلِّ أمره، فأيُّ فِصام دينيّ أكبرُ مِن هذا!

فعِشْ تلك المعاني في صلاتك لِتُحْيِيَ صلاتَك بها؛ وبتكرارها يتشرّبها قلبُك، وتتطبّع نفسُك عليها، فتتبرمج بها، فتحيا بها في حياتك كلِّها، فبالإيمان تحيا نفسُك، ولا تكن صلاتُك دندنة لفظيّة لا تتعدّى لسانك وحَنجرتَك، ولا تكن تمارينَ عضليّة من دون معنى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فكما أنّ الطعام غذاء الجسد؛ إن صلح صلح الجسد، وإن فسد مرض الجسد، وإن قلّ ضَعُفَ الجسد، وإن مُنِعَ مات الجسد؛ وكما أنّ القراءة غذاء العقل؛ إن صلحت صلح العقل، وإن فسدت فسد العقل، وإن قلّت ضَعُفَ العقل، وإن عُدِمَت عُدِمَ العقل؛ فإنّ الصلاة غذاء الإيمان؛ إن صلحت قويَ الإيمان، وإن فسدت فسد الإيمان، وإن عُدِمَتْ أو قُطِعَتْ عُدِمَ الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ (كنتُ معَ النَّبيِّ ﷺ في سفَرٍ، فأصبَحتُ يومًا قريبًا منهُ ونحنُ نَسيرُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أخبِرْني بعمَلٍ يُدخِلُني الجنَّةَ ويباعِدُني من النّارِ، قالَ: لقد سألتَني عَن عظيمٍ، وإنَّهُ لَيَسيرٌ على مَن يسَّرَهُ اللهُ علَيهِ، تعبُدُ اللهَ ولا تشرِكُ بِهِ شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ، ثُمَّ قالَ: ألا أدلُّكَ

على أبــوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّــةٌ، والصَّدَقةُ تُطفــئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النّــارَ، وصلاةُ الرَّجلِ من جوفِ اللَّيــلِ، قالَ: ثمَّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الســجدة:١٦]، حتَّى بلغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السـجدة: ١٧]، ثــمَّ قــالَ: **ألا أُخْبِرُكُم بِــرَأسِ الأَمرِ كلِّهِ وعمودِهِ**، وذِروةِ سَــنامِهِ؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ، قالَ: **رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ**، وذِرْوَةُ سَنامِهِ الجِهادُ، ثمَّ قالَ: ألا أُخْبِرُكَ بمِلاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ، قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللهِ، وإنّا لَمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقــالَ: ثَكِلَتْكَ أمُّــكَ يا مُعاذُ! وَهَــل يَكُبُّ النّاسَ فــي النّارِ على وجوهِهِــم، أو علــى مَناخرِهِــم، إلّا حَصائدُ ألسـنتِهِم؟) أخرجه الألباني في صحيح التِّرْمِذي (٢٦١٦) بسند صحيح.

هــي ذكــرى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

هي ذكرى لمن أراد تزكية نفسه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ** ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

هي ذكرى لمــن أراد أن يحيى حياة حقيقيّــة، عزيزًا بالدين قويًّــا غنيًّــا: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

هي ذكرى، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

هي ذكرى لمن أراد أن يصلح ما بنفسه ليُصْلِحَه الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾ [الرعد: ١١].

إذا نظرتَ أدركتَ أنَّ جُلَّ عبادتك لله في نفسِكَ، ومع خَلْقه، وكوْنه، تدور حول كوْنِ الله هو الكبير، العظيم، الأعلى، الرحمٰن، الرحيم.

العبادة

اِعلم أنّ العبادة هي كلّ ما يورِثُ الذلّةَ لله، والتضرُّع والحبّ، لا ما يورِثُ تعاليًا في النفس، وعلى خَلْقِ الله، وأمنًا من مكر الله، وإعراضًا عن أمر الله، بأنك قد وفَّيت الله قدْرَه، وقابلتَ فضْلَه، فالعبادة هي التذلّل لله ﷻ بفِعل أوامرِه، واجتناب نواهيه، محبّةً له، وتعظيمًا، ورغبةً ورهبةً.

فمَن كان معتزًّا بسوء فعله، ومعاصيه، وبطاعته للطواغيت، محبًّا لفساده ولإعراضه عن ربّه، فكنْ أنتَ أشدَّ حبًّا لله، وأكثرَ اعتزازًا باتّباع شرع ربّك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [البَقَرة: ١٦٥].

فكلّما زادت معرفتُك بربِّك، زاد حبُّك له، ومِن ثَمَّ تلذَّذْتَ بالعمل بما يحبّ طاعةً وقربةً له، وتلذَّذْتَ كذلك بالتقرّب منه وبمناجاته، فالتلذُّذ بالأمر يجيء من محبّته. وليس المُحبّ للدنيا كالمُحبّ لله، فالدنيا لن تدوم لك، ولن تعطيك ولن تخلوَ من منغِّصات.

واعلم أنَّ الإيمان، به تذوق حلاوة العيش وطيبَه، وبه تذلَّل لك الصعاب، وتندكُّ الحواجز، وبه تنال العزّة والكرامة، وبه تبلغ أعلى الدرجات، وتنال كلّ ما تريد من خير، وبه تُحفَظ من كلّ شرّ، فلا جمْع، ولا تحزّب، ولا عَتاد، ولا سلطان، ولا جاه، ولا أيّ شيء يوازي الإيمان؛ فكلّما صرتَ قريبًا من الكبير، كَبُر أمْرُك، وقدْرُك، وذكرُك لتشرُّبك من كلام الكبير وعلْمه وحكمته؛ وكلّما صرتَ قريبًا من العظيم، اطمأنّ قلبُك، ورَضيَت نفسُك، وعَظُم أمرُك؛ وكلّما صرتَ قريبًا من الأعلى، صرْتَ ذا عزّة ومنعة وعلوّ.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۞ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا

﴿ عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨]، فلا تغترّ بتقلُّب الذين كفروا في البلاد، وما ملكوها، وما شاركوا الله في ملْكها، وما ذاقوا حلاوتها، فما تمتُّعهم بها إلّا لاغترارهم بها، فيغضّوا الطَّرْف عن حقيقتها لتتوهّم نفوسُهم بالتمتّع بها، فحتى ورْدُها له شوك، وحتى جِنانُها وحدائقها كلّها حشرات وزواحف، وما ظنّوا أنه متاحٌ لهم وملْكٌ لهم، فهو زائلٌ قريبًا، وما ذاقوا نعيم الدنيا الخالص: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]، فنعيمها:

أن تدرك أنّ اللهَ ربُّك وربُّ كلِّ أحد، وربُّ كلِّ شيء، فأيُّ شيء يعوزُك وأيُّ شيء تريد فالله ربُّك يأتيكَ به، لأنه ربُّه كذلك، المالكُ له، المتصرِّف فيه؛ وكلُّ مَن ظلَم وجهِل وتعدّى شكَوْته إلى الله ربِّك، وهو ربُّه كذلك، المحاسِب، والمُجازي له، فيقضي بينكما، أفلا يستحقّ ربُّك أن يكون هو مَن تحبّ؟

أن تكون قريبًا ممَّن تحبّ، وتزداد منه قربًا يوما بعد يوم: (**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجَد حلاوَةَ الإيمانِ**: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممّا سِواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا للهِ، وأن يَكرهَ أن يَعودَ في الكُفرِ كما يَكرهُ أن يُقْذَفَ في النارِ.) رواه البخاري (١٦).

أن تُعَدَّ لك دار فيها كلُّ ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعْيُن في

جِنانٍ من دون منغِّصات ومن دون زوال، توشكُ أن تنتقلَ إليها: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۞ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكۡوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزُّخْرُف: ٧٠، ٧١].

تعهَّدْ نفسَك بالرعاية

اعلم أنّ أيّ آفة، أو علّة، أو مرض يطرأ على نفسِك تعالجُه بإذن الله بأن تجدَ ما تسرّب إلى نفسك ورسخ واستقرّ فيها من معنًى فاسد تولَّدت تلك الآفَة أو العلّة أو المرض منه، فتستبدله بمعنًى صحيح صريح من معاني الإيمان بالله ممّا هو في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فتردِّده في نفسك وفي صلاتك، وتذكر الله به، وتعمل بمقتضاه لمدّة شهر، فتذهب، بإذن الله، تلك العلّة من نفسك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونُس: ٥٧].

إن كان هناك ضعف في إيمانك، أو مرض في نفسك، أو وَهَن في قلبك، فاعلم أنّ هناك خللًا ما في صلاتك وصَدقَتِك وذِكْرِك لله.

هل أدركتَ أنك إن صلُحَتْ صلاتُك صلُحَتْ نفسُك، وصَلُحَ إيمانُك، وصَلُحَ عملُك لكونكَ تجعلُه تنفيذًا لأمر الله ـ ربِّك الكبير ـ وولاءً له، وإكبارًا له، ولكونكَ تجعلُه شكرًا ورضًى

بربوبيّة ربِّــك العظيم، في ما تعهَّدك بــه، ولكونكَ تجعلُه قربى لربِّك الأعلى، تتضرّع به إليه، وتخضع به إليه سبحانه، وتتوكَّل عليه، فيكون عملُكَ موافقًا لشــرْع ربِّك شــكرًا له، وقربى إليه، عملًا بصلاتــك حيث أكبــرتَ ربَّــكَ الكبير، ورضيــتَ بربِّكَ العظيم، وخضعتَ لربِّك الأعلى. أمّا مَن لم يصلِّ لله، ولم يحقِّق في صلاته ما جُعلَت له، فينال ثمَرتها ويحيا بها، فلن يكون عمله عملًا بأمر الله، ولن يكون عملُه شكرًا لله، ولن يكون عملُه قربى لله، بل يكون عملُه فاســدًا، فحقًّا: الصلاة أوّل ما يحاسَــب عليه المرء، فإن صلَحَتْ صَلَحَ عملُه، وإن فســدتْ فســد عملُه. (أوَّلُ ما يحاسَــبُ بِهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فــإِنْ صلَحَتْ صلَح له سائرُ عملِهِ، وإِنْ فسَدَتْ، فَسَدَ ســائرُ عملِهِ.) أخرجه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧٣) بإسناد صحيح.

الآن ردِّدْ في نفســك معاني الإيمان، واعملْ بها شــكرًا لله، حتى يتشــرَّبها قلبُك، فتتبرمجَ بها نفسُــك، واعلمْ أنَّ جُلّ تلك المعاني تكون في الصلاة مِن ذكرٍ لله في القلب، وعلى اللســان، وعملًا بالجوارح، قيامًا وركوعًا وســجودًا، ولا تردِّد في نفسك أيَّ أمــر يخالف الإيمــان، وتعمل به كفــرًا لربوبيّــة الله تعالى، فيتشرَّبها قلبُك كما تشرَّبَتْ قلوب بني إسرائيل العجلَ بما كفروا، فإنما مقابَلة الشكر بالكفر، فقد ردّدوا في قلوبهم وعلى ألسنتهم أنهم يريدون إلَهًا يُمســكونه بأيديهم، كما يتخذُ غيرُهم آلِهة من

حجر وشجر، بل واتخذوا العجل كذلك إلَهًا فأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرة: ٩٣].

إذا راودتْكَ وساوسُ فاسدة، فواجِهْها بالتوجُّه إلى الله تعالى في نفسِك، ولا يكن همُّك هو تكذيبها في نفسِك فتزداد رسوخًا فيها بتكرار ذكرك لها، بل تنطفئ ويخنس شيطانُها بالتوجُّه إلى ربِّك، تستغفره منها، وتستعيذ به ممّن وسوس لك بها في نفسك، وتستعين به عليها فتكبِّرُه وتعظِّمه وتُعليه فوقَها سبحانه وتعالى، فكلّما خشعْتَ في صلاتِك وتفكّرْتَ فيها وتدبَّرتَ معانيها، تصاغرَتْ الوساوسَ الفاسدة في نفسِك وعقلك، التي تتسرّب إليك ليلَ نهار، وحلّ مكانها معاني الإيمان بالله حتى يتشرّبها قلبك.

تذكَّر أن التكبير مختصٌّ بالذكر في حال الارتفاع، والتسبيح مختصٌّ بالذكر في حال الانخفاض، وهو كذلك في الصلاة؛ فكلّ خضوع لله في ركوع أو سجود، ففيه التسبيح؛ وأمّا القيام، ففيه التكبير لِما فيه من إكبارٍ لله، وأخذٍ لكلامه الذي فيه الرفعة، وكذلك كلُّ حركة من حركات الصلاةِ ففيها التكبير، فلا طاعة إلّا

للكبير، وهو مُعينُك عليهـــا، مُجازيك بها، رفعةً وفضلًا ورضوانًا أن أطعتَ كلامه إيمانًا به؛ عدا القيام من الركوع، الذي هو تعظيمٌ لله تعالـــى، ففيه الحمد لمناســـبة الحمد مع التعظيـــم لعِظَمِ قدْر الربوبيّة، فالتسبيح قرين الحمد، والتكبير قرين التهليل.

ألم يشـــتَقْ قلبُك بعدُ إلى تعلُّم أمر الله الكبير العظيم الأعلى وشرعه، لتتّبعه، فتكون من أوليائه، وتأخذ به لتنال خيره ونفعه، وتعملَ به فتفوز بوعده: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديـــد: ١٦]؟ فتعلَّمْ أمر الكبير، واحفظْ كلامه لتتّبعه فتكونَ من أوليائه، وانظرْ إلى عَظَمة ربِّكَ العظيم ونِعَمه وآياته لتزدادَ له انكســـارًا وتعظيمًا وحمدًا، ولا تغفلْ عـــن التوجُّه إلى ربِّك الأعلـــى في كلّ أمرك بقلبك، قصدًا وتضرّعًا وتقرّبًا، وبلســـانك ذكرًا واستعانة ودعاءً، وبجوارحك عملًا واتّباعًا لشرعه، وتوكُّلًا عليه، ورفعةً لأمره. ولا تحزن فلَك ربٌّ كبير لن يتركك، بـــل يتولّى أمرَك، ويدافع عنك ما دمـــتَ من أوليائـــه، ولا تضطرب، بـــل آمِن بالله أنـــه العظيم الربوبيّة لك، ولجميع الخَلْق المستحقّ لتعظيم أمْره ونَهْيِهِ وحدَه، لعظيم فضلِـــه وثوابِه وعذابـــه، ولا تهُنْ، بل توجَّـــه إلى الأعلى الأعزّ.

لا تفقد ولاءك للكبير بعصيانه، وكن دائم الحمد والانكسار للرب العظيم، معظِّمًا فضلَه وحقَّه عليك، معظِّمًا قَدْرَهُ وأمْرَه ونهْيَه وشَرْعَه، ولا تتوجَّهْ إلّا إلى الأعلى في كلّ أمرك دقَّ أو جلَّ.

وانتبِهْ! فإنْ لم توالِ حكمَ الله الكبير وترضَ به، وإن لم تؤمن بالله الرب العظيم فتحمده وتعظّم أمره وشعائره، وإن لم تكن خشيتك لله الأعلى أكبرَ من خشيتِك للبشر، فاعلم أنك قد تنطبق عليك الآية: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١٤].

فهل تُتِمُّ صلاتَك فتُتِمُّ قيامَها وركوعها وسجودها، فلا يتسرّب إلى نفسِك ولو لِسِنةٍ، ولا يلتفت قلبك ولو للحظات، ولا ينشغل عقلك بشيء ولو لثوانٍ، سوى الإقبال على الكبير العظيم الأعلى، فربّك أكبر وأعظم وأعلى من أيّ شيء قد يخطر ببالك وأنت واقف بين يديه، فلو استطعتَ أن تُطلِقَ نفسك وقلبك وعقلك من قيود فِتَن الدنيا ومفاتنها وهوى النفس إلى رحاب الله، فتُتِمُّ الصلاة لله، فلا ينازعنّك فيها شيء، لَتَغيَّر حالُك، ولصرْتَ أقوى من الفِتن، وأمنع على المفاتن، وأعلى ممّن سواك، وأغنى ممّن سواك، فإن أتمَمْتَ ذكر الله في صلاتك سَهُل عليك ذكْرُه خارج صلاتك في ما يعرض لك في حياتك.

وكلما تـــزوّدت فـــي صلاتك من مـــوالاة الله إكبـــارًا، ومن الانكســـار تعظيمًا، ورضًى بربوبيّة الله العظيـــم، ومن الخضوع والتضرّع والتوجُّه لله الأعلى، ســـهُلَ عليك خـــارجَ صلاتك في ما يعرض لك من أمور أن تســـمعَ كلام الله، لا كلامَ مَن ســـواه، موالاةً لله، لا موالاةً لمن سواه، ولا تستكبِرَ في نفسك، ولا تُكْبِرَ أحدًا فوق قدْرِه، وســـهُل عليك أن ترضى بربوبيّة الله فتعظِّم أمرَه ونَهْيَه وشرْعه وترضى بقدَره وبقضائِه، وترضى بقسمته، فتحمَده وتشـــكره تعالى، ولا تســـتعظمَ مخلوقًا ولا تتعاظمَ فى نفسك، وسهُل عليك ألّا تتوجّه إلّا إلى الله في كلّ أمرك، دقّ أو جلّ، فلا تستعين إلّا به، ولا تتضرّع إلّا إليه، ولا تخضع، ولا تُسْلِم إلّا له سبحانه.

إن دخلت في صلاتك، فلا يكن تركيزُك أنك تبرمج نفسَـــك فتُفسِد صلاتك، ولا تنال الثمرة؛ بل عشّ مع معاني الإيمان التي تبغي ترســـيخها في نفسك، وتعبد الله بها تســـبيحًا بحمد ربّك، وتقديسًا له ســـبحانه وتعالى، فتتبرمج بها نفسُـــك تلقائيًّا. وبعد الصلاة، داوِم على ذكر الله بما يناسب ما يعرِضُ لك من أمور في حياتـــك، لتحافظ على ما تبرمجَتْ به نفســـك، وتتحصَّن من أن يتسرَّب إلى نفســـك أمر فاسد من وســـاوس الشـــيطان وجلَبَتِه ومزاميره ليستزلَّك وليحتنكنّك وليستفزَّك.

أيّ عمل تقــوم به، اجعله عبــادةً لله، لتنال جنّتــه، ومِن ثَمَّ تســتمتع بما تفعل علــى ما تلاقي، وأنت ترى أنك به تشــتري الجنة، فلا تتسخّط، ولا تغضب مما تلاقي من البشر ومن الخَلْق جميعًا، فانظرْ حالَك وأنت ذاهب لشــراء قصــر في مزارع بعيدةٍ عن كلّ منغّصٍ، فتركبُ إليها، وتطيلُ الســفر، وتمشي في أرض وعرة قد تتأذّى منها، وتدفع مالك لشرائه، لكنك قد تطيش فرحًا بكلّ ذلك، فرحًا بالقصر وما حوله من حدائق وما فيه من خدم، وكلّما تعبــتَ تذكَّرت جمال قصرك فأســرعت الخطى؛ فكذلك ســعْيُك في الدنيا إلى جنّة عرضُها السماوات والأرض ورضوانٌ مــن الله أكبر، فمــا تبغــي الدنيا، وما تبغــي البشــر، وما تبغي ما معهم، وما ترى لهم وزنًا، مــع كبَرِ ربِّك وعلوّه وعظمته، ولا تغضب علــى ما لا يعقل، فربُّك مُسَــيِّره. وابتعِــدْ عن كلّ ما لا يرضاه الله تعالى، وأســرع إلى ربّك، ولتكن لك همّة وهدف في كلّ ما تفعل في حياتك.

واعلمْ أنّ مخالطة الناس أفضــل عند الله من اعتزالهم؛ فأنت تعمل الصالحات إصلاحًا لله، وهو ربُّهم إن شاء رحِمَهم وإن شاء عذّبهم، (**المؤمِنُ الذي يُخالِطُ النــاسِ ويَصبِرُ على أذاهُمْ، أفضلُ من المؤمِنِ الَّذي لا يُخالِطُ النّاسَ ولا يَصبرُ على أذاهُمْ.**) أخرجه التِّرْمِذي (٢٥٠٧)، وإسناده صحيح.

واعلمْ أنَّ كلّ البشر ليسوا بسيّئين فتغضب منهم وتُغْلِظَ عليهم، وتتركَهم تزكيةً لنفسك: ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، بل أنت المسيء لأنك لم تُصْلِح من شأنهم، فلذلك خُلِقْتَ في الأرض، وتلك الأمانة التي حُمِّلت، فقد قال ﷺ: (**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ، وفي روايةٍ (صالحَ) الأخلاقِ.**) رواه الألباني في السلسلة الصحيحة بإسناد صحيح (٤٥). ولم يكن ﷺ فظًّا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ** وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فالصبر على مخالطة الناس طريقٌ إلى الجنّة، فهو طاعةٌ لله، ومن الأمور التي يحبّها الله تعالى، فانظر ثمنَ الجنة، أهو أهونُ عليك من مخالطة الناس؟ وكذلك كلّ أمر يحبّه الله تعالى؛ أهو أهون عليك مِن الجنّة ومن رضوان الله تعالى؟

اثْبُتْ ثُمَّ سدِّدْ عملَك، وقارِبْهُ، ومتْ ثابتًا أنّ الله هو الكبيرُ؛ فله الولاء والطاعة لا لغيرِهِ، وأنَّ الله هو الربُّ العظيم؛ فله المُلْكُ، وله الفضل، وله العظمة لا لغيره، وأنّ الله هو الأعلى؛ فالأمر كلُّه منه، وإليه، وله وحده لا لغيره، والأرض لله لا لغيره، والله السّيّد على أرضه لا غيرُه، فاثبُتْ على الصلاة إيمانًا بالله،

واثبُتْ على الصدقة إيمانًا بالآخرة، واثبُتْ في حياتك على الإيمان بالله الكبير العظيم الأعلى الذي خلق كلّ شيء ممّا تعلم وممّا لا تعلم، وأنزل الكُتُب، وأرسل الرُّسُل، وقدّر المقادير، وأنت إليه راجع، ولا تغفلْ، فذكرُك الله سلاح لك، وترْكُك للعمل ترْكٌ للتوكُّل عليه، الذي هو إيمان بالله الكبير، وولاء له، فأنت لا تملك الأمر، بل تُرمى بالأسباب.

اعتزَّ بكلّ ما تفعل اعتزازًا بعبادتك لله، فكن معتزًّا بما تفعل من إيمان بالله، وتوكَّل عليه أنك موالٍ لله الكبير العظيم، وأيقِنْ أنك لست وحدك، فربُّك معك، وأيقِنْ أنَّ كلَّ مخلوق مقهور لأمر الله الأعلى. وإن ظننت أنّ أحدًا يمنحك، أو يمنعك، حاجتك فهو إشراك له في صفات الله الذي بيده حاجتُك، فتكون في افتقار وحاجة إليه وخوف منه: (**عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ لرجلٍ قالَ له: ما شاءَ اللهُ وشئتَ: أجعلتَني للهِ ندًّا؟ قُلْ: ما شاءَ اللهُ وحْدَه.**) حديث صحيح في مدارك السالكين لابن القيِّم (١/٦٠٢). ولا تطمئنَّ لشيء أنه يُحدِث، أو يفعل، ما تحبّ، أو يمنع، أو يدفع، ما تكره، فلا تطمئنَّ إلّا إلى ذكر الله أنّ الأمر كلَّه إليه. ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨]، فاثبُتْ ما دمتَ على أمر الله، ترجو وجهَ الله في كلّ حالك، فاثبُتْ، فثباتُك قوّة، وعزّة، ورفعة، وكرامة، وشرف، ونصر، وفوز، وإن أصابك ما أصابك.

فاثبُــتْ، فالثبات ثبات النفــس والقول والفعل، فــإن تَثْبُتْ نفسُك على الإيمان بالله تَفُزْ، وإن يثبتْ قولُك على الحق، ويثْبُتْ فعلُك على الصراط، ترتفع درجتُك. واعلــم أنّ الله تعالى يحبُّ أن يــراكَ تبذُل الجهد مــن أجله، ويحبُّ لك الفــوز بالدرجات العُلى، فلا تتســخّط إن دعاك لذلك بأن ابتلاك، ولا تنقلب على عَقِبَيك، ولا تيأسْ ظنًّا بــالله الظنون: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عِمــران: ١٤٠]، فالعلم علم الرؤيا والمشــاهدة، وليس العلم المنافي للجهل، معاذَ الله.

ربِّ إن شئتَ نصرْتَني على العالَمين، وإن شئتَ خذَلْتني بين جنبات نفسي، فأعنّي على ذكرِك وشكرِك وحُسْنِ عبادتِك.

فكنْ على الإيمان (بالله الربّ الكبيــر العظيم الأعلى، الذي أنت إليه راجعٌ يومَ القيامة)، وكُنْ على العمل الصالح (الذي به تُصْلِحُ مِن نفسك؛ دينَها ومعاشَها ومعادَها وتُصْلِحُ به مَن تعول، وتُصْلِحُ به جميعَ خَلْقِ الله، ممّا يحــبُّ الله ويرضى ليقومَ الخَلْقُ بعبادة ربّهم)، فإن رأيت ما تكره، أو ما تحــبّ، فاعلمْ أنه ليس بمشــيئتك، ولا بإرادتــك، فتتكبّــر، وأنه كذلك ليس بمشــيئة مخلوق، أو بإرادته، أو بعمله، فترفعه بظنك ذلك فيه، بل هو من

عند الله الكبير العظيم الأعلى، فكبِّـره وعظِّمه وأَعلِ أمره وحده. (كنتُ رِدفَه على حمارٍ فعثُر الحمارُ، فقلت: تَعِسَ الشيطانُ! فقال لـي النبيُّ ﷺ: **لا تقـلْ: تَعِسَ الشـيطانُ! فإنك إذا قلـت: تَعِسَ الشيطانُ، تعاظمَ في نفسِه، وقال: صرعتُه بقوّتي، وإذا قلتَ: بسمِ اللهِ تصاغرتْ إليه نفسُـه حتى يكونَ أصغرَ مـن ذُبابٍ.**) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، وإسـناده صحيح، (لمّا كانَ يـومُ أُحُدٍ، وولَّى النّاسُ، كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ في ناحيةٍ، في اثني عشـرَ رجلًا منَ الأنصار، وفيهم طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ فأدرَكَهم المشـرِكونَ، فالتفتَ رسـولُ اللهِ ﷺ وقالَ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنا، قالَ رسولُ الله: كما أنت، فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: أنا يا رسـولَ اللهِ، فقالَ: أنت. فقاتلَ حتَّى قُتِلَ، ثمَّ التفتَ فإذا المشـرِكونَ، فقـالَ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنا، قالَ: كما أنت. فقالَ رجُلٌ منَ الأنصارِ: أنا، فقالَ: أنت. فقاتلَ حتَّى قُتِلَ، ثمَّ لم يزلْ يقولُ ذلِكَ ويَخرجُ إليْهم رجلٌ منَ الأنصارِ فيقاتلُ قتالَ مَن قبلَهُ حتَّى يُقتَلَ، حتَّى بقيَ رسولُ اللهِ وطلحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، فقالَ رسولُ اللهِ: مَنْ للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنا، فقاتلَ طلحةُ قتالَ الأحدَ عشرَ حتَّى **ضُرِبَت يدُهُ فقطِعت أصابعُهُ، فقالَ: حِسِّ، فقالَ رسـولُ اللهِ: لو قلتَ: بِسمِ اللهِ لرفعتْكَ الملائِكةُ والنّاسُ ينظرونَ،** ثمَّ ردَّ الله المشـرِكينَ.) رواه النَّسـائي (٣١٤٩)؛ حسَـنٌ مِن قوْله: فقطعت أصابعه...، وما قبله يحتمل التحسين، وهو على شـرط مسـلم؛ فما أصاب طلحة ما أصاب بإرادة مَن

قاتل ومشـيئتهم فيُرفَع من شـأنهم بقوله (حِسِّ)، بـل بقدَر الله الرحمٰن الرحيم الذي باسـمه يقاتل ليرفعَـه الله تعالى الدرجات العُلى.

نحن المسلمون، وتلك هي صلاتُنا وإسـلامُنا، لا يأمُرنا إلّا أن نعبد إلَهًا واحدًا، هو خالقُ هذا الكـون، كي نتحرّر من تبعيّة أيّ كائن أيًّا كان، فنحيا أعِزَّة شِدادًا أعفّاء؛ وشرع لنا ما به نحفظ دينَنا، وأنفسَنا، وعقولَنا، وأموالَنا، وذرّيّاتنا، كي نستطيع أن نعبد ربَّنا وإلَهَنا، فننال ما وعدَنا به من طيب الحياة في الدنيا، والجنّة في الآخرة، بعد أن نُبعث من بعد موتنا.

فعلى كلّ مُـرَبٍّ، وكلّ مُعلّمٍ، وكلّ داعيةٍ، أن يتعهّد نفسَـه، وأهلَه، ومَن يربّـي، ومَن يعلّم، ومَن يدعـو بالصلاة، فينظر في صلاتهم، ويذكّرهم بشيء من أسـرارها كلّ حين، ويصلّي معهم لله ربّ العالمين، وعليه أن يذكّرهم كذلك كلَّ حين بما اعتنى به الوحْي المكّيّ من أصـول الإيمان بالغيب، ومعرفة سِـيَر الأمم السـابقة، وتذكّر الميعاد وما فيه، ثمّ عليـه بتذكيرهم كذلك كلَّ حين بسيرة الرسـول ﷺ وصَحْبه، وبتاريخ الإسـلام، وعليه أن يحثَّهم على الصدقة تطهيرًا لنفوسهم، ويقينًا بالآخرة، وقربةً إلى ربهم، وعليه أن يصبِّرهم على ما يلاقون، فكذلك بدأ الإسـلام، وكذلك يعود إلى القلوب بإذن الله.

الآن، هل تنتبه إلى حديث نفسك، وتنظر: هل تحدّث نفسك بالخير والإصلاح والإيمان بالله؟ أم تحدّثها بالدنيا وبالشهوات وبالمتاع المُنَغّص الزائل، وبالظلم والعدوان، لتأخذ الدنيا غلابًا؟ أم هل تحدّث نفسك بإكبار خلْقِ الله، وبتعاظم نفسك واستكبارها، وبالاعتقاد في غير الله أنّ له من الأمر شيئًا؟ فانتبِهْ إلى حديث نفسِك، وانتبِهْ إلى عِظَم قدْر الصلاة وعِظَم أثرها: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البَقرة: ٢٨٤].

الآن قُم فَصَلِّ صلاةً لم تذقْ طعمَها وحلاوتَها وطِيبَ أثرِها من قبلِ، وبعد أن تقضيَ صلاتَكَ اصدُقْ ما كنتَ عليهِ فيها، فتكن في جميع أمرِك مواليًا لله الكبير، تعمل بأمره، وتستعين به، وترجِع إليه (إلى كتابِه وسنّة رسوله ﷺ، إلى ذكره تعالى ودُعائه) أنه هو ربّك الكبير، وتسبّح بحمد ربّك العظيم، رضًى بربوبيّته تعالى، ولتكون من الشاكرين، وتدعو ربَّك الأعلى وَحْده، وتعبُده، وتتضرَّع إليه، وتلزَم أمره فهو نافذ.

هل حالُكَ بعد الصلاة كما كان قبلَها، أمْ هل زادَتْكَ الصلاة، إذ أقبلَ الله عليكَ، تولِّيًا لله، وإكبارًا لله، وتوكّلًا على الله؟ وهل زادتْكَ توجُّهًا لله الكبير في كلّ حالك فزادَ علمُك، وعَمُقَ فِقْهُكَ

وَوَسِعَتْ درايتُك للأمور بتدبُّر كلام الكبير سبحانه إليك؟ وهل حَسُنَ خُلُقُكَ وهَدَأتْ طِباعُ نفسِك؟ وهل زادتْكَ ثباتًا وقوّةً على الحقِّ فتصبر على ما أصابك أنّ لكَ ربًّا كبيرًا؟ وهل زادتْكَ رضًا بالله، واطمئنانًا، وإعظامًا له، فتعمل له شكرًا؟ هل زادتْكَ تقوًى لله العظيم؟ وهل زادتْكَ قربًا من الأعلى فتتحرَّر من عبوديّة العباد إلى عبوديّة الله ربّ العباد؟ وهل علمْتَ كيف تُعَزُّ فلا تَهُنْ ولا تفْشَلْ ولا تَخْسرْ؟ وهل زال همُّكَ وغمُّكَ؟ وهل علمتَ كيف وممّن تطلب حاجتك...؟

هل زادَتْكَ إيمانًا؟؟؟

هل صلَّيت؟؟؟

هل صَدَقْتَ الله في صلاتك؟ هل صَدَقَتْ صلاتُك؟

هل صَدَقْتَ الله في صلاتك فصَدَقْتَ التوجُّهَ إليه تناجيه؟ وهل صدّق قلبُكَ لسانَكَ إذ أكبَرْت الله وسبّحتَ بِعظَمتِه، وسبَّحْتَ بكمال علوّه تعالى، حتى يُشْرِبَ قلبَك إكبارًا وإعظامًا وإعلاءً لله تعالى، وتتبرمجَ نفسُك على ذلك؟ هل صدّقَ قلبُكَ انتصابَ جسدِكَ خشوعًا لله، وانحناءَ جسدِكَ تعظيمًا لله، وسجودَ جسدِكَ خضوعًا وتذلُّلًا لله، حتى يُشْرِبَ قلبَكَ إكبارًا وإعظامًا وتأليهًا لله تعالى، وتتبرمجَ نفسُكَ على ذلك؟ هل صَدَقَتْ صلاتُكَ فكان سعْيُكَ بَعْدَها في كلّ أمور حياتك على ما أكبرْتَ

الله وعظَّمته، وألَّهْته فيها، فأُشْـرِبَها قلبُك وتبرمجتْ بها نفسُكَ؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحَجّ: ٣٧].

الإفساد يأتي من عدم الصدق مع الله (أنك حقًّا تبغي رضوانه وجنَّته أنـه هو الربّ الكبيـر العظيم الأعلى)، ومـن إرادة الدنيا (بزينتها ومتاعها وشهواتها)، ومن إرادة العلوّ والتكبّر في الأرض. وعلى قدْر ضعف الصدق مع الله، وعلى قـدْر إرادة الدنيا والعلوّ والتكبّر في الأرض، على قدر الإفسـاد فيها، وإتيانِ كلّ فحشـاء ومنكر؛ فعدم الصدق مع الله يأتي من الجهل به سـبحانه، وبعدم الإيمان به وبالغفلة عنه. وإرادة الدنيا إنما هـي جهلٌ بها أنّها لا وزن لهـا، وأنّها لله ومن الله، فـلا يُطلب منها شـيء إلّا من الله، وعلى قدْر حاجتك منها، لتعبُدَه وتطلُبَه بما شـرع، وأنت تاركُها، وهي تاركةٌ لك مهما عُمّرتَ فيها، وجمعتَ منها، وهي لا تساوي شـيئًا. وقد قُسـم حظّك ورزقُك منها قبل أن تولد. وإرادة الدنيا جهلٌ بالآخرة، وضعفٌ لليقين في يوم الدين، وإرادة الدنيا جهل بالله وإعـراض عن إرادة القـرب من الله، ومعيّتـه، وولايته لك، وإرادة العلوّ والتكبّـر ظلمٌ للخَلق جميعًا بسـلْبهم حقوقهم التي لهم، والتعدّي عليهم، ومنْعهم حقَّهم في عبادة ربّهم.

فاصدُقِ الله في صلاتِكَ تَرْكُ نفسُــك وتطهُر من إرادة الدنيا، والعلوّ في الأرضِ، وحاسِــبْ نفسَكَ وأنتَ واقفٌ بين يدي ربِّك قبل أن يحاســبَك الله يومَ الجزاء وأنت واقف بيــن يديه، واعزِمْ على الرجوع إلى دينه، تعبُده في كلّ أمركَ فيكونُ كلُّ أمركَ على مراد الله منك ابتغاءَ وجهه تعالى قبل أن تتمنّى ذلك يوم القيامة، ولا تقدِر، ويقال لكَ (كلّا)، وكرِّر ذلك حتى تتبرمج عليه نفسُك ويتشرّبه قلبُك فتحيا به.

هل تشتاق الآن إلى أن تصلّي ركعتين لله تعالى؟؟؟

الآن قُمْ فصلِّ، فإنّك لــم تصلِّ، (كنّا معَ رســولِ اللهِ ﷺ إذ دخلَ رجلٌ المسجدَ فصلَّى ورســولُ اللهِ ﷺ يرمُقُهُ ولا يشعرُ، ثُمَّ انصرفَ فأتى رســولَ اللهِ ﷺ، فســلَّمَ عليْهِ، فردَّ عليْهِ السَّلامَ، ثمَّ قالَ: **ارجعْ فصَلِّ فإنَّكَ لم تُصلِّ**، قــالَ: لا أدري في الثّانيةِ أو في الثّالثةِ، قالَ: والَّذي أنــزلَ عليْكَ الْكتابَ لقــد جَهِدتُ، فعلِّمْني وأرِني، قــالَ: إذا أردتَ الصَّلاةَ فتوضَّأ فأحسِــنِ الوضوءَ، ثُمَّ قُمْ فاستقبلِ القِبلةَ، ثُمَّ كبِّرْ، ثُمَّ اقرأ، ثُمَّ ارْكعْ حتَّى تطمئنَّ راكعًا، ثُمَّ ارفَعْ حتَّى تعتدِلَ قائمًا، ثُمَّ اســجُدْ حتَّى تطمئنَّ ساجدًا، ثُمَّ ارفعْ رأسَكَ حتَّى تطمئنَّ قاعدًا، ثُمَّ اســجُدْ حتَّى تطمئنَّ ساجدًا، فإذا صنعتَ ذلِكَ فقد قضَيتَ صلاتَكَ، ومــا انتقصْتَ من ذلِكَ فإنَّما تنقصُهُ من صلاتِكَ.) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(كانت عامَّةُ وصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ : الصلاةَ **الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكم**، حتى جعل يُجلجِلُها في صدرِهِ وما يَفيضُ بها لسانُه.) مُسند أحمد (١٦٦)، وإسناده صحيح.

يا أمَّةَ محمد ﷺ، عودوا إلى صلاتكم ليعــود إليكم دينُكم وإيمانكم، فتسودوا الدنيا وتفوزوا بالآخرة.

سبحانَك اللّهُمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلّا أنتَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك.

د. ياسر إبراهيم العُكش

المدينة المنورة ٢٠١٥م

Yasser-eloksh@hotmail.com

Yasser.eloksh@gmail.com

المحتويات

مقدمة..... ٥

القوّة الخفيّة للعقل الباطن والبرمجة النفسجسديّة..... ١١

قبل أن تصلّي..... ٢٧

الله أكبر..... ٤٣

قراءة القرآن..... ٨٧

سبحانَ ربِّيَ العظيم..... ٩٩

سبحانَ ربِّيَ الأعلى..... ١٣١

قبل أن تُنهيَ صلاتَك..... ١٨٥

ماذا بعدَ الصلاة..... ١٩١

خاتمة..... ٢٣٧

ما هو سرّ الصلاة؟ لماذا هي عماد الدين؟ لماذا فُرضت في السماء يومَ الإسراء والمعراج وبقيتْ الشرائعُ وفُرضت فى الأرض؟ لماذا هي آخر ما وصّى به الرسول صلى الله عليه وسلم وأوّل ما يحاسَب عليه العبد؟ لماذا هناك فرق بيننا وبين الصحابة رضوان الله عليهم؟ ألم نؤمن كما آمنوا ونصلّي كما صلّوا!؟ أم أنّ إيماننا غير إيمانهم وصلاتنا غير صلاتهم!؟ هل هناك علاقة بين الإيمان والصلاة؟ تلك التساؤلات تُبيّن داخلَ هذه الورقات التي هي خلاصة بحث وتأمّل ودراسة وحيرة وتعجّب، لسنوات طويلة، محاولةً لمعرفة قليل من أسرار الصلاة لننفض عنها غبار القرون، لتعودَ إلى ما كانت عليه أيامَ الصحابة فنحيا بها كما حَيوا بها.

تصميم: عبدالرحمن حافظ

978-614-63-9401-2 09401
9786146394012